الأميرُ السَّعيد

وقصص أخرى

أوسكار وايلد

المكتبة العالمية للفتيان والفتيات

دار العلم للملايين



هذه الرواية

❖ مجموعة قصص منها قصة أمير على صورة تمثال طيب القلب رقيق الإحساس، ورفيقه طائر السنونو. كان يراقب رعاياه من موقعه كتمثال فيرسل السنونو بما زانه من حلي وجواهر ليساعد الفقراء. ومنها أيضاً قصة عملاق جائر تاب واكتشف أن السعادة في محبة الآخرين، وقصة طائر العندليب والسهم الناري المدهش والطيور، وسواها من قصص تساوى فيها الخيال بالواقع بشكل مدهش.



ISBN 9953-9-6525-0 2.5 كتب الفتيان والفتيات
9 789953 965253 3

المكتبة العالمية
للفتيان والفتيات

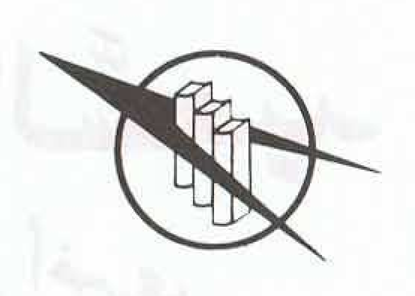
الأَميرُ السَّعيد
وقصص أخرى

أوسكار وايلد

مُرفقة بمجموعة من الأسئلة المنهجية والمفيدة

دار العلم للملايين

دار العلم للملايين
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر
شارع مار الياس، بناية متكو، الطابق الثاني
هاتف: ٣٠٦٦٦٦ - ٧٠١٦٥٥ - ٧٠١٦٥٦ (٠١)
فاكس: ٧٠١٦٥٧ (٠١)
ص.ب ١٠٨٥ بيروت - لبنان
www.malayin.com



الطبعة الأولى
حزيران / يونيو ٢٠٠١

الأميرُ السّعيد

عاليًا فَوْقَ المَدينَةِ وَقَفَ تِمْثالُ الأميرِ السَّعيدِ عَلَى عَمودٍ طَويلٍ مُزَخْرَفٍ بأَوْراقٍ رَقيقَةٍ من الذَّهَبِ.

كانَ الأَميرُ مَحَطَّ الإِعْجابِ حقًّا، وكانَ أَحَدُ وُجهاءِ البلدةِ يُعَلِّقُ على الأَمرِ قائلاً: «الأَميرُ جميلٌ مِثْلَ ديكِ الرِّيحِ (دوّارة الرِّيح) رُغْمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِفائِدَةِ هَذا الدِّيك».

وتَسْأَلُ والدةُ صَبِيٍّ صَغيرٍ يَبْكي طَلَبًا لِلْقَمَر: «لماذا لا يُمْكِنُنا أَنْ نَكونَ مِثْلَ الأَميرِ السَّعيدِ الذي لا يَبْكي أبَدًا؟»

وتَمْتَمَ أَحَدُهُم مع تَحْديقِهِ بالتِّمْثالِ الرّائع: «أَنا مَسْرورٌ بوجودِ مَنْ هوَ سَعيدٌ حقًّا في هذا العالم».

وقالَ الأَطفالُ وهم يخرجون من المَدْرَسة: «يَبْدو الأَميرُ مِثْلَ الملاك».

لَكِنَّ مُدَرِّسَ الرِّياضِيّات سأَلَهُمْ: «كَيْفَ تَعرِفونَ ذلِكَ وأَنْتُم لم تُشاهدوا ملاكًا من قَبْلُ؟»

وأَجابَ الأَطفال: «أُوه! ولَكِنَّنا شاهَدْنا مَلاكًا في أَحْلامنا».

وتَعَجَّبَ مُدَرِّسُ الرِّياضِيّاتِ لأَنَّهُ لَمْ يوافِقْ على أَحْلامِ الأَطْفال.

وفي إِحْدى اللَّيالي حَلَّقَ طائِرُ سُنونو صغيرٌ فَوْقَ المدينة.

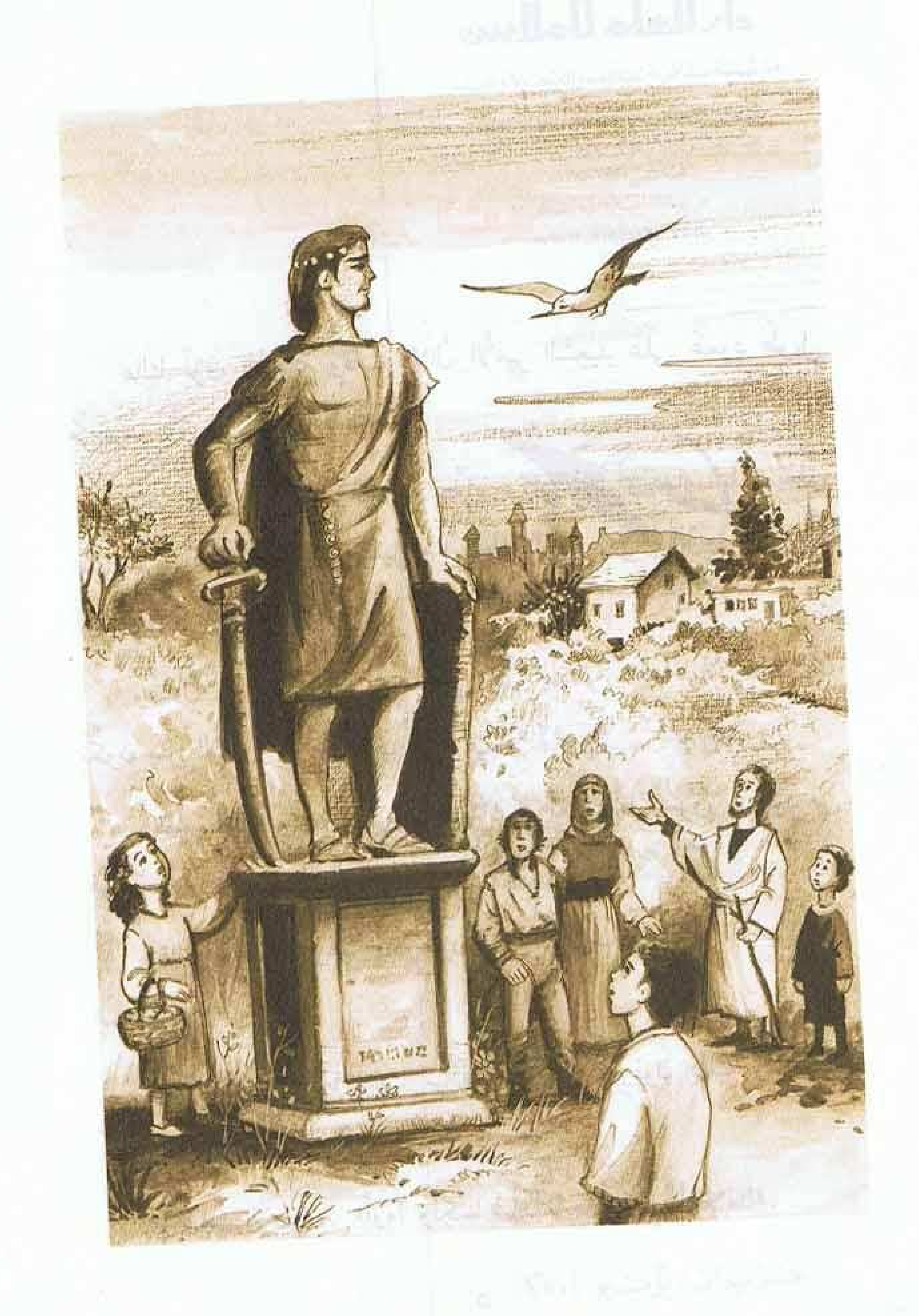
كانَ رِفاقُ هذا الطّائِرِ قَدْ ذَهَبوا إلى مِصْرَ قَبْلَ سِتَّةِ أَسابيع، لَكِنَّهُ تَخَلَّفَ عَنْهم لأَنَّهُ كانَ مُغْرَمًا بِقَصَبَةٍ جَميلَةٍ كانَ قد الْتَقاها باكرًا في الرَّبيع مَعَ تَحْليقِهِ فَوْقَ النَّهْرِ وانْجَذَبَ إلى خَصْرِها النَّحيلِ بحيثُ تَوَقَّفَ للتَّحَدُّثِ مَعَها. وهَكَذا حَلَّقَ الطائِرُ حَوْلَ القَصَبَةِ مُلامِسًا الماءَ بِجَناحَيْهِ وكانَتْ هَذِهِ هي إشارَةَ تَوَدُّدِهِ إِلَيْها. ودامَ الأَمْرُ طَوالَ الصَّيْف. وضَحِكَتْ طُيورُ السُّنونو الأُخْرَى قائِلَةً: «إِنَّها عَلامَةٌ سخيفة، فالقَصَبَةُ لا مالَ عِنْدَها ولها عَلاماتٌ كثيرةٌ والنَّهْرُ حقًّا كانَ مَليئًا بالقَصَبات». ثُمَّ عِنْدما جاءَ الخَريفُ طارَ الجَميعُ بَعيدًا.

وبَعْدَ رَحيلِ الطُّيورِ شَعَرَ طائِرُ السُّنونو الذي تَخَلَّفَ عَنْهُم بالوَحْدَةِ وبدأَ يَسْأَمُ مَحْبوبَتَه.

وَقالَ الطّائِر: «إِنَّها لا تُحدِّثُني وأَنا أَخافُ من كَوْنِها تَعْبَثُ بالحُبِّ لأَنَّها دائمًا تَعْبَثُ بالرِّيح». وتابَعَ يقول: «أَعْتَرِفُ بأَنَّها أَليفةٌ لَكِنَّني أُحِبُّ السَّفَرَ وعلى زَوْجَتي أَنْ تُحِبَّ السَّفَرَ أَيْضًا».

ثُمَّ سَأَلَها أخيرًا: «هَلْ يُمْكِنُكِ الذَّهابُ مَعي؟» لَكِنَّ القَصَبَةَ هَزَّتْ رَأْسَها بالرَّفْضِ لأَنَّها كانت شَديدَةَ التَّعَلُّقِ بِمَنْزِلها.

وصاحَ طائِرُ السُّنونو: «إِذَنْ كُنْتِ تَعْبَثينَ بي. أَنا ذاهِبٌ إلى بلادِ الأَهْرام. وَداعًا». وطارَ الطّائِرُ بعيدًا.



وحلّقَ الطّائرُ طوالَ النّهارِ، وفي المَساءِ وَصَلَ إلى المدينةِ وقال: «أَيْنَ يُمْكِنُني الهُبوط، آمَلُ أَنْ تكونَ المدينةُ قد تَهَيّأَتْ لذلك».

ثُمَّ رأى الطّائرُ تِمْثالَ الأَميرِ السّعيدِ عَلَى العَمودِ الطَّويلِ وَصاح: «سأحُطُّ هُنا حَيْثُ الكَثيرُ من الهَواءِ النَّقي».

وَحطَّ الطّائرُ بَيْنَ قَدَمَي الأَميرِ السّعيد.

وقالَ الطّائرُ لِنَفْسِه: «وهكَذا أَصْبَحَ لَـدَيَّ غُرْفَةُ نَوْمٍ من الذَّهَب» وهَيَّأَ نَفْسَه لِلْخُلودِ إلى النَّوْم. ولكِنْ وَمَعَ إسْنادِهِ رأسَهُ إلى جَناحِهِ سَقَطَتْ نُقْطَةُ ماءٍ كبيرةٌ عليه. وصاحَ الطّائر: «هَذا غَريبٌ فما مِنْ سَحابَةٍ واحِدَةٍ في السَّماءِ والنُّجومُ بارزةٌ وبَرّاقَةٌ ومع ذلك فالسَّماءُ تُمْطِر. إنَّ الطَّقْسَ هُنا مُرْعِبٌ حَقًّا والقَصَبَةُ كانَتْ تُحِبُّ المَطَر!»

ثُمَّ سَقَطَتْ نُقْطَةُ ماءٍ أُخْرَى مِنَ السَّماء.

وقالَ الطّائر: «ما هِيَ فائِدَةُ التِّمْثالِ إِذْ لَيْسَ بِإمْكانِهِ إبْعادُ المَطَر». وصَمَّمَ على التَّحْليقِ بَعيدًا عن التِّمْثالِ بَحْثًا عن مأوى.

ولكِنْ قَبْلَ أَنْ يَفْتَحَ الطائِرُ جَناحَيْهِ سَقَطَتْ نُقْطَةُ ماءٍ ثالِثَة. ونَظَرَ الطائِرُ إلى الأَعْلَى وَرأَى. . . آه، ماذا رأى؟

كانَتْ عُيونُ الأَميرِ السَّعيدِ مَلأَى بالدُّموعِ الّتي كانتْ تَـتَساقَطُ على وَجْنَـتَيْهِ الذَّهبيّتين، وكانَ وَجْهُهُ جميلاً لِلْغايَةِ في ضَوْءِ القَمَرِ إلى حَدِّ أَنَّ الطّائرَ أَحَسَّ بالشَّفَقَة.

وقالَ الطّائر: «مَنْ أَنْتَ؟»

ـ «أَنا الأَميرُ السَّعيد».

ـ «لماذا تَبْكي إِذَن؟» سأَلَهُ الطّائر.

أجابَ التِّمْثال: «عِنْدَما كُنْتُ حيًّا ولِي قَلْبٌ بَشَريٌّ لَمْ أَعْرِفْ مَعْنَى الدُّموعِ لأَنَّني كُنْتُ أَعيشُ في قَصْرٍ لا يُسْمَحُ بِدُخولِ الحُزْنِ إليه. وكُنْتُ خلالَ النَّهارِ أَلْعَبُ مَعَ زُمَلائي في الحَديقَة. وفي المَساءِ أَقودُ حَفْلَةَ الرَّقْصِ في القاعة. وكانت الحَديقةُ مُحاطَةً بِحائِطٍ عالٍ لَمْ أَعْرِفْ ما يُوْجَدُ وَراءَه. وكانَ كُلُّ شَيْءٍ جَميلاً، وكانَ زُمَلائي يُسَمُّونَني «الأَميرَ السَّعيدَ» وكُنْتُ سَعيدًا حقًّا. هَكَذا عِشْتُ وهكَذا مُتُّ، والآن أنا مَيْتٌ وهُمْ رَفَعوني هنا عاليًا حتى أَرى بَشاعةَ مَدينَتي وبُؤْسَها. ورُغْمَ أَنَّ قَلْبِيَ مَصْنوعٌ من الرَّصاصِ لَكِنْ لا خِيارَ لي إلاّ البُكاء».

وقالَ الطّائرُ لِنَفْسِه: «ماذا؟ أَلَسْتَ من الذَّهَبِ الخالِصِ؟»

وتابَعَ التِّمْثالُ بِصَوْتٍ مُوْسيقيٍّ مُنْخَفِض: «بَعيدًا في أَحَدِ شَوارِعِ المدينةِ يُوْجَدُ بَيْتٌ مُتَواضِعٌ وإحْدَى نَوافِذِهِ مَفْتوحَةٌ بِحَيْثُ يُمْكِنُني مُشاهَدَةُ امْرَأَةٍ تَجْلِسُ إلى طاوِلَة. وَجْهُ هَذِهِ المَرْأَةِ نَحيلٌ ويَداها خَشِنَتانِ مَثْقوبَتانِ بالإبَرِ لأَنَّها تَعْمَلُ في الخِياطة. ويَنامُ في زاويةِ إحْدَى غُرَفِ المَنْزِلِ صَبِيُّها الصَّغيرُ مَريضًا بالحُمَّى يَطْلُبُ البُرْتُقال، لَكِنَّ أُمَّهُ لا تَمْلِكُ إعْطاءَهُ سِوَى ماءِ النَّهر. وهكَذا يَبْكي الصَّبي، أَلا يُمْكِنُكَ أَيُّها الطّائرُ أَنْ تأْخُذَ لها ياقوتَةً من سَيْفِي لأَنَّ قَدَمَيَّ مُثَبَّتانِ ولا يُمْكِنُني الحَرَكة؟»

لَكِنَّ الطّائِرَ قالَ: «إنَّهم بانْتِظاري في مِصْرَ وزُمَلائي الطُّيورُ يُحَلِّقون فَوْقَ النِّيلِ ويُخاطِبونَ أزْهارَ اللُّوتُس، وسُرْعانَ ما يَنامون على ضَريحِ المَلِك».

وقالَ الأميرُ: «أيُّها الطّائِرُ ألا يُمْكِنُكَ البَقاءُ معي لَيْلَةً واحِدةً لِتُصْبِحَ مِرْسالاً لي؟ الصَّبِيُّ عَطْشانُ وأُمُّهُ حَزينَةٌ جِدًّا».

وأجابَ الطّائِرُ: «لا أظُنُّ أنَّني أُحِبُّ الصِّبْيان، فَفي الصَّيْفِ الماضي عِنْدَما كُنْتُ في النَّهْرِ كانَ هُناكَ صَبِيّان وَقِحان. يَرْمِيانِ الأحْجارَ صَوْبي. طَبْعًا لَمْ تُصِبْني الأحْجارُ لأنَّنا نَحْنُ الطُّيورَ نَطيرُ بَعيدًا».

لَكِنَّ الأميرَ السَّعيدَ بَدا حَزينًا بِحَيْثُ شَعَرَ الطّائِرُ بِالأسَفِ وقال: «أشْعُرُ بِالبَرْدِ الشَّديدِ هنا، لَكِنَّني سأَبْقى مَعَكَ لَيْلَةً واحِدَةً لأكونَ مِرْسالاً لَكَ».

وقالَ الأمير: «شُكْرًا لَكَ أيُّها الطّائِرُ الصَّغير».

وهَكَذا التَقَطَ الطّائِرُ الياقوتَةَ الكَبيرةَ من سَيْفِ الأميرِ وطارَ بها فَوْقَ سُطوحِ المَدينة.

ومَرَّ الطّائِرُ فَوْقَ بُرْجِ الكَنيسَةِ حَيْثُ التَّماثيلُ الرُّخاميةُ لِلْمَلائِكَة، ومَرَّ بالقَصْرِ وسَمِعَ صَوْتَ الرَّقْص. وجاءَتْ فَتاةٌ جَميلةٌ إلى الشُّرْفَةِ مع مَحْبوبِها الذي قالَ لها: «كَمْ هِيَ رائعةٌ النُّجومُ وكَمْ هي رائعةٌ قُوَّةُ الحُبِّ!»

وأجابَتِ الفَتاةُ: «آمَلُ أنْ يَكونَ ثَوْبي جاهِزًا لِلْحَفْلَةِ الكَبيرة».

ومَرَّ الطّائِرُ فَوْقَ النَّهْرِ ثُمَّ فَوْقَ البُيوت، وفي النِّهاية وَصَلَ إلى البَيْتِ المُتَواضِعِ ونَظَرَ في داخِلِه فَرأى الصَّبِيَّ يَتَقَلَّبُ في فِراشِه، وكانَتْ أُمُّهُ نائِمَةً لأنَّها كانَتْ مُرْهَقَة. ودَخَلَ الطّائِرُ وَوَضَعَ الياقوتَةَ على الطاولةِ بجانبِ الأُمِّ، ثُمَّ طارَ بهدوءٍ حَوْلَ السَّريرِ ورَفْرَفَ بِجَناحَيْهِ على جَبينِ الصَّبِي.

وَقالَ الصَّبي: «أُحِسُّ بالانْتِعاش، لا بُدَّ أنَّني أتَحَسَّن». وغَرِقَ الصَّبِيُّ في نَوْمٍ لَذيذ.

ثُمَّ طارَ الطّائِرُ عائِدًا إلى الأميرِ السَّعيدِ وأبْلَغَهُ بِما فَعَلَهُ وَقالَ: «الأمْرُ غَريبٌ لَكِنَّني أشْعُرُ بالدِّفْءِ الآنَ رُغْمَ البَرْد».

فقالَ الأمير: «ذَلِكَ لأنَّكَ قُمْتَ بِعَمَلِ الخَيْر». وبَدأَ الطّائِرُ يُفَكِّرُ ثُمَّ نامَ لأنَّ التَّفْكيرَ كانَ دائمًا يُشْعِرُهُ بالنُّعاس.

وعِنْدَما طَلَعَ النَّهار طارَ الطّائِرُ إلى النَّهْرِ واسْتَحَمَّ فيه. وتَعَجَّبَ عالِمُ الطُّيورِ من هَذِهِ الظّاهِرَةِ وَقال: «طائِرُ سُنونو في الشِّتاء!»

وأرْسَلَ العالِمُ مَقالاً إلى إحْدى الصُّحُفِ يُخْبِرُها بهذهِ الظّاهِرة. وأَصْبَحَ المَقالُ على كُلِّ لِسانٍ لأنَّهُ كانَ مَليئًا بِكَلِماتٍ لم يَفْهَمْها أحَد.

وقالَ الطّائِر: «هَذِهِ اللَّيْلَةَ أذْهَبُ إلى مِصْر»، وشَعَرَ بِمَعْنَوِيّاتٍ مُرْتَفِعَةٍ لهذا الذَّهابِ فَزارَ كُلَّ النُّصُبِ التَّذْكارِيَّةِ وجَلَسَ وَقْتًا طَويلاً على

بُرْجِ المَدْرَسَة، وكانَتْ طُيورُ البَواشِقِ حَيْثُما ذَهَبَ تُصَرْصِرُ ويقولُ بَعْضُها لِبَعْضِها الآخَرِ: «ما هَذا الطّائِرُ الغَريبُ المُمَيَّزُ!» مِمّا جَعَلَ طائِرَ السُّنونو يَسْتَمْتِعُ بِنَفْسِه.

وَعِنْدَما طَلَعَ القَمَرُ عادَ الطّائِرُ إلى الأَميرِ السَّعيدِ وَصاح: «أَلَيْسَ لَدَيْكَ ما تُرْسِلُهُ إلى مِصْرَ لأَنّني سأبدأُ رِحْلَتي قَريبًا».

فَقالَ الأَمير: «أَيُّها الطّائِرُ الصَّغير، أَلا يُمْكِنُكَ البَقاءُ معي لَيْلَةً إضافيةً؟»

وأَجابَ الطّائِر: «إِنَّهُمْ يَنْتَظِرونَني في مِصْرَ وغَدًا سَيَطيرُ أَصْدِقائي إلى الجَنوبِ... حَيْثُ يَجْلِسُ الإِلَهُ مَمْنون على عَرْشٍ مِنَ الحَجَرِ يُراقِبُ النُّجومَ طَوالَ اللَّيْل، وعِنْدَما تَطْلُعُ نَجْمَةُ الصَّباحِ يُطْلِقُ صَرْخَةَ فَرَحٍ وَيَصْمُت. وعِنْدَ الظُّهْرِ تَنْزِلُ الأُسودُ الصَّفْراءُ إلى حافَةِ الماءِ لِتَشْرَبَ وتُزَمْجِرُ بِصَوتٍ أَقْوى مِنْ صَوْتِ المِياهِ المُرْتَطِمَةِ بِالسَّدّ».

وَقالَ الأَمير: «أَيُّها الطّائِرُ الصَّغير، بَعيدًا في المَدينةِ أَرَى شابًّا يَجْلِسُ فوق أَحَدِ السُّطوحِ مُنْحَنِيًا عَلَى طاوِلَةٍ مُغَطّاةٍ بالوَرَقِ وبِجانِبِهِ باقَةٌ من الأَزْهارِ البَنَفْسَجِيَّةِ المُبَعْثَرَة. شَعْرُهُ بُنِّيٌّ وَشَفَتاهُ حَمْراوانِ وعَيْناهُ كَبيرَتانِ حالِمَتان. إِنَّهُ يُحاوِلُ إِنْهاءَ مَسْرَحِيَّةٍ لَكِنَّهُ يَشْعُرُ بِبَرْدٍ شَديد يَمْنَعُهُ مِنَ الكِتابَةِ حَيْثُ لا نارٌ في الموقدِ ولا طعامٌ فأغمي عليه».

وأَجابَ الطّائِرُ الطَّيِّب: «سأَبْقَى مَعَكَ لَيْلَةً أُخرى، ولَكِنْ هَلْ سأَحْمِلُ لِهَذا الشّابِّ ياقوتَةً أُخرى؟»

فَقالَ الأَمير: «واحَسْرَتاه، لَيْسَ لَدَيَّ ياقوتٌ الآن وعَيْنايَ هُما كُلُّ ما بَقِيَ لي وهُما مَصْنوعَتانِ مِن الصَّفّيرِ (الياقوت الأَزرق) اخْلَعْ إِحْداهُما واحْمِلْها لَهُ وسَوْفَ يَبيعُها هُوَ إلى الجَوْهَرِيِّ لِيَشْتَرِيَ الطَّعامَ والحَطَبَ ويُنْهِيَ مَسْرَحِيَّته».

فَقالَ الطّائِر: «عَزيزي الأَمير، لا يُمْكِنُني فِعْلُ ذلك» وبَدأَ الطّائِرُ يَبْكي.

لَكِنَّ الأَميرَ قال: «أَيُّها الطّائِرُ الصَّغيرُ افْعَلْ ما آمُرُكَ بِه».

وَهَكَذا اقْتَلَعَ الطّائِرُ عَيْنَ الأَميرِ وطارَ بها إلى سَطْحِ الكاتب، وَدَخَلَ الطّائِرُ إلى غُرْفَةِ الكاتِبِ الّذي كانَ مُطْرِقًا ورَأْسُهُ بَيْنَ يَدَيْه، ولَمْ يَسْمَعْ رَفْرَفَةَ جَناحَي الطّائر. ونَظَرَ الكاتِبُ إلى الأَعْلَى وَوَجَدَ ياقوتَةً زَرْقاءَ جَميلَةً على أَزْهارِهِ المُبَعْثَرَة.

وصاحَ الكاتِب: «بَدَأْتُ أَلْقَى تَقْديرًا، وهَذِهِ الياقوتَةُ هِيَ من أَحَدِ المُعْجَبين، الآنَ يُمْكِنُني إِنْهاءُ مَسْرَحِيَّتي». وبَدا الكاتِبُ سَعيدًا.

وفي اليَوْمِ التّالي طارَ الطّائِرُ إلى المَرْفَأ وحَطَّ يُراقِبُ البَحّارَةَ يَشُدُّونَ الحِبال.

وصاحَ الطّائِر: «أَنا ذاهِبٌ إلى مِصْر». لَكِنَّ أَحَدًا لَمْ يُبالِ بِهِ، وعِنْدَما طَلَعَ القَمَرُ عادَ الطّائِرُ إلى الأَميرِ السَّعيد.

وَصَرَخَ الطّائِر: «جِئْتُ لأُوَدِّعَك».

لَكِنَّ الأَميرَ قالَ: «أَيُّها الطّائِرُ الصَّغير، أَلا يُمْكِنُكَ البَقاءُ مَعِي لَيْلَةً أُخْرَى؟»

فَأَجابَ الطّائِرُ: «لَقَدْ جاءَ الشِّتاءُ وَسُرْعانَ ما يَهْطِلُ الثَّلْجُ، وفي مِصْرَ الشَّمْسُ دافِئَةٌ على أَشْجارِ النَّخيلِ ورِفاقي يُشَيِّدونَ عُشًّا في المَعْبَدِ تُراقِبُهُمْ طُيورُ الحَمامِ البِيض. لِذَلِكَ يا عَزيزِي الأَمير يَجِبُ أَنْ أُغادِرَك. لَكِنَّني لَنْ أَنْساك، وفي الرَّبيعِ التالي سَوْفَ أَجْلُبُ لَكَ معي حَبَّتَيْنِ من الجَواهِرِ بَدَلاً مما فَقَدْتَهُ وسَتَحْصُلُ على ياقوتَةٍ أَكْثَرَ احْمِرارًا من الوَرْدَةِ الحَمْراء، وعلى ياقوتَةٍ أَكْثَرَ زُرْقَةً من البَحْر».

فَقالَ الأَميرُ السَّعيد: «في السّاحَةِ أَدْناه تَقِفُ فَتاةٌ صَغيرَةٌ تَبيعُ الكِبْريت، ولَقَدْ سَقَطَ الكِبْريتُ من يَدِها في الماءِ وتَلِف، وسَوْفَ يَضْرِبُها أَبوها إذا عادَتْ إلى المَنْزِلِ دونَ مال. والفَتاةُ تَبْكي ولا حِذاءَ لَدَيْها ورَأْسُها عارٍ. اخْلَعْ عَيْنِيَ الأُخْرَى وأَعْطِها إيّاها حَتَّى لا يَضْرِبَها أَبوها».

وقالَ الطّائِرُ لِلأَمير: «سأَبْقَى مَعَكَ لَيْلَةً أُخْرَى، لَكِنْ لا يُمْكِنُني خَلْعُ عَيْنِكَ الأُخْرَى لأَنَّكَ سَتَفْقِدُ بَصَرَكَ دونَها».

لَكِنَّ الأَمير قالَ: «أَيُّها الطّائِرُ الصَّغير، افْعَلْ ما آمُرُكَ بِه».

وَهَكَذا اقْتَلَعَ الطّائِرُ عَيْنَ الأَميرِ وانْطَلَقَ بِها إلى فَتاةِ الكِبْريتِ وَوَضَعَ الجَوْهَرَةَ في يَدِها. فَصاحَتِ الفَتاةُ الصَّغيرة: «ما هَذِهِ الزُّجاجَةُ الجميلة» وانْطَلَقَتْ إلى المَنْزِلِ ضاحِكَةً سَعيدة.

ثُمَّ عادَ الطّائِرُ إلى الأَميرِ وقالَ لَهُ: «وهَكَذا أَصْبَحْتَ أَعْمَى الآن. ولِذَلِكَ سأَبْقَى مَعَكَ أَبَدًا».

لَكِنَّ الأَميرَ البائِسَ قال: «كَلاّ أَيُّها الطّائِرُ الصَّغير، يَجِبُ أَنْ تَذْهَبَ إلى مِصْر».

وأَعادَ الطّائِرُ قَوْلَه: «سأَبْقَى مَعَكَ أَبَدًا» ونامَ عِنْدَ قَدَمَي الأَمير.

وطَوالَ اليَوْمِ التّالي وَقَفَ الطّائِرُ على كَتِفِ الأَميرِ ورَوَى لَهُ قِصَصًا عَمّا رَآهُ في بِلادٍ غَريبَةٍ وحَدَّثَهُ عَنِ الطُّيورِ المائِيَّةِ التي تَقِفُ في صُفوفٍ طَويلَةٍ على ضِفافِ النِّيلِ وكَيْفَ تَلْتَقِطُ الأَسْماكَ بِمِنْقارِها. كَذَلِكَ حَدَّثَ الطّائِرُ الأَميرَ عن أَبِي الهَوْلِ الّذي يَعيشُ في الصَّحْراءِ ويَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ، وعَنِ التُّجّارِ الذين يَسيرونَ بِبُطْءٍ إلى جانِبِ جِمالِهِم حامِلِينَ سُبُحاتٍ بأَيْديهِم، وعَنِ المَلِكِ الأَسْوَدِ لِجِبالِ القَمَر، وعَنِ الأَفْعَى الخَضْراءِ الكَبيرةِ التي تَنامُ في شَجَرَةِ النَّخيلِ، وعَنِ الكَهَنَةِ الّذين يُغَذُّونَها بالحَلْوَى والعَسَل، وأَخيرًا عن الأَقْزامِ الّذين يُبْحِرونَ على أَوْراقٍ كَبيرةٍ في بُحَيْرَةٍ واسِعَةٍ يُحارِبونَ الفَراشات.

وقالَ الأَمير: «عَزيزِي الطّائِرَ الصَّغير، أَنْتَ تُخْبِرُني أَشْياءَ رائِعَةً لَكِنَّكَ لا تُخْبِرُني بِمُعاناةِ الإِنْسان. أَلا يُمْكِنُكَ أَنْ تَطيرَ فَوْقَ مَدينَتي وتُبْلِغَني ما تَراه فيها؟»

وهَكَذا حَلَّقَ الطّائِرُ فَوْقَ المَدينَةِ ورَأَى الأَغْنِياءَ يَلْهونَ في بُيوتِهِمُ الجَميلة، ورَأَى المُتَسَوِّلينَ جالِسِينَ على الأَبْواب. وطارَ الطّائِرُ بَيْنَ

الأَزِقَّةِ المُظْلِمَةِ لِيَرى الوُجوهَ البَيْضاءَ لأَطْفالٍ يُعانونَ الجوعَ ويُحَدِّقونَ بِكَسَلٍ في الشَّوارِعِ السَّوْداء. ورأى الطّائِرُ تَحْتَ أَحَدِ الجُسورِ صَبِيَّيْنِ صَغيرَيْنِ مُلْتَصِقًا واحِدُهُما بِالآخَرِ طَلَبًا للدِّفْءِ وهُما يَقولان: «كَمْ نَشْعُرُ بالجُوْعِ». وزَجَرَهُما الحارِسُ وقال: «يَجِبُ أَلّا تَجْلِسوا هُنا»، فَتاهوا في المَطَرِ.

ثُمَّ عادَ الطّائِرُ إلى الأَميرِ وأَبْلَغَهُ بِما رَآه.

فَقالَ الأَمير: «أنا مَكْسُوٌّ بالذَّهَبِ الخالِص، وَيَجِب عليكَ أَنْ تَنزِعَ هذا الذَّهَبَ عَنّي وتُعْطِيَهُ للفُقَراءِ، فالإِنسانُ دائمًا يَظُنُّ أَنَّ الذَّهَبَ يُسْعِدُه».

وهكذا خَلَعَ الطّائِرُ وُرَيْقاتِ الذَّهَبِ عَنِ الأَميرِ السَّعيدِ الذي بَدا باهِتًا من دونِها وَوَزَّعَ هَذِهِ الوُرَيْقاتِ بَيْنَ الفُقَراء. فَتَوَرَّدَتْ وُجوهُ الأَطْفالِ الذين تَحَوَّلوا إلى الضَّحِكِ واللَّعِبِ بَيْنَ الشَّوارِعِ صائِحِين: «لَقَدْ أَصْبَحَ لَدَيْنا خُبْزٌ الآن».

ثُمَّ جاءَ الثَّلْجُ وبَعْدَه الصَّقيعُ وبَدَتِ الشَّوارِعُ بَرّاقَةً كما لو أَنَّها مَصْنوعَةٌ من الفِضَّةِ وتَدَلَّتْ بَلُّورِيّاتُ الجليدِ من سُطوحِ المَنازِل. وارْتَدى الجميعُ الفَرْوَ وبَدَأَ الصِّبْيانُ يَتَزَلَّجونَ على الجَليد.

وبَدَأَ الطّائِرُ المِسْكينُ يَشْعُرُ بالبَرْدِ لَكِنَّهُ لَمْ يَتْرُكِ الأَميرَ لأَنَّه كانَ يُحِبُّه كَثيرًا، وكانَ يَعْمَلُ على تَغْطِيَةِ نَفْسِهِ بِكِسْراتِ الخُبْز.

ولَكِنْ في النِّهايَةِ عَرَفَ الطّائِرُ أَنَّه سَيَموتُ رُغْمَ أَنَّهُ احْتَفَظَ بِقُدْرَةِ

الطَّيَرانِ إلى كَتِفِ الأَميرِ مَرَّةً أُخْرى. وتَمْتَمَ الطّائِرُ للأَمير قائِلًا: «وَداعًا، أَلَنْ تَدَعَني أُقَبِّلُ يَدَك؟»

فَقالَ الأَمير: «أنا سَعيدٌ بأَنَّكَ ذاهِبٌ إلى مِصْرَ أَخيرًا فَقَد طالَتْ إقامَتُكَ هُنا، ولَكِنْ يَجِب أَن تُقَبِّلَ شَفَتَيَّ لأَنَّني أُحِبُّكَ».

وقالَ الطّائِر: «لَسْتُ ذاهِبًا إلى مِصْرَ بَلْ إلى دارِ المَوْتِ فالمَوْتُ شَقِيقٌ للنَّوْمِ أَلَيْسَ كَذَلِك؟»

وقَبَّلَ الطّائِرُ شَفَتَي الأَميرِ السَّعيدِ ثُمَّ سَقَطَ مَيْتًا عند قَدَمَيْه.

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ حَدَثَ تَصَدُّعٌ مُثيرٌ داخِلَ التِّمْثالِ كما لَوْ أَنَّ شَيْئًا قَدِ انْكَسَرَ، والحَقيقَةُ هِيَ أَنَّ قَلْبَ التِّمْثالِ انْقَسَمَ إلى قِطْعَتَيْن.

وباكِرًا في الصَّباحِ التالي كانَ مُخْتارُ المدينَةِ يَمْشي في السّاحَةِ بِرِفْقَةِ مُساعِدِه، ومع مُرورِهِم بِعَمودِ التِّمْثالِ نَظَرَ المُخْتارُ إلى التِّمْثالِ ودُهِشَ قائِلًا: «واقَلْباه! كَيْفَ يَبْدو الأَميرُ السَّعيدُ بالِيًا».

وَصاحَ المُساعِد: «إنَّهُ حَقًّا بالٍ» لأَنَّهُ كانَ دائمًا يوافِقُ المُخْتار فيما يقول. وذَهَبَ الاثْنانِ للنَّظَرِ إلى التِّمْثالِ وقالَ المُخْتار: «لَقَد سَقَطَتِ الياقوتَةُ عن سَيْفِ التِّمْثال، وذَهَبَتْ عَيْناه، ولَمْ يَعُدْ مَكْسُوًّا بالذَّهَب، والحَقيقَةُ أَنَّهُ يَبْدو كالمُتَسَوِّل!»

وَرَدَّ المُساعِدُ قائِلًا: «رُبَّما يَبْدو أَفْضَلَ قَليلًا من المُتَسَوِّل».

وتابَعَ المُخْتار: «وهذا طائِرٌ مَيْتٌ عِنْدَ قَدَمَي الأَمير، يَجِب أَنْ

نُصْدِرَ نِداءً بِعَدَمِ السَّماحِ للطُّيورِ بالمَوْتِ هُنا». وسَجَّلَ المُساعِدُ مُلاحَظَةَ المُخْتار.

وَهكَذا أُنزِلَ تِمْثالُ الأميرِ السَّعيدِ عَنْ عَمودِه، وَقالَ أُسْتاذُ الفَنِّ في جامِعَةِ المَدينة: «طالَما أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ جَميلاً فإنَّهُ أَصْبَحَ دونَ فائِدة».

وأُذيبَ التِّمْثالُ وعَقَدَ المُخْتارُ اجتماعًا لِتَحْديدِ ما يُمْكِن فِعْلُهُ بِمَعْدِنِ التِّمْثالِ وقال: «طَبْعًا يَجِب أَنْ يَكونَ لَدَيْنا تِمْثالٌ آخرُ وأَنْ يَكونَ هَذا التِّمْثالُ لي».

وصاحَ المُساعِد: «بَلْ تِمْثالي أَنا» وتَشاجَرَ الجَميعُ وَظَلُّوا مُتَشاجِرين.

وقالَ عامِلُ الفُرْن: «إِنَّهُ لَشَيْءٌ غَريب، فالقَلْبُ المَكْسورُ للتِّمْثالِ لَمْ يَذُبْ ويَجِب أَنْ نَرْمِيَه». وَرُمِيَ القَلْبُ المَكْسورُ في سلَّةِ قُمامَةٍ وُضِعَتْ فيها أيضًا جُثَّةُ الطّائِرِ المَيْت.

وقالَ الله لملائِكَتِهِ: «اجْلُبوا لِي أَثْمَنَ ما في المَدينة» وجَلَبَتِ الملائِكَةُ لله قَلْبَ الأميرِ وجُثَّةَ الطّائِرِ المَيْت.

وقالَ الله: «لَقَدْ أَحْسَنْتُم الاخْتيارَ لأَنَّ هذا الطّائر سَيَظَلُّ يُغَرِّدُ للأَبَدِ في جَنَّةِ الفِرْدَوْس، وسَوْفَ يَعيشُ الأَميرُ السَّعيدُ في مَدينَتي الذَّهَبِيَّةِ حامِدًا لي».

طائِرُ العَنْدَليبِ والوَرْدَة

صاحَ الطّالِبُ الشّاب: «لَقَدْ قالَتْ لي إِنَّها سَتَرْقُصُ مَعي إِذا جَلَبْتُ لَها وَرْدَةً حَمْراء، ولَكِنْ لا تُوجَدُ هَذِهِ الوُرودُ في حَديقَتي».

وسَمِعَهُ طائِرُ العَنْدَليبِ من عُشِّهِ ونَظَرَ إليه مِنْ بَيْنِ أَوْراقِ الشَّجَرِ وتَعَجَّب.

وتابَعَ الشّاب: «لا توجَدُ وَرْدَةٌ حَمْراءُ في حَديقَتي»، وامْتَلأَتْ عَيْناهُ بالدُّموعِ وقال: «آه! كَيْفَ تَعْتَمِدُ السَّعادَةُ أحيانًا على أشياءَ تافِهَة! لَقَدْ قَرأْتُ كُلَّ ما كَتَبَهُ الحُكَماءُ وأَدْرَكْتُ كُلَّ أَسْرارِ الفَلْسَفَةِ ومع ذلك فَحياتي بائِسَةٌ الآنَ بِسَبَبِ الوَرْدَةِ الحَمْراء».

فقالَ العَنْدَليب: «أَخيرًا وَجَدْتُ عاشِقًا حقيقيًا. كُنْتُ أُغَنّي لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ رُغْمَ أَنَّني لَمْ أَعْرِفْه، وكُنْتُ كُلَّ لَيْلَةٍ أُبْلِغُ قِصَّتَهُ للنُّجوم، والآنَ أنا أَراه. شَعْرُهُ داكِنٌ وشَفَتاهُ حَمْراوانِ مِثْلَ زَهْرَةِ أَشْواقِه، لَكِنَّ الحُبَّ جَعَلَ وَجْهَهُ يَبْدو شاحِبًا مِثْلَ العاجِ وأَرْخى الحُزْنُ ثِقْلَهُ على حاجِبَيْه».

وتَمْتَمَ الشّابُ قائِلاً: «تُقامُ لَيلَ غَدٍ حَفْلَةٌ وسَوْفَ تَحْضُرُها مَحْبوبَتي، وإذا جَلَبْتُ لَها وَرْدَةً حَمْراءَ سَتَرْقُصُ معي حتّى الفَجْر، وسأَضُمُّها بَيْنَ ذِراعَيَّ وسَوْفَ تَحْني رأسَها على كَتِفَيَّ وتَشْبِكُ يَدَها

في يَدِي. لَكِنْ لا تُوْجَدُ وُرودٌ حَمْراءُ في حَديقَتي، لهذا سأَبْقى وَحيدًا مُسْتَوْحِشًا وسَوْفَ تَمُرُّ بي مَحْبوبَتي دونَ اهتمام، وعِنْدَها سيَتَحَطَّمُ قَلْبي».

وقالَ العَنْدَليب: «إنَّهُ حَقًّا عاشِقٌ حَقِيقِيٌّ وأَنا أُنْشِدُ ما يُعانيه، وما هُوَ فَرَحٌ عِنْدي هُوَ أَلَمٌ عِنْدَه. حقًّا إنَّ الحُبَّ شَيْءٌ رائعٌ وهُوَ أَثْمَنُ من الزُّمُرُّدِ والياقوتِ وأَعَزُّ من اللُّؤلؤ، بَلْ إنَّهُ شَيْءٌ لا يُمْكِنُنا شِراؤهُ ولا يُمْكِنُنا زِنَتُهُ مِثْلَ الذَّهَب».

وتابَعَ الشّابُّ كَلامَه: «سَوْفَ يَجْلِسُ الموسيقِيّونَ في قاعَتِهم ويَعْزِفونَ بِأَدَواتِهم، وسَتَرْقُصُ مَحْبوبَتي على أَنغامِ القيثارةِ بخِفَّةٍ بِحَيْثُ لا تَطَأُ قَدَماها الأَرْض، وسيَتَحَلَّقُ حَوْلَها المُعْجَبون. لَكِنَّها لَنْ تَرْقُصَ مَعي لأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدي وَرْدَةٌ حَمْراءُ لَها».

وأَطْرَقَ الشّابُّ برأْسِهِ ودَفَنَ وَجْهَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وبَكَى.

وسأَلَتِ السَّقّايَةُ الخَضْراءُ مع مُرورِها بِجانِبِ الشّاب: «لماذا يَبْكِي هذا الشّابُّ؟»

وَرَدَّتِ الفَراشَةُ مُتَسائِلَةً: «حَقًّا لماذا يَبْكِي هذا الشّابُّ؟»

فَقالَ العَنْدَليب: «إنَّهُ يَبْكِي لِيَحْصُلَ عَلَى وَرْدَةٍ حَمْراء». لَكِنَّ السَّقّايَةَ والفَراشَةَ صاحَتا: «أَيَبْكِي مِنْ أَجْلِ وَرْدَةٍ حَمْراء؟! إنَّها سَخافَة». وأَطْلَقَتِ السَّقّايَةُ ضِحْكَةً ساخِرَة.

لكِنَّ طائِرَ العَنْدَليب فَهِمَ سِرَّ حُزْنِ الشّاب وجَلَسَ صامِتًا في شَجَرَةِ السِّنْديانِ يُفَكِّرُ في لُغْزِ الحُب.

وفَجْأَةً مَدَّ العَنْدَليبُ جَناحَيْهِ استعدادًا للتَّحليقِ وانْطَلَقَ في الهواءِ مِثْلَ الظِّلّ.

وفي قَلْبِ إحْدَى الحَدائِقِ وَقَفَتْ شَجَرَةُ وَرْدٍ جَميلَةٌ وعِنْدَما رآها العَنْدَليبُ طارَ صَوْبَها وَصاح: «أَعْطيني وَرْدَةً حَمْراءَ وسَوْفَ أُغَنّي لَكِ أَجْمَلَ أُغْنِيَة».

لَكِنَّ الشَّجَرَةَ هَزَّتْ رأْسَها رافِضَةً وأَجابت: «وُرودي بَيْضاءُ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ وأَكْثَر بَياضًا من الثَّلْجِ على الجِبال، ولَكِنْ يُمْكِنُكَ الذَّهابُ إلى شَقيقَتي لِتُعْطيكَ ما تُريدُه».

وهَكَذا طارَ العَنْدَليبُ إلى شَجَرَةِ الوَرْدِ الأُخْرى وصاحَ لَها: «أَعْطيني وَرْدَةً حَمْراءَ وسَوْفَ أُغَنِّي لَكِ أَجْمَلَ أُغْنِيَة».

لَكِنَّ الشَّجَرَةَ هَزَّتْ رأْسَها رافِضَةً وأَجابتْ: «وُرودي صَفْراءُ مِثْلَ شَعْرِ الأَميرَةِ التي تَجْلِسُ على العَرْشِ وأَكْثَرُ صَفارًا من زَهْرِ النَّرْجِس. ولَكِنْ يُمْكِنُكَ الذَّهابُ إلى شَقيقَتي التي تَقِفُ تَحْتَ نافِذَةِ الشّابِّ ورُبَّما تُعْطيكَ ما تُريدُه».

وهَكَذا طارَ العَنْدَليبُ إلى شَجَرَةِ الوَرْدِ تَحْتَ نافِذَةِ الشّابِّ وصاحَ لَها: «أَعْطيني وَرْدَةً حَمْراءَ وسَوْفَ أُغَنِّي لَكِ أَجْمَلَ أُغْنِيَة».

لَكِنَّ الشَّجَرَةَ هَزَّتْ رأْسَها رافِضَةً وقالَت: «وُرودي حَمْراءُ مِثلَ قَدَمَي الحَمامَةِ وأَكْثَرُ احْمِرارًا من مَرْجانِ البَحْرِ. لَكِنَّ الشِّتاءَ جَفَّفَ عُروقي وقَطَّعَتِ العاصِفَةُ غُصوني وجَرَّدَني الصَّقيعُ من البَراعِمِ، ولَنْ أَحْمِلَ الوُرودَ هَذِهِ السَّنة».

وصاحَ العَنْدَليبُ ثانيةً: «كُلُّ ما أُريدُهُ هو وَرْدَةٌ واحدةٌ فقط، ألا يُمْكِنُني الحُصولُ عَلَيْها؟».

فأَجابَتِ الشَّجَرةُ: «تُوجَدُ وَسيلةٌ للحُصولِ على الوَرْدَةِ الحَمْراءِ، لَكِنَّها رَهيبةٌ إلى حَدِّ أنَّني لا أَجْرُؤ على إبْلاغِكَ بها».

فقالَ العَنْدَليبُ: «أَخْبِريني ما هِيَ ولَنْ أَخاف».

فقالَتِ الشَّجَرَةُ: «إذا كُنْتَ تُريدُ وَرْدَةً حَمْراءَ يَجِبُ أَن تَبْنِيَ واحِدَةً بالموسيقى في ضَوْءِ القَمَرِ وتَصْبُغُها بِدَمِ قَلْبِكَ. ثُمَّ عليكَ أَنْ تُغَرِّدَ لي طَوالَ اللَّيْلِ مُسْنِدًا نَفْسَكَ إلى الشَّوْك، ويَجِب أَنْ يَثْقُبَ هذا الشَّوْكُ قَلْبَكَ بِحَيْثُ يَتَدَفَّقُ دَمُكَ في عُروقي وتُصْبِحُ مُلْكًا لي».

لَكِنَّ العَنْدَليبَ صاح: «المَوْتُ هو ثَمَنٌ غالٍ لِلحُصولِ على وَرْدَةٍ حَمْراءَ والحَياةُ عَزيزَةٌ علينا كُلِّنا، ومِنَ المُمْتِعِ الجُلوسُ في الغابَةِ الخَضْراءِ لِمُراقَبَةِ الشَّمْسِ في طَوْقِها الذَّهَبِيِّ والقَمَرِ في طَوْقِهِ اللُّؤْلُؤِي. وما أَحْلَى رائِحَةَ الشَّوْكِ وأَعْشابَ الوِدْيانِ والنَّسيمَ الذي يَهُبُّ عَبْرَها. ومَعَ ذَلِكَ فإِنَّ الحُبَّ أَفْضَلُ من الحَياة، وما هُوَ قَلْبُ الطّائِرِ بالمُقارَنَةِ مَعَ قَلْبِ الإِنْسانِ؟»

وهَكَذا مَدَّ العَنْدَليبُ جَناحَيْهِ اسْتِعْدادًا للتَّحْليقِ وانْطَلَقَ في الهَواءِ ومَرَّ فَوْقَ الحَديقَةِ مِثْلَ الظِّل. كانَ الشّابُّ لا يَزالُ مُسْتَلْقِيًا على العُشْبِ حَيْثُ تَرَكَهُ ولَمْ تَكُنْ دُموعُهُ قد جَفَّتْ بَعْد في عَيْنَيْهِ الجَميلتَيْن.

وصَرَخَ العَنْدَليبُ: «كُنْ سَعيدًا أَيُّها الشّابُّ فسَوْفَ تَحْصُلُ على وَرْدَتِكَ الحَمراء، وسَوْفَ أَبْنيها لَكَ بالموسِيقَى تَحْتَ ضَوْءِ القَمَر، وسَوْفَ أَصْبُغُها بِدَمِ قَلْبِي. وكُلُّ ما أَطْلُبُهُ مِنْكَ مُقابِلَ ذلِكَ هو أَنْ تكون عاشِقًا حَقيقِيًا لأَنَّ الحُبَّ هُوَ أَكْثَرُ حِكْمَةً من الفَلْسَفَةِ وأَقْوَى من السُّلْطَة. فالحُبُّ تَتَلَوَّنُ أَجْنِحَتُهُ باللَّهيب، وشَفَتاهُ حُلْوَتانِ مِثْلَ العَسَل، ونَفَسُهُ عِطرٌ مِثْلَ البَخُور».

ونَظَرَ الشّابُّ إلى الأَعْلَى وأَطْرَقَ مُنْصِتًا لِلعَنْدَليب، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ ما كانَ يَقولُهُ لَهُ لأَنَّهُ كانَ يَعْرِفُ ما هُوَ مَكْتوبٌ في الكُتُبِ فَقَط.

لَكِنَّ شَجَرَةَ السِّنْديانِ فَهِمَتْ ما يَقولُهُ العَنْدَليبُ وشَعَرَتْ بالحُزْنِ لأَنَّها كانَتْ مولَعَةً بالعَنْدَليبِ الصَّغيرِ الذي بَنَى لَهُ عُشًّا في أَغْصانِها.

وقالَتِ السِّنْديانَةُ لِلْعَنْدَليب: «أَنْشِدْني أُغْنِيَةً أَخيرةً لأَنَّني سأَشْعُرُ بالوَحْدَةِ بَعْدَ ذَهابِك».

وهَكَذا أَنْشَدَ العَنْدَليبُ أُغْنِيَةً للسِّنْديانَةِ وَكانَ صَوْتُهُ مِثْلَ صَريرِ الماء.

وعِنْدَما أَنْهَى العَنْدَليبُ أُنْشودَتَهُ وَقَفَ الشابُّ وَسَحَبَ دَفْتَرًا وَقَلَمًا

مِنْ جَيْبِهِ، وَمَشَى عَبْرَ الحَدِيقَةِ وقالَ لِنَفسه: «أَيُمْكِنُ أَنْ يَكونَ لِلْعَنْدَليبِ مَشاعِرُ وأَحاسِيس؟ طَبْعًا لا، وفي الحَقيقَةِ هو مِثْلُ كُلِّ الفَنّانينَ مُؤَلَّفٌ من شَكْلٍ وأُسْلوبٍ دونَ مَضْمون. وَهُوَ لا يُمْكِنُ أَنْ يُضَحِّيَ بِنَفْسِهِ من أَجْلِ الآخَرينَ لأَنَّهُ لا يُفَكِّرُ إِلّا في الموسيقى، والجميعُ يَعْرِفُ أَنَّ الفُنونَ أَنانِيَّة. ومَعَ ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ نَعْتَرِفَ بِجمالِ صَوْتِهِ رُغْمَ حَسْرَتِنا بأَن لا مَعْنًى في هذا الصَّوْتِ وهُوَ لا يُؤَدِّي أَيَّ فِعْلٍ جَيِّد».

وذَهَبَ الشّابُّ إلى غُرْفَتِهِ واسْتَلْقَى على سَرِيرِهِ وبَدَأَ يُفَكِّرُ في حُبِّهِ ثُمَّ نام.

وعِنْدَما شَعَّ القَمَرُ في السَّماءِ طارَ العَنْدَليبُ إلى شَجَرَةِ الوَرْدِ وَجَلَسَ في صَدْرِها تِجاهَ الشَّوْك. وغَنَّى العَنْدَليبُ للشَّجَرَةِ طوالَ اللَّيْلِ مُسْنِدًا صَدْرَهُ إلى الشَّوْكِ حَتَّى إِنَّ القَمَرَ البَلّوريَّ نَزَلَ عَبْرَ السَّماءِ لِيَسْمَعَ تَغْريدَه. وغَنَّى العَنْدَليبُ طَوالَ اللَّيْلِ ودَخَلَ الشَّوْكُ أَكْثَرَ عُمْقًا في صَدْرِهِ حَتَّى أَخْرَجَ كُلَّ الدَّمِ مِنْه.

غَنَّى العَنْدَليبُ أَوَّلًا أُنْشودَةَ وِلادَةِ الحُبِّ في قَلْبِ صَبِيٍّ وَبِنْت، فَطَلَعَتْ على قِمَّةِ الشَّجَرَةِ وَرْدَةٌ حَمْراءُ رائِعَةٌ بِوَرَقَةٍ تِلْوَ الأُخْرَى مع كُلِّ أُغْنِيَةٍ تِلْوَ الأُخْرَى.

كانَتِ الوَرْدَةُ شاحِبَةً في البِدايَةِ مِثْلَ الضَّبابِ ونُورِ الصَّباحِ ولَوْنُها فِضِّيٌّ مِثْلَ نُورِ الفَجْرِ وَمِثْلَ ظِلِّ الوَرْدَةِ في المِرْآةِ وفي بِرْكَةِ الماء. هَكَذا كانَتِ الوَرْدَةُ التي تَفَتَّحَتْ على قِمَّةِ الشَّجَرَة.

لَكِنَّ الشَّجَرَةَ صاحَتْ لِلْعَنْدَليبِ بِأَنْ يَضْغَطَ نَفْسَهُ أَكْثَرَ وأَكْثَرَ إلى الشَّوْك: «اضْغَطْ بِقُوَّةٍ أَيُّها العَنْدَليبُ الصَّغيرُ حَتَّى لا يَطْلُعَ النَّهارُ قَبْلَ طُلوعِ الوَرْدَة».

وَهَكَذا ضَغَطَ العَنْدَليبُ نَفْسَهُ أَكْثَرَ تِجاهَ الشَّوْكِ وارْتَفَعَ صَوْتُ أُنْشودَتِهِ أَعْلَى وأَعْلَى لأَنَّهُ وَصَلَ لِيُغَنِّيَ وِلادَةَ الحُبِّ في روحِ رَجُلٍ وامْرَأَة.

وتَوَرَّدَتْ أَوْراقُ الوَرْدَةِ مِثْلَ تَوَرُّدِ وَجْهِ الفَتاةِ المَخْطوبَةِ الّتي يُقَبِّلُها خَطيبُها. لَكِنَّ الشَّوْكَ لَمْ يَصِلْ بَعْدُ إلى قَلْبِ العَنْدَليب. وهَكَذا بَقِيَ قَلْبُ الوَرْدَةِ أَبْيَضَ لأَنَّهُ لا يُمْكِنُ لِغَيْرِ دَمِ العَنْدَليبِ أَنْ يُلَوِّنَ قَلْبَ الوَرْدَة.

وصاحَتِ الشَّجَرَةُ لِلْعَنْدَليبِ بِأَنْ يَضْغَطَ أَكْثَرَ تِجاهَ الشَّوْك: «اضْغَطْ بِقُوَّةٍ أَيُّها العَنْدَليبُ حَتَّى لا يَأْتِيَ النَّهارُ قَبْلَ طُلوعِ الوَرْدَة».

وهَكَذا ضَغَطَ العَنْدَليبُ نَفْسَهُ تِجاهَ الشَّوْكِ حَتَّى لامَسَ الشَّوْكُ قَلْبَهُ وأَحَسَّ بِأَلَمٍ قَوِيّ. كانَ الأَلَمُ شَديدًا بِحَيْثُ اشْتَدَّتِ الأُغْنِيَةُ حَماسًا لأَنَّها كانَتْ عَنِ الحُبِّ الّذي يَكْتَمِلُ بِالمَوْتِ والحُبِّ الذي لا يَموتُ في القَبْر.

وأَيْنَعَتِ الوَرْدَةُ الحَمْراءُ مِثْلَ نَجْمَةِ السَّماءِ وأَصْبَحَتْ لَها أَوْراقٌ حَمْراءُ وقَلْبٌ أَحْمَرُ مِثْلَ الياقوتِ الأَحْمَر.

لَكِنَّ صَوْتَ العَنْدَليبِ ضَعُفَ وَبَدَأَتْ أَجْنِحَتُهُ الصَّغيرةُ بِالخَفَقان، وظَهَرَتْ غِشاوَةٌ على عَيْنَيْهِ وَضَعُفَتِ الأُنْشودَةُ وشَعَرَ العَنْدَليبُ بالخُناقِ في حَلْقِه.

ثُمَّ أَطْلَقَ العَنْدَليبُ آخِرَ صَرْخَةٍ موسيقِيَّةٍ سَمِعَها القَمَرُ الأَبْيَضُ الذي نَسِيَ طُلوعَ الفَجْرِ وثَبَتَ في السَّماء. وسَمِعَتِ الوَرْدَةُ الحَمْراءُ الصَّرْخَةَ وارْتَجَفَتْ بالنَّشْوَةِ وفَتَحَتْ أَوْراقَها لِهَواءِ الصَّباحِ البارِد. وانْطَلَقَ صَدَى الصَّرْخَةِ في التِّلالِ وأَيْقَظَ الرُّعاةَ النّائمينَ من أَحْلامِهِم، وعامَتِ الصَّرْخَةُ على قَصَباتِ النَّهْرِ فَحَمَلَتْ هذه القَصَباتُ الصَّرْخَةَ إلى البَحْر.

وصاحَتِ الشَّجَرَةُ: «انظُرْ، انظُرْ! لَقَد أَيْنَعَتِ الوَرْدَةُ الآن». لَكِنَّ العَنْدَليبَ لَمْ يُجِبْها لأَنَّهُ كانَ يَقْبَعُ مَيْتًا في العُشْبِ والشَّوْكُ في قَلْبِه.

وعِنْدَ الظُّهْرِ فَتَحَ الشّابُّ نافِذَتَهُ ونَظَرَ إلى الخارجِ وصاح: «ما هذا الحظُّ العجيب، فأنا أَرَى وَرْدَةً حَمْراءَ لم أَرَ مِثْلَها من قبلُ في حَياتي وهي جَميلةٌ جدًّا» وانْحَنَى الشّابُّ والْتَقَطَ الوَرْدَة.

ثُمَّ ارْتَدَى الشّابُّ قُبَّعَتَهُ ورَكَضَ إلى مَنْزِلِ أُسْتاذِهِ حامِلاً الوَرْدَةَ بِيَدِه.

كانَتِ ابْنَةُ الأُسْتاذِ جالِسَةً على البابِ تَحوكُ الحَريرَ الأَزْرَقَ وكَلْبُها الصَّغيرُ عِنْدَ قَدَمَيْها.

وصاحَ الشّاب: «قُلْتِ لي إنَّكِ سَتَرْقُصينَ مَعي إذا جَلَبْتُ لَكِ وَرْدَةً حَمْراء، وإلَيْكِ أَفْضَلَ وَرْدَةٍ حَمْراءَ في العالَم. يُمْكِنُكِ وَضْعُ هذه الوَرْدَةِ اللَّيْلَةَ قُرْبَ قَلْبِكِ وسَتُبْلِغُكِ خلالَ رَقْصِنا كَمْ أُحِبُّكِ».

لَكِنَّ الفَتاةَ عَبَسَتْ وأَجابَت: «لا أَظُنُّ أَنَّني سأَذْهَبُ بِهَذا الفُسْتانِ إلى الحَفْلَة، ولَقَد أَرْسَلَ لي شابٌّ آخرُ بَعْضَ الجَواهِرِ الحَقيقيَّةِ والكُلُّ يَعْرِفُ أَنَّ الجَواهِرَ هي أَثْمَنُ من الوُرود».

فقالَ الشّابُّ غاضِبًا: «حَقًّا أَنْتِ ناكِرَةُ الجَميل» ورَمَى الوَرْدَةَ في الشّارِعِ حَيْثُ داسَتْ عَلَيْها العَرَبات.

فَقالَتِ الفَتاةُ: «أَنا ناكِرَةُ الجَميل؟! وأَنْتَ حَقًّا وَقِح، ومَنْ أَنْتَ لِتُكَلِّمَني هَكَذا؟ أَنْتَ مُجَرَّدُ شابٍّ حتّى إنَّكَ لا يُمْكِنُ أَنْ تَرْتَدِيَ حِذاءً مِثْلَ الشّابِّ الّذي أَرْسَلَ لي الجَواهِر». وَقامَتِ الفَتاةُ من كُرْسِيِّها وذَهَبَتْ إلى المَنْزِل.

ومَشَى الشّابُّ بَعيدًا وقال: «كَمْ هو سَخيفٌ الحُبُّ، وهُوَ لَيْسَ بِمِقْدارِ فائِدَةِ المَنْطِقِ لأَنَّهُ لا يُثْبِتُ شَيْئًا بَلْ يُبْلِغُنا دائِمًا بأَشياءَ لَنْ تَحْصُلَ ويَجْعَلُ المَرْءَ يُؤْمِنُ بأَشياءَ غَيْرِ صَحيحَة. والحَقيقةُ أَنَّ الحُبَّ غَيْرُ واقِعِيّ. وَحَيْثُ إنَّ هَذا العَصْرَ هُوَ عَصْرُ الواقِعِيَّةِ سأَعودُ إلى الفَلْسَفَةِ وأَدْرُسُ عِلْمَ ما فَوْقَ الطَّبيعَة».

وهَكَذا عادَ الشّابُّ إلى غُرْفَتِهِ وَسَحَبَ كِتابًا غَطّاهُ الغُبارُ وبَدَأَ يَقْرأ.

العِملاقُ الأنانيّ

بَعْدَ ظُهْرِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَعَ خُروجِهِمْ مِنَ المَدْرَسَةِ، كانَ الأَطْفالُ يَذْهَبونَ لِلَّعِبِ في حَديقَةِ العِمْلاقِ. كانَتْ هَذِهِ الحَديقَةُ كَبيرةً وجَميلَةً ومُغَطّاةً بالعُشْبِ الأَخْضَرِ، وفَوْقَ العُشْبِ كانَتْ تَقِفُ الأَزْهارُ الجَميلةُ مِثْلَ بُروزِ النُّجومِ في السَّماءِ إلى جانِبِ بِضْعِ شُجَيْراتٍ تُزْهِرُ في الرَّبيعِ وفي الخَريفِ تُثْمِرُ. وكانَتِ الطُّيورُ تَجْلِسُ على الأَشْجارِ وتُغَنّي بِعُذوبَةٍ تَدْعو الأَطْفالَ إلى التَّوَقُّفِ عَنِ اللَّعِبِ للاسْتِماعِ إليها. ويَصيحُ الأَطْفالُ: «كَمْ نَشْعُرُ بالسَّعادَةِ هُنا».

وفي أَحَدِ الأَيّامِ عادَ العِمْلاقُ بَعْدَ زِيارَةِ صَديقِهِ لأَنَّهُ صَمَّمَ على العَوْدَةِ إلى قَلْعَتِهِ بَعْدَ سَبْعِ سَنَوات.

وعِنْدَما وَصَلَ العِمْلاقُ رأى الأَطْفالَ يَلْعَبونَ في الحَديقَةِ وصاحَ بِصَوْتٍ فَظٍّ: «ماذا تَفْعَلونَ هُنا؟» فَهَرَبَ الأَطْفال.

وتابَعَ العِمْلاقُ كَلامَهُ: «الحديقةُ حَديقَتي، والجميعُ يَعْرِفُ ذَلِكَ ولَنْ أَسْمَحَ لِغَيْري باللَّعِبِ فيها». وَهَكَذا بَنى العِمْلاقُ حائطًا كَبيرًا حَوْلَ الحَديقَةِ وَوَضَعَ عَلَيْهِ لَوْحَةً تَقول: «مَمْنوعٌ الدُّخولُ تَحْتَ طائِلَةِ العِقاب». كانَ العِمْلاقُ أنانيًا لِلْغايَة.



وَلَمْ يَبْقَ لِلأَطْفالِ أَيُّ مَكانٍ لِلَّعِبِ فَحاوَلوا اللَّعِبَ في الشّارع. لَكِنَّ الشّارِعَ كانَ مَلِيئًا بالغُبارِ والحِجارَةِ ولَمْ يُعْجِبِ الأَطْفالَ الذين عادوا يَحومونَ حَوْلَ حائِطِ الحَديقَةِ ويَتَحَدَّثونَ عَنِ الحَديقَةِ الواقِعَةِ خَلْفَه.

ثُمَّ جاءَ الرَّبيعُ وأَزْهَرَتِ الأَشْجارُ في كُلِّ أَنْحاءِ البِلادِ وانْطَلَقَتِ الطُّيورُ الصَّغيرَةُ في تَحْليقِها، لَكِنَّ حَديقَةَ العِمْلاقِ الأَنانيِّ بَقِيَتْ تَرْتَدي حُلَّةَ الشِّتاءِ ولَمْ تَهْتَمَّ الطُّيورُ بالغِناءِ فيها لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فيها أَطْفالٌ والأَشْجارُ فيها لَمْ تُزْهِرْ. وفي أَحَدِ الأَيّامِ أَخْرَجَتْ زَهْرَةٌ جَميلَةٌ رأْسَها من العُشْبِ وعِنْدَما رأَتِ اللَّوْحَةَ التي وَضَعَها العِمْلاقُ أَسِفَتْ لِلأَطْفالِ بِحَيْثُ انزَلَقَتْ عائِدَةً إلى الأَرْضِ وَنامت.

كانَ الثَّلْجُ والصَّقيعُ هُما كُلَّ مَنْ فَرِحَ بالحَديقَةِ وصاحا: «لَقَدْ نَسِيَ الرَّبيعُ هَذِهِ الحَديقَةَ، لِذَلِكَ سَنَعيشُ هُنا على مَدارِ السَّنَة». وغَطَّى الثَّلْجُ العُشْبَ بِرِدائِهِ الأَبْيَضِ ولَوَّنَ الصَّقيعُ الأَشْجارَ بِاللَّوْنِ الفِضِّيِّ ودَعا الثَّلْجُ والصَّقيعُ ريحَ الشَّمالِ لِلْبَقاءِ معهما. وجاءَتِ الرّيحُ مُغَلَّفَةً بالفَرْوِ تُزَمْجِرُ كُلَّ النَّهارِ في الحَديقَة.

وقالَتِ الرّيحُ: «هَذِهِ بُقْعَةٌ مُمْتِعَةٌ وَتَحُثُّنا على دَعْوَةِ البَرَد». وهَكَذا جاءَ البَرَدُ وأَرْخَى ثِقْلَهُ عَلَى سَطحِ القَلْعَةِ حتّى صَدَّعَها. ثُمَّ رَكَضَ البَرَدُ حَوْلَ الحَديقَةِ بأَقْصَى سُرْعَةٍ مُرْتَدِيًا ثَوْبًا رَمادِيًا ومُطْلِقًا أَنْفاسًا جَليدِيَّة.

وقالَ العِمْلاقُ الأَنانيُّ: «لا أَفْهَمُ لِماذا تَأَخَّرَ الرَّبيع»! وأَلْقَى العِمْلاقُ نَظْرَةً مِنَ النّافِذَةِ إلى الحَديقَةِ البَيْضاءِ البارِدَةِ وتابَعَ يَقولُ: «آمُلُ أَنْ يَحصُلَ تَغَيُّرٌ في الطَّقْس».

لَكِنَّ الرَّبيعَ لَمْ يأْتِ وكَذَلِكَ لَمْ يأْتِ الصَّيْفُ وأَثْمَرَتْ كُلُّ الحَدائِقِ في الخَريفِ سِوى حَديقَةِ العِمْلاق. وقالَ الخَريفُ: «إِنَّهُ أَنانيٌّ جِدًّا ولِذَلِكَ يَبْقَى الشِّتاءُ هُنا دائِمًا ومَعَهُ الرّيحُ الشَّمالِيَّةُ والبَرَدُ والصَّقيع. ولِذَلِكَ يَرْقُصُ الثَّلْجُ بَيْنَ الأَشْجار».

وفي صَباحِ أَحَدِ الأَيّامِ كانَ العِمْلاقُ مُسْتَلْقِيًا في سَريرِهِ عِنْدَما سَمِعَ مُوسيقَى جَميلَةً بَدَتْ عَذْبَةً في أُذُنَيْهِ بِحَيْثُ ظَنَّ أَنَّها مُوسيقَى المَلِك. والحَقيقَةُ كانَتْ أَنَّ طائِرًا مُغَرِّدًا كانَ يُغَنّي خارِجَ النّافِذَة. لَكِنَّ العِمْلاقَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ قَبْلُ طَيْرًا يُغَنّي في حَديقَتِهِ بِحَيْثُ بَدا لَهُ صَوْتُ الطّائِرِ أَفْضَلَ موسيقَى في العالَم.

ثُمَّ تَوَقَّفَ البَرَدُ عَنِ الرَّقْصِ فَوْقَ الحَديقَةِ وتَوَقَّفَتِ الرّيحُ الشَّمالِيَّةُ عن الزَّمْجَرَةِ وفاحَ عِطْرٌ لَذيذٌ من النّافِذَة. فَقالَ العِمْلاقُ: «أَظُنُّ أَنَّ الرَّبيعَ قَدْ جاءَ أَخيرًا». وقَفَزَ العِمْلاقُ من سَريرِهِ ونَظَرَ إلى الخارِجِ فرأَى مَشْهَدًا عَجيبًا. فَقَدْ تَسَلَّلَ الأَطْفالُ من خِلالِ حُفْرَةٍ صَغيرَةٍ في حائِطِ الحَديقَةِ وجَلَسوا على أَغْصانِ الأَشْجار. وَرأَى العِمْلاقُ طِفْلاً واحِدًا على الأَقَلِّ فَوْقَ كُلِّ شَجَرَةٍ في الحَديقَة. وَسَعِدَتِ الأَشْجارُ بِعَوْدَةِ الأَطْفالِ بِحَيْثُ أَزْهَرَتْ ثانِيَةً وبَدَأَتْ تُلَوِّحُ بأَغْصانِها فَوْقَ رُؤوسِ الأَطْفال. وبَدأَتِ الطُّيورُ تُحلِّقُ في الحَديقَةِ بِكُلِّ سَعادَة، وبَدأَت

الأَزْهارُ في الأَرْضِ تَخْرُجُ من العُشْبِ الأَخْضَرِ ضاحِكَةً. كانَ المَشْهَدُ رائِعًا وقد انْزَوَى الشِّتاءُ في أَبْعَدِ زَوايا الحَديقَةِ حَيْثُ وَقَفَ أيضًا طِفْلٌ صَغير. كانَ هَذا الطِّفْلُ صَغيرًا بِحَيْثُ لَمْ يَتَمَكَّنْ من الوُصولِ إلى أَغْصانِ الأَشْجارِ وبَقِيَ يَتَجَوَّلُ في الحَديقَةِ باكِيًا بِمَرارَة. وهَكَذا بَقِيَتْ شَجَرَةُ تِلْكَ الزاوِيَةِ مُغَطّاةً بالثَّلْجِ والصَّقيع وظَلَّتِ الرِّيحُ الشَّمالِيَّةُ تَهُبُّ وتُزَمْجِرُ حَوْلَها. وقالَتِ الشَّجَرَةُ لِلطِّفْل: «اقْفِزْ إِلَيَّ أَيُّها الطِّفْلُ الصَّغيرُ». ولَوَتِ الشَّجَرَةُ أَغْصانَها لِيَتَمَكَّنَ الطِّفْلُ مِنَ الصُّعودِ إليها. لَكِنَّ الطِّفْلَ كانَ صَغيرًا جِدًّا.

وَذابَ قَلْبُ العِمْلاقِ مَعَ تَحْديقِهِ بالحَديقَةِ وَقال: «كَمْ كُنْتُ أَنانِيًّا، والآنَ أَعْرِفُ لماذا لَمْ يأْتِ الرَّبيعُ إلى هُنا. سَوْفَ أَضَعُ هَذا الطِّفْلَ الصَّغيرَ عَلَى قِمَّةِ الشَّجَرَةِ ثُمَّ أَهْدِمُ الحائِطَ فَتُصْبِحُ حَديقَتي مَلْعَبًا أَبَدِيًّا لِلأَطْفال».

لَقَدْ أَسِفَ العِمْلاقُ حَقًّا لِما فَعَلَه.

وهَكَذا نَزَلَ العِمْلاقُ مِنَ القَلْعَةِ وفَتَحَ بابَها بِرِفْقٍ وخَرَجَ إلى الحَديقَة. ولَكِنَّ الأَطْفالَ ارْتَعَبوا لِرُؤْيَتِه وَهَرَبوا جَميعًا فَعادَتِ الحَديقَةُ إلى الشِّتاء.

لَكِنَّ الطِّفْلَ الصَّغيرَ لَمْ يَهْرُبْ لأَنَّ عَيْنَيْهِ كانَتا مَليئَتَيْنِ بالدُّموعِ بِحَيْثُ لَمْ يَرَ العِمْلاقَ قادِمًا. وتَسَلَّلَ العِمْلاقُ خَلْفَ الطِّفْلِ وَوَضَعَهُ على الشَّجَرَةِ فأَزْهَرَتْ في الحالِ وجاءَتِ الطُّيورُ تُغَرِّدُ عَلَيْها وَطَوَّقَ الطِّفْلُ الصَّغيرُ عُنُقَ العِمْلاقِ بِذِراعَيْهِ وَقَبَّلَه. وعِنْدَما رأَى بَقِيَّةُ الأَطْفالِ أَنَّ

العِمْلاقَ لَمْ يَعُدْ شِرِّيرًا عادوا راكِضينَ إلى الحَديقَةِ وَجاءَ الرَّبيعُ مَعَهُم.

وقالَ العِمْلاق: «إِنَّها حَديقَتُكُم الآن أَيُّها الأَطْفالُ الصِّغار». وحَمَلَ العِمْلاقُ فأْسًا كَبيرةً وَهَدَمَ حائِطَ الحَديقَة. ولَدَى ذَهابِ النّاسِ إلى السُّوقِ وَجَدوا العِمْلاقَ يَلْعَبُ مع الأَطْفالِ في أَجْمَلِ حَديقَةٍ شاهَدوها.

ولَعِبَ الأَطْفالُ طَوالَ النَّهار. وفي المَساءِ جاؤوا لِتَوْديعِ العِمْلاقِ الذي قالَ لَهُم: «ولَكِنْ أَيْنَ رَفيقُكُمُ الصَّغيرُ الذي وَضَعْتُهُ فَوْقَ الشَّجَرَة؟» ذَلِكَ لأَنَّ العِمْلاقَ كانَ يُكِنُّ للطِّفْلِ الذي قَبَّلَهُ أَفْضَلَ حُبّ.

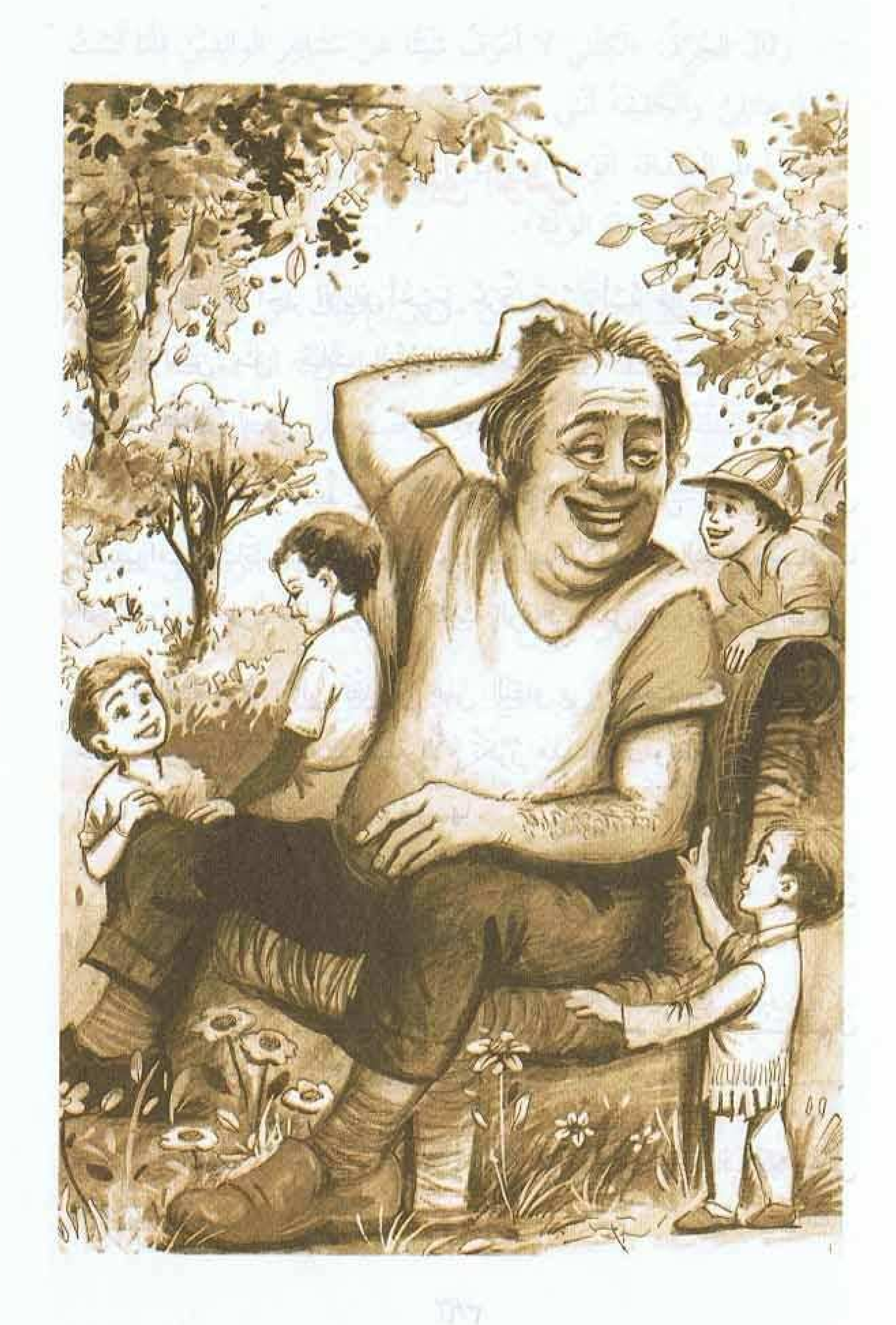
وأَجابَ الأَطْفال: «لا نَعْرِفُ فَلَقَدْ ذَهَبَ بَعيدًا».

فَقالَ العِمْلاقُ: «يَجِبُ أَنْ تُبْلِغوهُ بِأَنَّ عَلَيهِ أَنْ يأْتِيَ إلى هُنا في الغَد».

لَكِنَّ الأَطْفالَ قالوا إِنَّهُمْ لا يَعْرِفونَ أَيْنَ يَعيشُ الطِّفْلُ ولَمْ يَسْبِقْ أَنْ شاهَدوهُ مِنْ قَبْل. وشَعَرَ العِمْلاقُ بِحُزْنٍ عَميق.

وبَعْدَ ظُهْرِ كُلِّ يَوْمٍ ولَدَى انْتِهاءِ دَوام المَدْرَسَةِ كانَ الأَطْفالُ يَأْتونَ لِلَّعِبِ مع العِمْلاق. لَكِنَّ الطِّفْلَ الصَّغيرَ الَّذي أَحَبَّهُ العِمْلاقُ لَمْ يَعُد. وكانَ العِمْلاقُ لَطيفًا مَعَ كُلِّ الأَطْفالِ رُغْمَ شَوقِهِ إلى صَديقِهِ الصَّغير، وغالِبًا ما كانَ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ وَيَقول: «كَمْ أَرْغَبُ في مُشاهَدَتِه».

ومَرَّتِ السُّنونُ وشاخَ العِمْلاقُ وضَعُفَ ولَمْ يَعُدْ قادِرًا على اللَّعِب، وقَبَعَ في كُرْسِيٍّ ضَخْمٍ يُراقِبُ الأَطْفالَ يَلْعَبونَ. وأُعْجِبَ



بحَديقَتِهِ فَقال: «لَـدَيَّ الكَثيرُ من الأَزْهارِ الجَميلَة، لَكِنَّ الأَطْفالَ هُمْ أَجْمَلُ الأَزْهار».

وفي صَباحٍ شِتائِيٍّ نظَرَ العِمْلاقُ خارِجَ نافِذَتِه. لَمْ يَعُدْ يَكْرَهُ الشِّتاءَ فقد عرَفَ أَنَّ الرَّبيعَ يَغيبُ مُؤَقَّتًا وينامُ وأَنَّ الأَزْهارَ في الشِّتاءِ تَرْتاح.

وفَجْأَةً فَرَكَ العِمْلاقُ عَيْنَيْهِ مُتَعَجِّبًا ونَظَرَ إلى الحَديقَةِ لِيَرى مَشْهَدًا مُدْهِشًا. فَقَدْ وَجَدَ العِمْلاقُ في أَبْعَدِ زاوِيَةٍ في الحَديقَةِ شَجَرَةً مُغَطّاةً بالأَزْهارِ البَيْضاءِ الجَميلَة. كانَتْ أَغْصانُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ذَهَبِيَّةً وتَتَدَلّى مِنها ثِمارٌ فِضِّيَّةٌ وتَحْتَها وَقَفَ الطِّفْلُ الصَّغيرُ الَّذي أَحَبَّهُ العِمْلاق.

وهَرَعَ العِمْلاقُ فَرِحًا إلى الحَديقَةِ وأَسْرَعَ عَبْرَ العُشْبِ لِيَقْتَرِبَ من الطِّفْل. وعِنْدَما اقْتَرَبَ العِمْلاقُ من الطِّفْلِ اسْتَشاطَ غَضَبًا وقالَ: «مَنْ تَجَرّأَ على أَذاك؟» لأَنَّ آثارَ المَساميرِ كانَتْ تُغَطّي يدَيِ الطِّفلِ وقدميهِ.

وَصاحَ العِمْلاق: «مَنْ تَجَرّأَ وجَرَحَك؟ أَبْلِغْني بِهِ حتّى أَسْتَلَّ سَيْفِي وأَذْبَحَه».

لَكِنَّ الطِّفْلَ أَجاب: «كَلاّ، هَذِهِ جِراحُ الحُبّ». فَقالَ العِمْلاق: «مَنْ أَنت؟» ورَكَعَ أَمامَ الطِّفْلِ الصَّغير.

وابْتَسَمَ الطِّفْلُ لِلعِمْلاقِ وقالَ لَهُ: «لَقَدْ جَعَلْتَني مَرَّةً أَلْعَبُ في حَديقَتِك، والْيَوْمَ سَوْفَ تأْتي مَعي إلى حَديقَتي الجَنَّة».

وعِنْدَما رَكَضَ الأَطْفالُ إلى الحَديقَةِ بَعْدَ ظُهْرِ ذَلِكَ اليَوْمِ وَجَدوا العِمْلاقَ مَيْتًا تَحْتَ الشَّجَرَةِ مَكْسُوًّا بالأَزْهارِ البَيْضاء.

الصَّديقُ الوفيّ

في صَباحِ أَحَدِ الأَيّامِ أَخرَجَ جُرَذٌ هَرِمٌ رَأْسَهُ من جُحْرِهِ فَبرزَتْ عَيْناهُ بَرّاقتينِ مِثْلَ حَبّاتِ السُّبْحَةِ وكانَ شارِباهُ رَماديَّيْنِ وذَنَبُهُ مِثْلَ شَريطٍ مَطّاطِيٍّ أَسْوَد.

وكانَتْ طُيورُ البَطِّ تَعومُ في البِرْكَةِ وتَبْدو مِثْلَ طُيورِ الكَناري الصَّفْراء، وكانَتْ أُمُّ هَذِهِ الطُّيورِ بِلَوْنِها الأَبْيَضِ النَّقِيِّ وساقَيْها الحَمْراوَيْنِ تُحاوِلُ تَعْليمَ فِراخِها كَيْفِيَّةَ الوُقوفِ عَلى رؤوسِها في الماء.

وقالَتِ الأُمُّ: «لَنْ تَقْدِروا على البَقاءِ في المُجْتَمَعِ إلاَّ إذا وَقَفْتُم على رُؤوسِكُم». وكانَتِ البَطَّةُ الأُمُّ تُكَرِّرُ هَذا القَوْلَ وتُظْهِرُ لِفِراخِها مِنْ وَقْتٍ لآخَرَ كَيْفَ تَقِفُ عَلى رُؤوسِها.

لَكِنَّ البَطّاتِ الصَّغيرةَ لَمْ تُعِرِ انْتِباهًا لأُمِّها لأَنَّها كانَتْ في سِنٍّ صَغيرةٍ بِحَيْثُ لَمْ تَعْرِفْ ما هِيَ ميزةُ الوُجودِ في المُجْتَمَع.

وصاحَ الجُرَذُ: «ما لِهَؤُلاءِ الأَطْفالِ العاصِين! إنَّهُم يَسْتَحِقُّونَ الغَرَق».

لَكِنَّ البَطَّةَ الأُمَّ رَدَّتْ: «كَلاّ، فَكُلُّ واحِدٍ يَبْدأُ من البِدايَةِ وعَلى الوالِدَيْنِ أَنْ يَتَحَلَّيا بالصَّبْر».

وقالَ الجُرَذُ: «لَكِنَّني لا أَعْرِفُ شَيْئًا عن مَشاعِرِ الوالِدَيْنِ فأنا لَسْتُ بِجُرَذٍ عائِلِيٍّ والحَقيقَةُ أَنَّني لَمْ أَتَزَوَّجْ ولا أَنْوي الزَّواج. ورُغْمَ أَهَمِّيَّةِ الحُبِّ أَجِدُ الصَّداقَةَ أَقْوى، والحَقُّ أَنَّني لا أَعْرِفُ شَيْئًا في العالَمِ أَكْثَرَ نُبْلاً ونُدْرَةً من الصَّداقَةِ الوَفِيَّة».

وسأَلَ الطّائِرُ الجُرَذَ: «ولَكِنْ ما هِيَ فِكْرَتُكَ عن واجِباتِ الصَّديقِ الوَفِيِّ؟» وقالَتِ البَطَّةُ الأُمُّ: «أَجَلْ هَذا ما أُريدُ أَنا مَعْرِفَتَهُ أَيْضًا». واتَّجَهَتِ البَطَّةُ الأُمُّ إلى طَرَفِ البِرْكَةِ وَوَقَفَتْ على رأْسِها لِتُعْطِيَ أَطْفالَها نَموذَجًا عن كَيْفِيَّةِ الوُقوفِ عَلى رُؤوسِها.

وأَجابَ الجُرَذُ: ما هَذا السُّؤالُ السَّخيفُ، فَأَنا أَتَوَقَّعُ من الصَّديقِ الوَفِيِّ أَنْ يَكونَ وَفِيًّا لي بالطَّبْع».

وقالَ الطّائِرُ مُرَفْرِفًا بِجَناحَيْهِ: «وماذا تَفْعَلُ مُقابِلَ هَذا الوَفاء؟»

فأَجابَ الجُرَذُ: «لا أَفْهَمُ ما تَعْنيه؟»

فَقالَ الطّائِرُ: «دَعْني أُبْلِغْكَ قِصَّةً عَنِ المَوْضوع».

فسأَلَهُ الجُرَذُ: «هَلْ هَذِهِ القِصَّةُ عَنّي؟ فإذا كانَتْ كَذَلِكَ سأَسْمَعُها لأَنَّني مُوْلَعٌ بالرِّواياتِ الخَيالِيَّة».

وأَجابَ الطّائِرُ: «إنَّها قِصَّةٌ تَنْطَبِقُ عَلَيْك».

وطارَ الطّائِرُ إلى حافَةِ النَّهْرِ لِيَقْتَرِبَ من الجُرَذِ وَرَوى لَهُ قِصَّةَ الصَّديقِ الوَفِيّ.

قالَ الطّائِرُ: «في أَحَدِ الأَزْمانِ كانَ يُوْجَدُ رَجُلٌ صادِقٌ اسْمُهُ هانْس».

فَسأَلَ الجُرذُ: «هَلْ كانَ هَذا الرَّجُلُ بارِزًا؟!»

أَجابَ الطّائِرُ: «كَلاّ، لا أَظُنُّ أَنَّهُ كانَ بارِزًا سِوَى ما خَصَّ قَلْبَهُ وَوَجْهَهُ المَرِح. كانَ هَذا الرَّجُلُ يَعِيشُ وَحِيدًا في كوخٍ وكانَ كُلَّ يَوْمٍ يَعْمَلُ في الحَدِيقَة. ولَمْ توجَدْ في كُلِّ نَواحِي الرِّيفِ حَدِيقَةٌ بِجَمالِ حَدِيقَتِهِ حَيْثُ الأَزْهارُ على أَنْواعِها بِمُخْتَلِفِ الأَلْوانِ وحَيْثُ النَّباتُ على أَنْواعِهِ. وهَكَذا كانَتْ توجَدُ أَشياءُ جَمِيلَةٌ وَرَوائِحُ عَطِرَةٌ في الحَدِيقَة».

وتابَعَ الطّائِرُ: «كانَ لِهانْس هَذا أَصْدِقاءُ كَثِيرونَ عِظامٌ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ وَفاءً كانَ صاحِبَ الطّاحونَةِ الثَّرِيَّ هاغ. والحَقُّ أَنَّ هاغْ الثَّرِيَّ كانَ وَفِيًّا لِهانْس إلى حَدِّ أَنَّهُ لَمْ يَمُرَّ يَوْمًا بِحَدِيقَتِهِ إِلاَّ وكانَ يَنْحَنِي لالْتِقاطِ الأَزْهارِ والثِّمارِ لِيَمْلأَ جُيوبَهُ بها.

وكانَ صاحِبُ الطّاحونَةِ الثَّرِيُّ يَقولُ: «يَجِبُ أَنْ يَكونَ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الأَصْدِقاءِ الحَقِيقِيِّين». وكانَ هانْس يوافِقُ وَيَبْتَسِمُ وَيَشْعُرُ بِالفَخْرِ لامْتِلاكِ صَدِيقٍ كَهَذا يَتَحَلَّى بالأَفْكارِ النَّبِيلَة».

وتابَعَ الطّائِرُ رِوايَتَهُ: «وفي بَعْضِ الأَحْيانِ كانَ الجِيرانُ يَظُنُّونَ أَنَّهُ مِن الغَرابَةِ أَلاَّ يُعْطِيَ هاغْ الثَّرِيُّ صاحِبُ الطّاحونَةِ أَيَّ شَيْءٍ لِهانْس مُقابِلَ ما يَأْخُذُهُ من الحَدِيقَةِ رُغْمَ أَكْياسِ الطَّحِينِ المُكَدَّسَةِ في طاحونَتِهِ ورُغْمَ أَبْقارِهِ الكَثِيرَةِ وقَطِيعِ الأَغْنامِ لَدَيْهِ. لَكِنَّ هانْس لَمْ يَهْتَمَّ لِذَلِكَ

كَثِيرًا وما مِنْ شَيْءٍ كانَ يُسْعِدُهُ مِثْلَ الاسْتِماعِ إلى الأَشْياءِ الرّائِعَةِ التي كانَ يَرْوِيها هاغْ الثَّرِيُّ لَهُ عن الوَفاءِ في الصَّداقَةِ الحَقِيقِيَّة.

وهَكَذا تابَعَ هانْس العَمَلَ في حَدِيقَتِهِ وكانَ خِلالَ فُصولِ الرَّبِيعِ والصَّيْفِ والخَرِيفِ يَشْعُرُ بِسَعادَةٍ قَوِيَّة. ولَكِنْ عِنْدَما جاءَ الشِّتاءُ لَمْ تَبْقَ لَدَيْهِ أَزْهارٌ يَحْمِلُها إلى السُّوق. وعانَى هانْس البَرْدَ والجوْعَ وغالِبًا ما كانَ عليهِ الخُلودُ إلى النَّوْمِ دونَ عَشاء. وكَذَلِكَ كانَ هانْس يَشْعُرُ بالوَحْدَةِ في الشِّتاءِ لأَنَّ هاغْ الثَّرِيَّ صاحِبَ الطّاحونَةِ لَمْ يَكُنْ يأْتي في الشِّتاءِ لِزِيارَتِه.

وكانَ صاحِبُ الطّاحونَةِ يَقولُ لِزَوْجَتِهِ إِنَّهُ من غَيْرِ المُجْدِي زِيارَةُ هانْس خِلالَ فَصْلِ الشِّتاءِ والثَّلْجِ، وإِنَّهُ عِنْدَما يُعانِي النّاسُ مِنَ المَشاكِلِ يَجِب تَرْكُهُمْ وَحْدَهُمْ دونَ إِزْعاج. وكانَ يَقولُ أَيْضًا إِنَّ هَذِهِ عَلَى الأَقَلِّ هِيَ فِكْرَتُهُ عن الصَّداقَةِ وإِنَّهُ مُتَأَكِّدٌ من صِحَّتِها. ولِهَذا كانَ صاحِبُ الطّاحونَةِ يَنْتَظِرُ مَجِيءَ الرَّبِيعِ لِزِيارَةِ صاحِبِهِ هانْس.

«وكانَتْ زَوْجَةُ صاحِبِ الطّاحونَةِ تُجِيبُهُ قائِلَةً: «أَنْتَ حَقًّا تأْخُذُ مَصْلَحَةَ الآخَرِينَ بِعَيْنِ الاعْتِبار، ويُسْعِدُني الاسْتِماعُ إِلَيْكَ تَتَحَدَّثُ عن الصَّداقَةِ، وأَنا مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّ رَجُلَ الدِّينِ نَفْسَهُ لا يُمْكِنُهُ قَوْلُ الأَشْياءِ الجَمِيلَةِ التي تَقولُها أَنْت».

وقالَ الصَّبِيُّ ابْنُ صاحِبِ الطّاحونَةِ لأَبِيهِ: «ولَكِنْ أَلا يُمْكِنُنا الطَّلَبُ إلى العَمِّ هانْس المَجِيءَ إلى هُنا؟ وإذا كانَ يُعانِي من المَشاكِلِ يُمْكِنُني إِعْطاؤُهُ نِصْفَ ما بِحَوْزَتي من مال».

فصاحَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «أنْتَ صَبِيٌّ سَخيفٌ حَقًّا وأنا لا أعْرِفُ الفائِدَةَ من إرْسالِكَ إلى المَدْرَسَةِ إذا كُنْتَ لا تَتَعَلَّمُ شَيْئًا. فإذا جاءَ هانْس إلى هُنا وشاهَدَ النّارَ الدّافِئَةَ والعَشاءَ الفاخِرَ قَدْ يَشْعُرُ بالحَسَدِ، والحَسَدُ شَيْءٌ رَهيبٌ يُفْسِدُ طَبْعَ كُلِّ إنْسان. وأنا بالتّأْكيدِ لَنْ أَسْمَحَ بإفْسادِ طَبْعِ هانْس الطَّيِّبِ لأنَّني أفْضَلُ صَديقٍ لَهُ وأَعْمَلُ دائِمًا على العِنايَةِ بِهِ لأَتأكَّدَ من عَدَمِ انْجِرارِهِ خَلْفَ أهْوائِهِ. إلى جانِبِ ذَلِكَ، إذا جاءَ هانْس إلى هُنا قَدْ يَطْلُبُ مِنّي بَعْضَ الطَّحينِ وهَذا ما لا يُمْكِنُني فِعْلُهُ لأنَّ الطَّحينَ شَيْءٌ والصَّداقَةَ شَيْءٌ آخَرُ ولا يُمْكِنُ الخَلْطُ بَيْنَهُما! والكُلُّ يَرى ذَلِكَ بِوُضوحٍ».

وقالَتْ زَوْجَةُ صاحِبِ الطّاحونَةِ: «كَمْ هو كَلامُكَ جَيِّدٌ! وأنا أشْعُرُ حَقًّا بالدُّوارِ كَما لَوْ كُنْتُ أسْتَمِعُ إلى وَعْظٍ دينِيّ». وأجابَها صاحِبُ الطّاحونَةِ: «الكَثيرُ مِنَ الأشْخاصِ يَفْعَلونَ الخَيْرَ لَكِنَّ قِلَّةً مِنْهُمْ تَتَحَدَّثُ بالكَلامِ الجَيِّدِ كما أفْعَلُ أنا مِمّا يُظْهِرُ أنَّ الكَلامَ الحَميدَ أَصْعَبُ من فِعْلِ الخَيْرِ وأكْثَرُ دِقَّةً». وحَدَّقَ صاحِبُ الطّاحونَةِ بابْنِهِ الّذي شَعَرَ بالخَجَلِ بِحَيْثُ أطْرَقَ بِرأسِهِ وشَحُبَ وَجْهُهُ وبَدأَ يَبْكي».

وسأَلَ الجُرَذُ الطّائِرَ: «هَلْ هَذِهِ هِيَ نِهايَةُ القِصَّةِ؟» فأَجابَ الطّائِرُ: «كَلّا بالطَّبْعِ فَهَذِهِ هِيَ البِدايَةُ وَحَسْبُ».

فَقالَ الجُرَذُ: «إذَنْ أنْتَ من الرُّواةِ القُدامى لأنَّ رواةَ القِصَصِ اليَوْمَ يَبْدأُونَ من النِّهايَةِ ثُمَّ يَصِلونَ إلى البِدايَةِ بَعْدَ إعْطاءِ المَغْزى في الوَسَط.

وهَذا هُوَ الأُسْلوبُ الجَديدُ في الرِّوايَةِ والّذي سَمِعْتُ عَنْهُ من أحَدِ النُّقّادِ الّذي كانَ يَمْشي مع أحَدِ الشُّبّان. كانَ هَذا النّاقِدُ يَتَحَدَّثُ عَنْ هَذا المَوْضوعِ مُطَوَّلاً وأنا مُتأكِّدٌ أنَّهُ كانَ مُحِقًّا لأنَّهُ كانَ يَرْتَدي النَّظّاراتِ وكانَ رأْسُهُ أَصْلَع. ولَكِنْ يُمْكِنُكَ مُتابَعَةُ قِصَّتِكَ لأنَّني أحْبَبْتُ صاحِبَ الطّاحونَةِ هَذا وأشْعُرُ بالتَّعاطُفِ مَعَه».

فَقالَ الطّائِرُ: «حَسَنًا، فَسُرْعانَ ما ذَهَبَ الشِّتاءُ وقالَ صاحِبُ الطّاحونَةِ لِزَوْجَتِهِ إنَّهُ سَيَذْهَبُ لِرُؤْيَةِ صَديقِهِ هانْس. فَصاحَتْ زَوْجَتُهُ: «آه! ما أطْيَبَ قَلْبَكَ فأنْتَ دائِمًا تُفَكِّرُ بالآخَرين، ولا تَنْسَ أنْ تأخُذَ لَهُ باقَةَ أزْهار». وهَكَذا ذَهَبَ صاحِبُ الطّاحونَةِ عَبْرَ التِّلالِ إلى هانْس حامِلاً سَلَّةَ الأزْهارِ وقال: «صَباحُ الخَيْرِ يا هانْس».

فَرَدَّ هانْس مُتَّكِئًا عَلى عَصاهُ بابْتِسامَةٍ عَريضَةٍ: «صَباحُ النُّور» وتابَعَ صاحِبُ الطّاحونَةِ قائِلاً: «كَيْفَ كانَ حالُكَ طَوالَ الشِّتاء؟» فَصاحَ هانْس: «حَسَنًا، وَحَقًّا جَميلٌ مِنْكَ أنْ تَسْأَلَ وتَسْتَفْهِم، جَميلٌ حَقًّا، فأنا عانَيْتُ شِتاءً قاسِيًا لَكِنَّ الرَّبيعَ جاءَ الآن وأشْعُرُ بالسَّعادَةِ وكُلُّ أزْهاري بِحالٍ جَيِّدَة».

وقالَ صاحِبُ الطّاحونَةِ لهانْس: «غالِبًا ما نَتَحَدَّثُ عَنْكَ في الشِّتاءِ ونَتَساءَلُ عَنْ أحْوالِكَ» فَرَدَّ هانْس: «هَذا لُطْفٌ مِنْكَ وكُنْتُ أخْشى أنَّكَ قَدْ نَسيتَني».

وقالَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «لا تَخْشَ يا هانْس فالصَّديقُ لا يَنْسى

وهَذا أَرْوَعُ ما في الصَّداقَة. آه كَمْ تَبْدو أَزْهارُكَ جَميلَةً». فَقالَ هانْس: «إِنَّها حَقًّا جَميلَةٌ ومِنْ حَظِّي أَنْ يَكونَ عَدَدُها كَبيرًا لِأَنَّني سَأَحْمِلُها إلى السُّوقِ وأَبيعُها لِأَسْتَعيدَ بِثَمَنِها عَرَبَتي». فَسَأَلَهُ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «كَيْفَ ذَلِكَ؟ أَتَعْني أَنَّكَ بِعْتَها؟ وكَيْفَ يُمْكِنُكَ فِعْلُ شَيْءٍ أَحْمَقَ كَهَذا؟»

قالَ هانْس: «الحَقيقَةُ هي أَنَّني اضْطُرِرْتُ لِذَلِكَ لِأَنَّ الشِّتاءَ كانَ فَصْلاً قاسِيًا بِالنِّسْبَةِ لي ولَمْ أَمْلِكِ المالَ حَتّى لِشِراءِ الخُبْزِ. لِهَذا بِعْتُ الأَزْرارَ الفِضِّيَّةَ في مِعْطَفي ثُمَّ بِعْتُ سِوارِيَ الفِضِّيَّ وأَخيرًا بِعْتُ عَرَبَتي. لَكِنَّني سَأَسْتَعيدُ كُلَّ هَذِهِ الأَشْياءَ الآن».

وَقالَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «هانس، سَأُعْطيكَ عَرَبَتي رُغْمَ أَنَّها لَيْسَتْ بِحالَةٍ جَيِّدة، وأَنا أَعْرِفُ أَنَّ هَذا كَرَمٌ مِنّي وأَنَّ الكَثيرينَ يَظُنّونَ أَنَّ عَمَلاً كَهَذا هُوَ من نَوْعِ الحَماقَة، لَكِنَّني لَسْتُ كَباقي النّاسِ وأَظُنُّ أَنَّ الكَرَمَ هُوَ جَوْهَرُ الصَّداقَةِ فَضْلاً عَنْ أَنَّني قَد اشْتَرَيْتُ عَرَبَةً جَديدَةً لي. أَجَل، أَرِحْ بالَكَ، سَأُعْطيكَ العَرَبَةَ غَدًا».

فَقالَ هانْس: «حَقًّا هَذا كَرَمٌ مِنْكَ» وشَعَّ وَجْهُهُ بالسَّعادَةِ وتابَعَ: «وبِإِمْكاني إِصْلاحُها بِسُهولَةٍ حَيْثُ لَدَيَّ الكَثيرُ من الأَخْشاب».

وَرَدَّ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «حَقًّا أَنا بِحاجَةٍ للخَشَبِ لِتَغْطِيَةِ سَقْفِ المَخْزَن. ما هَذا الحَظُّ؟ وكَيْفَ يُؤَدّي عَمَلٌ كَريمٌ إلى عَمَلٍ كَريمٍ آخر، فَلَقَدْ أَعْطَيْتُكَ عَرَبَتي والآنَ أَنْتَ سَتُعْطيني الأَخْشاب. طَبْعًا العَرَبَةُ أَثْمَنُ

من الأَخْشابِ لَكِنَّ الصَّداقَةَ الحَقيقِيَّةَ لا تُلاحِظُ أَشْياءَ كَهَذِه، أَرْجوكَ اجْلِبْ لي الأَخْشابَ الآن».

فَقالَ هانْس: «بالتَّأْكيد» ورَكَضَ وأَخْرَجَ الأَخْشاب.

وقالَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «إِنَّها لَيْسَتْ أَخْشابًا كَبيرةً ولَنْ يَبْقى مِنْها لَكَ ما تُصْلِحُ بِهِ العَرَبَةَ التي سَأُعْطيكَ إِيّاها. طَبْعًا لَيْسَ هَذا ذَنْبي. والآن وقَدْ أَعْطَيْتُكَ العَرَبَةَ فأَنا مُتَأَكِّدٌ أَنَّكَ تَرْغَبُ في إِعْطائي بَعْضَ الأَزْهارِ مُقابِلَ ذَلِك. إِلَيْكَ السَّلَّةَ وأَرْجو أَنْ تَمْلَأَها بالكامِلِ».

فَقالَ هانس مُتَعَجِّبًا: «أَمْلَأُها بالكامِلِ؟» مُلاحِظًا أَنَّ السَّلَّةَ كَبيرةٌ وأَنَّهُ إذا مَلَأَها لَنْ تَبْقى لَهُ أَزْهارٌ يَبيعُها في السُّوق. وكانَ يَرْغَبُ كَثيرًا في اسْتِعادَةِ أَزْرارِهِ الفِضِّيَّة.

فأَجابَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «حَسَنًا، وبِما أَنَّني أَعْطَيْتُكَ عَرَبَتي، لا أَظُنُّ أَنَّ القَليلَ من الأَزْهارِ شَيْءٌ كَثيرٌ مُقابِلَ العَرَبَة. قد أَكونُ مُخْطِئًا لَكِنَّني أَظُنُّ أَنَّ الصَّداقَةَ الحَقيقِيَّةَ خالِيَةٌ من أَيِّ نَوْعٍ من الأَنانِيَّة».

فَصاحَ هانْس: «صَديقِيَ العَزيزَ ويا أَفْضَلَ صَديق. أَنْتَ أَهْلٌ لِكُلِّ الأَزْهارِ في حَديقَتي وأَنا أُفَضِّلُ الحِفاظَ على صَداقَتِكَ على الحُصولِ على الأَزْرارِ الفِضِّيَّة». وسارَعَ هانْس لالْتِقاطِ كُلِّ أَزْهارِ الحَديقَةِ، ومَلَأَ سَلَّةَ صاحِبِ الطّاحونَةِ بها.

فَقالَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «وَداعًا يا هانْس» حامِلاً الأَخْشابَ والسَّلَّةَ في يَدَيْه.

فَرَدَّ هانْس: «وداعًا يا صَديقِي»، وبَدأَ يَحْفِرُ بِكُلِّ مَرَحٍ لأَنَّهُ كانَ مَسْرورًا بالحُصولِ على عَرَبَةٍ جَديدَة.

وفي اليَوْمِ التّالِي سَمِعَ هانْس صَوْتَ صاحِبِ الطّاحونَةِ يُناديهِ فَقَفَزَ وعَبَرَ الحَديقَةَ لِيَنْظُرَ مِنَ الحائِطِ وَوَجَدَ صاحِبَ الطّاحونَةِ وَمَعَهُ كِيسٌ كَبيرٌ مِنَ الطَّحين. وقالَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «عَزيزي هانْس أَتُمانِعُ في إيْصالِ هَذا الكيسِ لي إلى السُّوق؟»

فَقالَ هـانْس: «آه، أَنـا آسِـفٌ لَكِنَّني مَشْغولٌ كَثيرًا اليَوْم». وَرَدَّ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «حَسَنًا، ولأَنَّني سأُعْطيكَ عَرَبَتِي فَلَيْسَ لائِقًا مِنْكَ أَنْ تَرْفُضَ طَلَبِي».

فَصاحَ هـانْس: «لا تَقُلْ ذَلِكَ فَأَنا لا يُمْكِنُنِي أَنْ أَكونَ ضِدَّ الصَّداقَةِ» وهَرَعَ هانْس وحَمَلَ كِيسَ الطَّحينِ عَلَى كَتِفِه.

وكانَ ذَلِكَ النَّهارُ حارًّا لِلْغايَةِ والطَّريقُ مَلأى بالغُبار. وقَبْلَ أَنْ يَصِلَ هانْس إلى السُّوقِ أَحَسَّ بِتَعَبٍ شَديدٍ بِحَيْثُ اضْطُرَّ لِلْجُلوسِ والرّاحَة. لَكِنَّهُ تابَعَ الطَّريقَ بِشَجاعَةٍ، وفي النِّهايَةِ وَصَلَ إلى السُّوق. وبَعْدَ فَتْرَةِ انْتِظارٍ قَصيرَةٍ باعَ هانْس كِيسَ الطَّحينِ مُقابِلَ سِعْرٍ جَيِّدٍ ثُمَّ عادَ إلى المَنْزِلِ لأَنَّهُ كانَ خائِفًا أَنْ يُؤَدِّيَ التَّأْخيرُ إلى تَعَرُّضِهِ لِقُطّاعِ الطُّرق.

وقالَ هانْس لِنَفْسِهِ: «لَقَدْ كانَ يَوْمًا صَعْبًا لَكِنَّني سَعيدٌ بأَنَّني لَمْ أَرْفُضْ طَلَبَ صَديقِي صاحِبِ الطّاحونَةِ لأَنَّهُ أَفْضَلُ أَصْدِقائي، فَضْلاً عن أَنَّهُ سَيُعْطِيني عَرَبَتَه».

وباكِرًا في الصَّباحِ التّالِي جاءَ صاحِبُ الطّاحونَةِ لِيَحْصُلَ عَلَى المالِ الّذي بِيعَ بِهِ كِيسُ الطَّحين، لَكِنَّ هانْس كانَ مُتْعَبًا بِحَيْثُ كانَ لا يَزالُ في سَريرِ النَّوْم.

فَقالَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «حَقًّا إِنَّكَ كَسولٌ، وبِما أَنَّني سأُعْطيكَ عَرَبَتِي فأَظُنُّ أَنَّهُ يُمْكِنُكَ العَمَلُ بِنَشاطٍ أَقْوى. فالكَسَلُ ذَنْبٌ عَظيمٌ وأَنا حَتْمًا لا أَرْغَبُ في أَنْ يَكونَ أَصْدِقائي من الكَسولين. يَجِبُ أَلّا تقلق لِكَلامي الصَّريحِ هَذا فالصَّديقُ هُوَ مَنْ يُصارِحُ صَديقَهُ وما نَفْعُ الصَّداقَةِ إذا لَـمْ تَقُـلْ حَقًّـا ما تَعْنيه؟ يُمْكِـنُ لأيِّ شَخْصٍ التَّفَوُّهُ بِكَلامٍ جَميلٍ ومُحاوَلَةُ الإِرْضاءِ والمَدْح، لَكِنَّ الصَّديقَ الحَقيقِيَّ هو أيضًا الّذي لا يحذر من قولِ الأَشْياءِ غَيْرِ المُرْضِيَةِ رُغْمَ ما قَدْ تُسَبِّبُهُ من أَلَم. وإذا كانَ الصَّديقُ وَفِيًّا حَقًّا يَجِب أَنْ تُعْتَبَرَ صَراحَتُهُ نَوْعًا من فِعْلِ الخَيْر».

فَقالَ هانْس: «أَنا آسِفٌ جِدًّا، لَكِنَّني أُرْهِقْتُ كَثيرًا بِحَيْثُ ظَنَنْتُ أَنَّني لَنْ أَنامَ سِوى قَليلٍ من الوَقْتِ لأُتابِعَ بَعْدَها الاسْتِماعَ إلى تَغْريدِ الطُّيور. هَلْ تَعْرِفُ أَنَّني أَعْمَلُ بِشَكْلٍ أَفْضَلَ عِنْدَ اسْتِماعي لِهَذا التَّغْريد؟»

وَرَدَّ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «حَسَنًا أَنا مَسْرورٌ لِذَلِكَ» مُرَبِّتًا عَلَى كَتِفِ هانْس، وتابَعَ: «لأَنَّني أُريدُكَ أَنْ تَأْتِيَ إلى الطّاحونَةِ فَوْرَ ارْتِدائِكَ لِمَلابِسِكَ وذَلِكَ لِوَضْعِ الأَخْشابِ على سَقْفِ المَخْزَن».

لَكِنَّ هانْس كانَ مُتَحَمِّسًا للعَمَلِ في حَديقَتِهِ لأَنَّ أَزْهارَهُ لَمْ تَحْصُلْ

عَلى الماءِ الضَّروريِّ لها مُنْذُ أيّامٍ، ومَعْ ذَلِكَ لَمْ يَرْغَبْ في رَدِّ طَلَبِ صَديقِهِ صاحِبِ الطّاحونَةِ، فَقالَ في صَوْتٍ خافِتٍ: «هَلْ تَظُنُّ أنَّهُ مِنْ غَيْرِ اللاّئِقِ كَصَديقٍ أنْ أقولَ لَكَ إنَّني مَشْغولٌ كَثيرًا؟»

فأجابَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «حَسَنًا حَقًّا لا أظُنُّ أنَّني أطْلُبُ الكَثيرَ مِنْكَ خاصَّةً أنَّني سأُعْطيكَ عَرَبَتي، ولَكِنْ إذا رَفَضْتَ فسأُضْطَرُّ لِلْعَمَلِ بِنَفْسي».

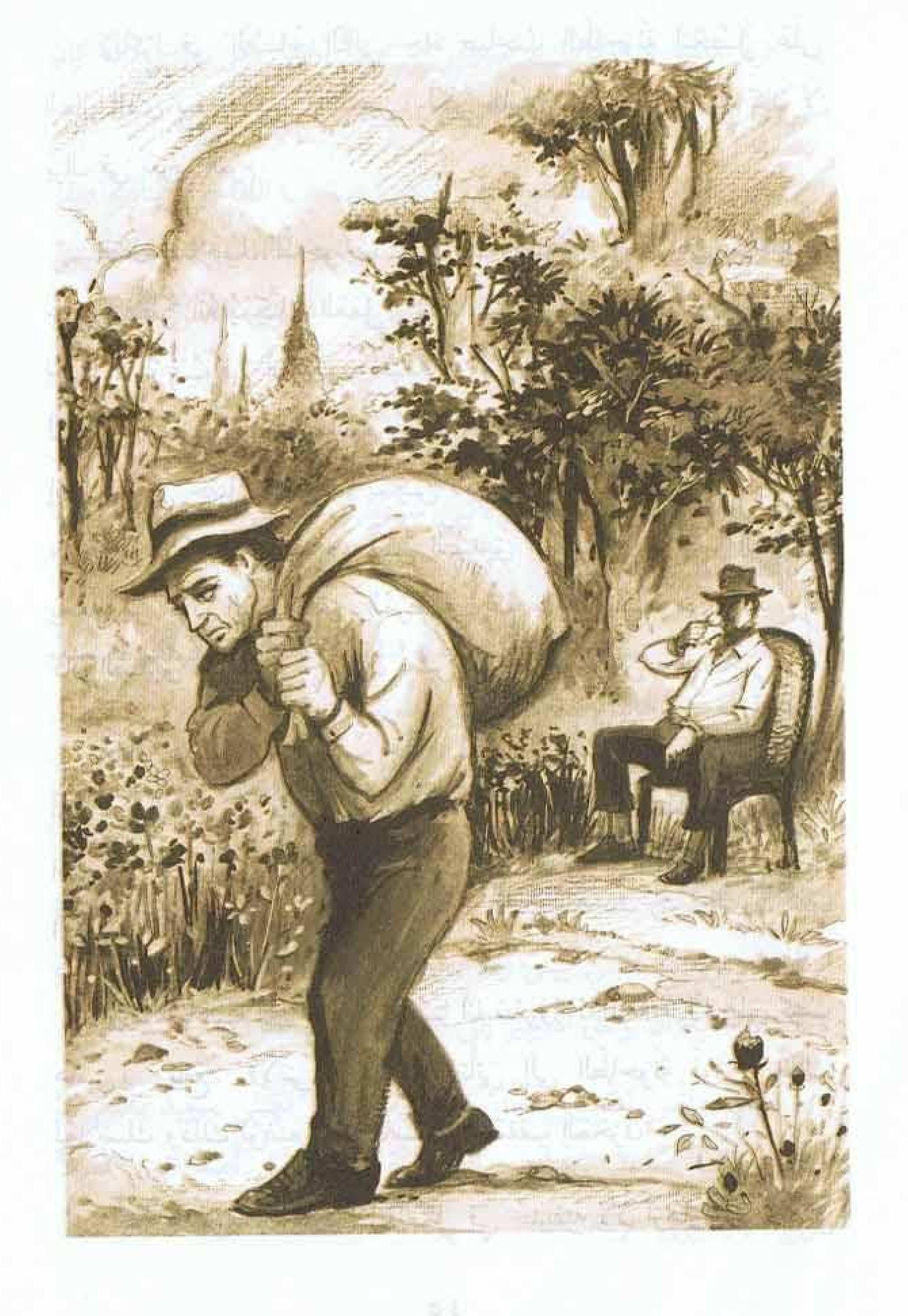
فَصاحَ هانْس: «آه! كَلاَّ، لا تَفْعَلْ ذَلِك»، وقَفَزَ مِن سَريرِهِ وارْتَدى ثِيابَهُ وذَهَبَ إلى مَخْزَنِ الطّاحونَة.

وعَمِلَ هانْس طَوالَ النَّهارِ حتَّى غُروبِ الشَّمْس، وعِنْدَ المَغيبِ جاءَ صاحِبُ الطّاحونَةِ لِيَرى ما تَمَّ فِعْلُهُ وصاحَ بِصَوْتٍ مَرِح: «هَلْ أصْلَحْتَ ثُقْبَ السَّقْفِ يا هانْس؟» فَرَدَّ هانْس: «أكادُ أنتهي منهُ».

فَقالَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «آه! ما مِنْ عَمَلٍ في العالَمِ أفْضَلُ من العَمَلِ للآخرين».

وأجابَ هانْس: «إنَّهُ من المُمْتِعِ سَماعُكَ تَتَكَلَّمُ هكَذا» ثُمَّ جَلَسَ لِيَمْسَحَ جَبينَهُ وتابَعَ: «وأخْشى ألاّ أكونَ قادِرًا على التَّكَلُّمِ مِثْلَكَ أو على حَمْلِ أفْكارِك».

فَقالَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «أوه! سَتَحْصُلُ على هَذِهِ القُدْرَةِ مع الوَقْتِ ولَكِنَّ ذَلِكَ قَدْ يَتَطَلَّبُ جُهْدًا، وحالِيًا أنْتَ لا تَمْلِكُ سِوى الصَّداقَةِ بالمُمارَسَةِ ويَوْمًا ما سَتَحْصُلُ على النَّظَرِيَّةِ أيْضًا».



فسألَ هانس: «هَلْ تظُنُّ حقًّا أنّني سأحْصُلُ على هذِهِ النّظَريّةِ؟»

وأجابَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «لَيسَ لَدَيَّ شَكٌّ في ذلِكَ، والآن وقَدْ أصْلحْتَ ثُقبَ السّقْفِ فَمِنَ الأفْضَلِ لَكَ أنْ تَذْهَبَ إلى مَنْزِلِكَ لِترْتاحَ لأنّني أُريدُكَ أنْ تَرْعى خِرافِي إلى الجَبَلِ في الغَد».

كانَ هانس يَخْشَى الرّدَّ على صاحِبِ الطّاحونَةِ، وباكِرًا في الصّباحِ التّالِي أحْضَرَ صاحِبُ الطّاحونَةِ خِرافَهُ وانْطلَقَ هانس بها إلى الجَبَلِ. واسْتَغْرَقَهُ الأمْرُ النهارَ كُلَّه، وعِنْدَما عادَ كانَ مُتْعبًا إلى حَدِّ أنّهُ نامَ في كُرْسِيِّهِ ولَمْ يَسْتَيْقِظْ حتّى الفَجْر.

قالَ هانْس: «سَوْفَ أسْتَمْتِعُ بِوَقْتِي في حَديقَتي» وعادَ إلى العَمَلِ في الحال.

لَكِنَّ هانْس نَوْعًا ما لَمْ يَكُنْ قادِرًا على العِنايَةِ بأزْهارِهِ لأنَّ صَديقَهُ صاحِبَ الطّاحونَةِ كانَ دائِمًا يأْتِي إليْهِ ويُرْسِلُهُ في مُهِمّاتٍ طَويلَةٍ ويَطْلُبُ مُساعَدَتَهُ في الطّاحونَةِ، وكانَ هانس يَشْعُرُ بالانْزِعاج. كانَ يَخْشى مِنْ أنْ تظُنَّ أزْهارُهُ أنّهُ قَدْ نَسِيَها، وكانَ عَزاؤهُ الوَحيدُ أنَّ صاحِبَ الطّاحونَةِ هُوَ صَديقُهُ وكانَ يقولُ لِنَفْسِهِ: «وَهُوَ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ سَيُعْطِيني عَرَبَتَهُ وهَذا كَرَمٌ كَبيرٌ مِنْه».

وهكَذا تابَعَ هانس العَمَلَ لِصَديقِهِ صاحِبِ الطّاحونَةِ الّذي كانَ يُفْعِمُهُ بالأقْوالِ الجَميلَةِ عَنِ الصّداقَةِ، وكانَ هانْس يُدَوّنُ هَذِهِ الأقْوالَ ويَقْرأُها في المَساء.

وفي إحْدَى اللّيالِي كانَ هانْس يَجْلِسُ إلى جانِبِ النّارِ في مَنْزِلِهِ عِنْدَما سَمِعَ طَرْقًا عالِيًا على بابِهِ. كانَتْ تِلْكَ اللّيْلَةُ قاسِيَةً وكانَتِ الرّيحُ تَهُبُّ وتُزَمْجِرُ حَوْلَ المَنْزِلِ بِقُوّةٍ بِحَيْثُ ظَنَّ هانْس أنَّ الطَّرْقَ على بابِهِ ناتِجٌ عن العاصِفَة. لَكِنَّ الطَّرْقَ عَلَى البابِ تَواصَلَ وَبِقُوّة.

فَقالَ هانْس لِنَفْسِهِ: «لا بُدّ أنّهُ أَحَدُ المُسافِرين». وأسْرَعَ إلى البابِ وهُناكَ وَجَدَ صاحِبَ الطّاحونَةِ حامِلاً مِصْباحًا بِيَدٍ وعَصا باليَدِ الأُخْرى.

وصاحَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «عَزيزي هانْس أنا في وَرْطَةٍ كَبيرَة، فَقَدْ سَقَطَ ابْني عَنِ السُّلَّمِ وتأذّى وأُريدُ الذَّهابَ لإحْضارِ الطَّبيب. لَكِنَّ هَذا الطَّبيبَ يَعيشُ بَعيدًا من هُنا واللّيْلَةُ قاسِيَةٌ كما تَعْرِف بِحَيْثُ ظَنَنْتُ أنّهُ مِنَ الأفْضَلِ أنْ تَذْهَبَ أنْتَ لإحْضارِ الطَّبيبِ بَدَلاً مِنّي. أنْتَ تَعْرِفُ أنّني سأُعْطيكَ العَرَبَةَ ومِنَ العَدْلِ والإنْصافِ أنْ تَرُدَّ لي الجَميل».

فَصاحَ هانْس: «بالتّأكيدِ، ومَجيئُكَ عِنْدِي هُوَ إطْراءٌ لي وسَوْفَ أنْطَلِقُ في الحال. ولَكِنْ يَجِبُ أنْ تُعيرَنِي مِصْباحَكَ لأنَّ اللّيْلَةَ شَديدَةُ الظَّلامِ بِحَيْثُ أخْشَى من السُّقوطِ في الحُفَر».

فأجابَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «أنا آسِفٌ جِدًّا لَكِنَّ هَذا المِصْباحَ جَديدٌ وسأخْسَرُ كَثيرًا إذا تَضرَّر». ورَدَّ هانْس: «حَسَنًا، لا تأبَهْ لأنّهُ يُمْكِنُني الذَّهابُ من دونِه» وارْتَدَى هانْس مِعْطَفَهُ وانْطَلَق.

كانَتِ العاصِفَةُ رَهيبَةً واللَّيْلُ شَديدَ الظَّلامِ بِحَيْثُ كانَ هانْس يَرى الطَّريقَ بِصُعوبَةٍ ولا يَكادُ يَرى أَمامَه. وكانَتِ الرِّيحُ قَوِيَّةً بِحَيْثُ تَرَنَّحَ هانْس طَوالَ الطَّريقِ. وبَعْدَ المَشْيِ ثَلاثَ ساعاتٍ، وَصَلَ هانْس إلى مَنْزِلِ الطَّبيبِ وطَرَقَ بابَه.

فَصاحَ الطَّبيبُ: «مَنْ هُناك؟»

ـ «أنا هانْس أَيُّها الطَّبيب».

ـ «ماذا تُريدُ يا هانْس؟»

أَجابَ هانْس: «لَقَدْ سَقَطَ ابْنُ صاحِبِ الطّاحونَةِ عَنِ السُّلَّمِ وتَأَذّى ويُريدُ صاحِبُ الطّاحونَةِ مِنْكَ الحُضورَ حالاً».

فَقالَ الطَّبيبُ: «حَسَنًا». وارْتَدى حِذاءَهُ وحَمَلَ المِصْباحَ وامْتَطى حِصانَهُ باتِّجاهِ مَنْزِلِ صاحِبِ الطّاحونَةِ وتَرَكَ هانْس وَراءَهُ يَتْبَعُهُ بِإِجْهاد.

لَكِنَّ العاصِفَةَ اشْتَدَّتْ وتَزايَدَ تَساقُطُ المَطَرِ ولَمْ يَتَمَكَّنْ هانْس مِنْ مُشاهَدَةِ الطَّريقِ أَمامَهُ أو مُتابَعَةِ حِصانِ الطَّبيبِ.

أَخيرًا ضَلَّ هانْس الطَّريقَ وتاهَ في البَراري الخَطِرَةِ والمَليئَةِ بِالحُفَرِ العَميقَةِ الّتي غَرِقَ فيها. وَوُجِدَتْ جُثَّةُ هانْس في اليَوْمِ التّالي عائِمَةً فَوْقَ بِرْكَةِ ماءٍ فَأُحْضِرَتْ إلى الكوخ.

وذَهَبَ الجَميعُ إلى جَنازَةِ هانْس لأَنَّهُ كانَ مَحْبوبًا من الجميع، وكانَ كَبيرُ المُعَزّينَ صاحِبَ الطّاحونَةِ الثَّري.

قالَ صاحِبُ الطّاحونَةِ: «حَيْثُ إِنَّني كُنْتُ أَفْضَلَ أَصْدِقاءِ هانْس فَمِنَ الإِنْصافِ أَنْ أَحْصُلَ على أَفْضَلِ مَقْعَدٍ بَيْنَ المُعَزّين!» وهَكَذا مَشَى صاحِبُ الطّاحونَةِ في رَأْسِ الجَنازَةِ بِمِعْطَفٍ أَسْوَدَ، وكانَ من وَقْتٍ لآخَرَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ بالمِنْديل.

وقالَ أَحَدُهُم: «إنَّها لَخَسارَةٌ كَبيرةٌ أَنْ نَفْقِدَ هانْس». وعِنْدَما انْتَهَتِ الجَنازَةُ جَلَسَ الجَميعُ في الحانَةِ يأْكُلونَ ويَشْرَبون.

ورَدَّ صاحِبُ الطّاحونَةِ قائِلاً: «إنَّها خَسارَةٌ كَبيرةٌ لي على أَيِّ حالٍ ولَكِنَّني أَعْطَيْتُهُ عَرَبَتي. والآنَ حَقًّا لا أَدْري ماذا أَفْعَلُ بها وهِيَ من الزَّوائِدِ في مَنْزِلي ولَنْ أَحْصُلَ على شَيْءٍ كَثيرٍ مُقابِلَ بَيْعِها. لِذَلِكَ لَنْ أُعْطِيَ شَيْئًا لأَحَدٍ بَعْدَ الآنَ فالإنْسانُ دائِمًا يَخْسَرُ من جَرّاءِ الكَرَم».

وهُنا قالَ الجُرَذُ: «حَسَنًا!»

فَرَدَّ الطّائِرُ: «حَسَنًا، إنَّها نِهايَةُ القِصَّة».

وسأَلَ الجُرَذُ: «ولَكِنْ ماذا حَصَلَ لِصاحِبِ الطّاحونَة؟»

فأَجابَ الطّائِرُ: «حَقًّا لا أَعْرِفُ ومِنَ المُؤَكَّدِ أَنّني غَيْرُ مُهْتَمٍّ بِما حَصَلَ لَه».

فَقالَ الجُرَذُ: «مِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّكَ لا تَمْلِكُ حِسَّ الشَّفَقَةِ والتَّعاطُف».

ولاحَظَ الطّائِرُ: «أَخْشَى أَنَّكَ لا تَرَى تَمامًا مَغْزَى القِصَّة».

فَقالَ الجُرَذُ: «ماذا تَقول؟»

فَرَدَّدَ الطّائِرُ: «مَغْزَى القِصَّة».

فقالَ الجُرَذُ: «هَلْ تَعْنِي أَنَّ لِهَذِهِ القِصَّةَ مَغْزَى؟»

أَجابَ الطّائِرُ: «بالتّأْكِيد».

وقالَ الجُرَذُ بِصَوْتٍ غاضِب: «حسَنًا، أَظُنُّ أَنَّهُ كانَ يَجِبُ عَلَيْكَ إِبْلاغِي بالمَغْزَى قَبْلَ البِدايَة، ولَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَما اسْتَمَعْتُ لِبَقِيَّةِ القِصَّة، ورُغْمَ ذَلِكَ فأنا لَسْتُ مُهْتَمًّا بِهَذا المَغْزَى الآن».

وسأَلَتِ البَطَّةُ الطّائِرَ: «حَسَنًا، ما رأيُكَ بالجُرَذ؟ رُبَّما تكونُ لَدَيْهِ الكَثِيرُ من الصِّفاتِ الحَسَنَةِ لَكِنَّنِي أَمْلِكُ مَشاعِرَ الأُمومَةِ ولا يُمْكِنُنِي النَّظَرُ إِلَيْهِ دونَ أَنْ تَتَرَقْرَقَ الدُّموعُ في عَيْنَيَّ».

وأَجابَ الطّائِرُ: «أَظُنُّ أَنَّنِي أَزْعَجْتُهُ بِإِخْبارِهِ قِصَّةً ذاتَ مَغْزَى».

ورَدَّتِ البَطَّةُ: «آه! أَظُنُّ أَنَّ رِوايَةَ هَذا النَّوْعِ من القِصَصِ لَهُ أَخْطارُه».

وأَنا أُوافِقُها القَوْلَ.

الصّاروخُ النّارِيُّ المُدْهِش

كانَ ابْنُ المَلِكِ عَلَى وَشَكِ الزَّواجِ بَعْدَما انْتَظَرَ خَطِيبَتَهُ سَنَةً واحِدَةً فَعَمَّ الفَرَح. كانَتِ الخَطِيبَةُ أَمِيرَةً روسِيَّةً قَطَعَتْ كُلَّ الطَّرِيقِ عَبْرَ فِنْلَنْدا عَلَى عَرَبَةِ مِزْلاجٍ تَجُرُّها سِتَّةُ غِزْلانٍ، وَكانَ شَكْلُ العَرَبَةِ مِثْلَ الإِوَزَّةِ الذَّهَبِيَّةِ الضَّخْمَة. كانَ رِداءُ الأَمِيرَةِ يَصِلُ حَتّى قَدَمَيْها، لَكِنَّها كانَتْ شاحِبَةً مِثْلَ القَصْرِ الثَّلْجِيِّ الّذي عاشَتْ فِيهِ دائِمًا. وكانَ النّاسُ يَعْجَبونَ لِهَذا الشُّحوبِ مع مُرورِ الأَمِيرَةِ عَبْرَ شَوارِعِ المَدِينَةِ ويَصِيحونَ قائِلِين: «إِنَّها مِثْلُ الوَرْدَةِ البَيْضاء».

وَوَقَفَ الأَمِيرُ عِنْدَ بَوّابَةِ القَلْعَةِ لاسْتِقْبالِ الأَمِيرَة. كانَتْ للأَمِيرِ عَيْنانِ بَنَفْسَجِيَّتانِ حالِمَتانِ، وكانَ شَعْرُهُ مِثْلَ الذَّهَبِ النَّقِيِّ، وعِنْدَما رأَى الأَمِيرَةَ جَثا عَلَى رُكْبَتِهِ وقَبَّلَ يَدَها.

وتَمْتَمَ الأَمِيرُ: «صُورَتُكِ جَمِيلَةٌ وأَنْتِ حَقًّا أَجْمَلُ مِنَ الصُّورَة». وتَوَرَّدَ وَجْهُ الأَمِيرَةِ خَجَلاً.

وَقالَ أَحَدُ الفُرْسان: «كانَتِ الأَمِيرَةُ مِنْ قَبْلُ مِثْلَ الوَرْدَةِ البَيْضاء، لَكِنَّها الآنَ مِثْلُ الوَرْدَةِ الحَمْراء». وعَمَّتِ السَّعادَةُ البَلاطَ المَلَكِي.

وفي الأَيّامِ الثَّلاثَةِ التّالِيَةِ سادَ القَوْلُ التّالِي عَلَى لِسانِ الجَمِيع:

«وَرْدَةٌ بَيْضاءُ، وَرْدَةٌ حَمْراءُ، وَرْدَةٌ بَيْضاءُ، وَرْدَةٌ حَمْراءُ». وَأَمَرَ المَلِكُ بِمُضاعَفَةِ راتِبِ الفارِسِ الّذي أَطْلَقَ هَذا القَوْلَ.

وبَعْدَ انْتِهاءِ الأَيّامِ الثَّلاثَةِ حَصَلَ الاحْتِفالُ بالزَّواجِ وكانَ حَفْلاً رائِعًا حَيْثُ مَشَى العَرِيسُ والعَروسُ يَدًا بِيَدٍ تَحْتَ مِظَلَّةٍ مُخْمَلِيَّةٍ أُرْجوانِيَّةٍ مُطَرَّزَةٍ باللآلِىءِ الصَّغيرة. ثُمَّ حَصَلَتِ المأْدُبَةُ الرَّسْمِيَّةُ الَّتي دامَتْ خَمْسَ ساعاتٍ جَلَسَ خلالَها الأَميرُ والأَميرةُ في رَأْسِ القاعَةِ الكَبيرة وشَرِبا في كُؤُوسٍ من البلّورِ لا يَشْرَبُ مِنْها عادَةً سوى العاشِقِينَ الحَقِيقِيّينَ لأَنَّ الشَّفَتَيْنِ الكاذِبَتَيْنِ تُفْسِدانِ الكأْسَ البلّوريَّ وتَجْعَلانِهِ يَبْدو باهِتًا.

وَقالَ الفارِسُ: «مِنَ الواضِحِ أَنَّهُما يَعْشَقانِ بَعْضُهُما بعضًا وهَذا الوُضوحُ هُوَ مِثْلُ وُضوحِ البَلّور». وضاعَفَ المَلِكُ راتِبَ الفارِسِ مَرَّةً أُخْرَى، وصاحَ مَنْ في البَلاطِ: «ما هَذا الشَّرَفُ العَظِيم!»

وبَعْدَ المأْدُبَةِ جاءَتْ حَفْلَةُ الرَّقْصِ حَيْثُ كانَ عَلَى العَرِيسِ والعَروسِ رَقْصُ رَقْصَةِ الوَرْدَةِ مَعًا، وحَيْثُ وَعَدَ المَلِكُ بالعَزْفِ عَلَى النّاي.

ورُغْمَ أَنَّ عَزْفَ المَلِكِ كانَ سَيِّئًا، لَمْ يَتَجَرَّأْ أَحَدٌ عَلَى إِبْلاغِهِ بِذَلِكَ لأَنَّهُ كانَ المَلِكَ، فَهَتَفَ الجَمِيعُ: «يا لَرَوْعَةِ العَزْفِ وَسِحْرِهِ».

أَمّا آخِرُ مَراحِلِ الحَفْلِ فَكانَتْ عِبارَةً عَنْ أَلْعابٍ نارِيَّةٍ في مُنْتَصَفِ اللَّيْل. لَمْ تَكُنِ الأَميرةُ قَدْ شاهَدَتْ من قَبْلُ أَيَّ بَرْنامَجٍ للأَلْعابِ النّارِيَّةِ في حَياتِها وسأَلَتِ الأَميرَ: «ما هِيَ الأَلْعابُ النّارِيَّة؟»

فَرَدَّ الأَميرُ: «إِنَّها مِثْلُ نور القُطْبِ، وأَنا أُفَضِّلُها على النُّجوم نَفْسِها، وهِيَ مُمْتِعَةٌ مِثْلَ العَزْفِ عَلَى النّاي، ويَجِب أَنْ تُشاهِدِيها».

وهَكَذا أُعِدَّتِ الحَدِيقَةُ المَلَكِيَّةُ وبَدأَتِ الأَلْعابُ النّارِيَّة.

وصاحَتْ إِحْدَى المُفَرْقَعاتِ: «إِنَّ العالَمَ جَمِيلٌ حقًّا، انْظُروا فَقَطْ إلى أَزْهارِ الخُزامَى الصَّفْراء. أَنا سَعِيدَةٌ بالتَّجَوُّلِ في السَّماءِ لأَنَّهُ يَشْحَذُ الذِّهْنَ ويُزِيلُ كُلَّ المَوانِع».

فَرَدَّتْ شَمْعَةٌ كَبيرةٌ: «أَيَّتُها المُفَرْقَعَةُ الحَمْراءُ، حَدِيقَةُ المَلِكِ لَيْسَتْ بالعالَم، فالعالَمُ هُوَ مَكانٌ ضَخْمٌ ويَسْتَغْرِقُكِ التَّجَوُّلُ فِيهِ ثَلاثَةَ أَيّام».

وقالَ أَحَدُ دَوالِيبِ النّارِ للمُفَرْقَعَةِ: «كُلُّ مَكانٍ تُحِبِّينَهُ هُوَ العالَمُ بالنِّسْبَةِ إليك، لَكِنَّ الحُبَّ لَمْ يَعُدْ سائِدًا اليَوْمَ لأَنَّ الشُّعَراءَ قَتَلوه، والحُبُّ الحَقِيقِيُّ هُوَ المُعاناةُ الصّامِتَة. لَقَدْ حَصَلَ هَذا في أَحَدِ الأَيّامِ لَكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ كَذَلِكَ الآنَ فالعِشْقُ هُوَ شَيْءٌ مِنَ الماضِي».

لَكِنَّ الشَّمْعَةَ الكَبِيرةَ قالَتْ: «هَذا الكَلامُ هُراءٌ، فالعِشْقُ لا يَموتُ وهُوَ مِثْلُ القَمَرِ يَعِيشُ أَبَدًا. انْظُروا فالعَرِيسُ والعَروسُ يَعْشَقانِ بَعْضَهما بَعْضًا بِقُوَّة، ولَقَدْ سَمِعْتُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُما هَذا الصَّباحَ وعَرَفْتُ آخِرَ الأَخْبار».

وهَزَّ دولابُ النّارِ رأْسَهُ وتَمْتَمَ قائِلاً: «العِشْقُ مَيِّتٌ، العِشْقُ مَيِّتٌ، العِشْقُ مَيِّتٌ». لأَنَّهُ كانَ مِنَ الّذينَ يَظُنّونَ أَنَّ تَكْرارَ القَوْلِ يَجْعَلُهُ حَقِيقَةً في النِّهايَة.

وفَجأةً سمِعَ الجَميعُ سُعالاً ونَظَروا حوْلَهُم.

فَقَدْ جاءَ السُّعالُ مِنْ صاروخٍ مُتكبِّرٍ مَرْبوطٍ إلى عُودٍ طَويل، وكانَ هَذا الصّاروخُ يَسْعُلُ دائِمًا قَبْلَ إبْداءِ مُلاحَظاتِهِ وذَلِكَ لِجَذْبِ الانْتِباه.

وقالَ الصّاروخُ: «إحِمْ، إحِمْ» وسَمِعَهُ الجَميعُ سِوى دولابِ النّارِ الّذي كانَ لا يَزالُ يَهُزُّ رأْسَهُ مُتَمتِمًا: «العِشْقُ مَيِّتٌ».

فَصاحَتْ إحْدَى المُفَرْقَعاتِ: «النِّظامَ! النِّظامَ!» كانَتْ هَذِهِ المُفَرْقَعَةُ تشبه القاضِيَ القانونِيَّ لأنها كانَتْ تَعْرِفُ كُلَّ التَّعابيرِ القانونِيَّة.

وتَمْتَمَ دولابُ النّارِ: «مَيِّتٌ حَتْمًا» ثُمَّ نام.

وعِنْدَما سادَ الصَّمْتُ سَعَلَ الصّاروخُ للمَرّةِ الثّالِثَةِ وبَدأَ الكَلامَ بِصَوْتٍ بَطيءٍ واضِحٍ كَما لَوْ كانَ يَتْلو مُذَكّراتِهِ وقال: «كَمْ هُوَ مَحْظوظٌ ابْنُ المَلِكِ بالزَّواجِ في اليَوْمِ الّذي أَنْطَلِقُ فيهِ أنا إلى السَّماءِ، والأُمَراءُ دائِمًا مَحْظوظون».

وقالَتْ إحْدَى المُفَرْقَعات: «آه! كُنْتُ أظُنُّ العَكْسَ صَحيحًا وأنَّ انْطِلاقَنا في السَّماءِ يَتِمُّ على شَرَفِ الأَميرِ وأَنْ لَيْسَ في الأَمْرِ حَظٌّ أو صُدْفَة».

فأجابَ الصّاروخ: «قَدْ يَكونُ الأمْرُ كَذَلِكَ بالنِّسْبَةِ إليكَ لَكِنْ مَعي يَخْتَلِفُ لأنَّني صاروخٌ مُدْهِشٌ مُتَحَدِّرٌ مِنْ أَبَوَيْنِ مُدْهِشَيْن. فَقَدْ كانَتْ أُمّي أَبْرَزَ دولابٍ نارِيٍّ في أيّامِها وكانَتْ مَشْهورَةً بِرَقْصِها الجَميل،

وكانَتْ عِنْدَما تَظْهَرُ أمامَ الجُمْهورِ تَدورُ في السَّماءِ عِشْرين مَرّةً قَبْلَ ذَهابِها. وفي كُلِّ مَرَّةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ كانَتْ تَرْمي في السَّماءِ سَبْعَةَ نُجومٍ وَرْدِيَّة.

كانَ قُطْرُ دولابِ أُمّي ثَلاثَةَ أَقْدام. أمّا أبي فكانَ صاروخًا مِثْلي ومِنْ أَصْلٍ فَرَنْسِيٍّ وكانَ يَتَشامَخُ عالِيًا بِحَيْثُ كانَ النّاسُ يَخْشَوْنَه. لَكِنَّهُ كانَ يَنْحَني أحْيانًا لأنَّ طَبْعَهُ كانَ طَيِّبًا وكانَتِ الصُّحُفُ تَتَحَدَّثُ عَنْهُ وتَصِفُهُ بالنّارِيِّ المُشْرِق».

فَقالَتْ إحْدَى المُفَرْقَعاتِ: «هَلْ تَعْنِي كَلامَكَ حَقًّا، فأنا أعْرِفُ ما هُوَ النّارِيُّ المُشْرِقُ لأنَّهُ مَكْتوبٌ عَلَى قَذيفَتي».

وأجابَ الصّاروخُ بِحِدَّةٍ: «نَعَم، نارِيٌّ مُشْرِقٌ». وشَعَرَتِ المُفَرْقَعَةُ بالانْهِزامِ بِحَيْثُ بَدأَتْ تَتَحَرَّشُ بباقِي المُفَرْقَعاتِ الصَّغيرةِ لِتُبْرِزَ أَهَمِّيَّتَها المَفْقودَة.

وتابَعَ الصّاروخُ: «كُنْتُ أَقولُ. . . آه ماذا كُنْتُ أقول؟»

فأجابَتِ الشَّمْعَةُ: «كُنْتَ تَتَحَدَّثُ عن نَفْسِك».

فَقالَ الصّاروخُ: «طَبْعًا، أعْرِفُ أنَّني كُنْتُ أتَحَدَّثُ في مَوْضوعٍ مُهِمٍّ لَكِنَّ أَحَدَهُمْ قاطَعَني بِوَقاحَة. أنا أَكْرَهُ الوَقاحَةَ وقِلَّةَ الأَدَبِ من أيِّ نَوْعٍ لأنَّني فائِقُ الحَساسِيَّةِ، ولَيْسَ في العالَمِ مِثْلي في هَذِهِ الحَساسِيَّة، أنا مُتأكِّدٌ من ذَلِك».

فقالَتْ إحْدَى المُفَرْقَعاتِ للشَّمْعَةِ: «ما هُوَ الشَّخْصُ الحَسّاس؟»

فأجابَتِ الشَّمْعَةُ بِصَوْتٍ خَفِيضٍ: «هُوَ الشَّخْصُ الّذي بِسَبَبِ مَساميرِ قَدَمَيْهِ يَطأُ عَلَى أَقْدامِ الآخَرينَ». فانفَجَرَتِ المُفَرْقَعَةُ ضاحِكَةً.

تَساءَلَ الصّاروخُ: «ماذا يُضْحِكُكِ أَيَّتُها المُفَرْقَعَةُ، فأَنا لا أَضْحَك؟»

فأجابَتِ المُفَرْقَعَةُ: «أَضْحَكُ لأَنّني سَعِيدَةٌ».

فقالَ الصّاروخ بِغَضَبٍ: «هَذا السَّبَبُ أَنانيٌّ، وما هُوَ الحَقُّ الّذي تَمْلِكِينَهُ في السَّعادَةِ؟ يَجِبُ أَنْ تُفَكِّري بالآخَرين، وفي الحقيقَةِ يَجِبُ أَنْ تُفَكِّري بي فأَنا دائِمًا أُفَكِّرُ بِنَفْسي وأَتَوَقَّعُ من الآخَرينَ التَّفْكيرَ بي أَيْضًا. هَذا ما يُسَمَّى بالتَّعاطُفِ وهُوَ فَضِيلَةٌ جَميلَةٌ، وأَنا أَمْلِكُ هَذِهِ الفَضِيلَةَ إلى حَدٍّ كَبِير. لِنَفْتَرِضْ مَثَلاً أَنَّ شَيْئًا ما حَصَلَ لي هَذِهِ اللَّيْلَةَ، فَذلِكَ سَيَجْلِبُ الكارِثَةَ عَلَى الجَميعِ ولَنْ يَسْعَدَ بَعْدَها الأَميرُ والأَميرةُ لأَنَّ حياتَهُما الزَّوجِيَّةَ سَتَفْسُدُ ولَنْ يَتَمَكَّنَ المَلِكُ نَفْسُه من تَجاوُزِ الكارثَة. والحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّهُ عِنْدَما أُفَكِّرُ في أَهَمِّيَّةِ مَوْقِعي في الحَياةِ تَتحَرَّكُ دُموعِي».

فَصاحَتِ الشَّمْعَةُ: «إذا كُنْتَ تُرِيدُ إِسْعادَ الآخَرينَ فَيَجِبُ أَنْ تُحافِظَ عَلَى جَفافِكَ حَتّى تَنْطَلِق».

ولاحَظَتْ إحْدَى المُفَرْقَعاتِ النّارِيَّةِ: «هَذا مُؤَكَّدٌ ومَنْطِقِيٌّ».

فقالَ الصّاروخُ بِغَضَبٍ: «مَنْطِقِيٌّ حَقًّا، لَكِنَّكُمْ تَنْسَونَ أَنَّني غَيْرُ مَنْطِقِيٍّ وغَيْرُ عادِيٍّ بَلْ مُدْهِش. يُمْكِنُ لأَيِّ واحِدٍ أَنْ يَكونَ مَنْطِقِيًّا شَرْطَ أَلاَّ يَكونَ لَهُ خَيالٌ، لَكِنَّني أَمْلِكُ الخَيالَ لأَنَّني لا أُفَكِّرُ في الأَشْياءِ كَما هِيَ حَقًّا عَلَيْهِ بَلْ بِشَكْلٍ يَخْتَلِفُ عَمّا هِيَ عَلَيْهِ. أَمّا بالنِّسْبَةِ لِجَفافي فَمِنَ الواضِحِ أَنَّ ما مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ يُقَدِّرُ طَبِيعَتي العاطِفِيَّة. ولِحُسْنِ الحَظِّ أَنا لا آبَهُ لِذَلِكَ لأَنَّ الشَّيْءَ الوَحِيدَ الّذي يُبْقِي الشَّخْصَ على حَياتِهِ هُوَ وَعْيُ تَفَوُّقِهِ عَلَى الآخَرِين، وهَذا ما أَشْعُرُ بِهِ. لَكِنَّ أَيًّا مِنْكُمْ لا يَمْلِكُ قَلْبًا، فَأَنْتُم تَضْحَكونَ وتَهْزأُونَ كَما لو أَنَّ الأَميرَ والأَميرةَ لَمْ يَتَزَوَّجا».

فتَعَجَّبَ بالونٌ نارِيٌّ صَغِيرٌ: «حَسَنًا وحَقًّا، لِمَ لا؟ فَهَذِهِ المُناسَبَةُ هِيَ مُناسَبَةٌ للفَرَحِ، وعِنْدَما أَنْطَلِقُ أَنا في الهَواءِ أَنْوي إِبْلاغَ النُّجومِ بِكُلِّ هَذا الفَرَحِ، وعِنْدَها سَتُشاهِدونَ هَذِهِ النُّجومَ تَغْمِزُ لَدَى الحَدِيثِ عَنِ العَروس».

فقالَ الصّاروخُ: «ما هَذِهِ النَّظْرَةُ السَّطْحِيَّةُ إلى الحَياة! ولَكِنْ هَذا ما تَوَقَّعْتُهُ فأَنْتَ بالونٌ فارِغٌ ومُجَوَّفٌ وما مِنْ شَيْءٍ داخِلَك. قَدْ يَذْهَبُ الأَميرُ والأَميرةُ لِلْعَيْشِ في بِلادٍ فيها نَهْرٌ عَميقٌ ويُنْجِبانِ طِفْلاً واحِدًا فَقَطْ لَهُ عَيْنانِ بَنَفْسَجِيَّتانِ مِثْلَ والِدِهِ الأَمير. ورُبَّما يَذْهَبُ الطِّفْلُ في النَّهْرِ العَميقِ ويَغْرَق. يا لَهَذِهِ الكارِثَةِ الرَّهيبَةِ أَنْ يَفْقِدَ الزَّوْجانِ ابْنَهُما الوَحِيد! إِنَّهُ شَيْءٌ رَهِيبٌ حَقًّا ولَنْ أَتَمَكَّنَ مِنَ التَّغَلُّبِ عَلَى المَشاعِرِ الّتي يُطْلِقُها».

فقالَتِ الشَّمْعَةُ: «لكنَّهُما لَمْ يَفْقِدا ابْنَهُما الوَحيدَ ولَمْ تَحْصُلْ لَهُمْ أَيُّ كارِثَة».

فأجابَ الصاروخُ: «لَمْ أَقُلْ إنَّ هذا قَدْ حَصَلَ بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ. فَلَوْ كانا قَدْ فَقَدا ابْنَهُما الوَحيدَ لما عادَت هُناكَ فائِدَةٌ مِنَ الكَلامِ في المَوْضوعِ، وأَنا أَكْرَهُ الَّذِينَ يَتَكَلَّمونَ عَنِ الماضي، ولَكِنْ عِنْدَما أُفَكِّرُ أَنَّهُما قَدْ يَخْسَرانِ ابْنَهُما الوَحيدَ أَتأَثَّرُ لِذَلِك».

فَصاحَتْ إِحْدَى المُفَرْقَعاتِ: «طَبْعًا، فأَنْتَ أَكْثَرُ الأَشْخاصِ حَسّاسِيَةً بَيْنَ كُلِّ الَّذِينَ قابَلْتُهُم».

وقالَ الصّاروخُ: «وأَنْتِ أَكْثَرُهُمْ وَقاحَةً ولا يُمْكِنُكِ فَهْمُ صَداقَتي للأَمير».

فتَعَجَّبَتِ الشَّمْعَةُ: «كَيْفَ ذلِكَ وأَنْتَ لا تَعْرِفُه!»

وأَجابَ الصّاروخُ: «لَمْ أَقُلْ إِنَّني أَعْرِفُهُ بَلْ يُمْكِنُني القَوْلُ إِنَّني إِذا عَرَفْتُهُ جَيِّدًا لَنْ أَعودَ صَديقَهُ عَلى الإِطْلاقِ لأَنَّهُ مِنَ الخَطَرِ أَنْ يَعْرِفَ المَرْءُ أَصْدِقاءَهُ حَقَّ المَعْرِفَة».

فقالَ البالونُ: «مِنَ الأَفْضَلِ لَكَ أَنْ تُحافِظَ عَلى جَفافِكَ لأَنَّ هَذا هُوَ المُهِمُّ الآن».

وَرَدَّ الصاروخُ: «رُبَّما يكونُ ذَلِكَ مُهِمًّا بالنِّسْبَةِ إليك بِدونِ شَكّ، ولَكِنْ يُمْكِنُني البُكاءُ بِمِلْءِ إرادَتي فَلا أَعودُ جافًّا». وانْفَجَرَ الصاروخُ باكِيًا بِدُموعٍ تَدَلَّتْ عَلى طولِ عُودِهِ مِثْلَ قَطَراتِ المَطَر.

فقالَ الدُّولابُ النّاريُّ: «لا بُدَّ أَنَّ لَهُ طَبْعًا رومَنْسِيًا حَقيقيًا لأَنَّهُ يَبْكي عِنْدَما لا يَكونُ هُناكَ سَبَبٌ لِلْبُكاء». وأَطْلَقَ البالونُ تَنْهيدَةً عَميقَة.

لَكِنَّ الشَّمْعَةَ والمُفَرْقَعَةَ شَعَرَتا بِالغَضَبِ لأَنَّهُما كانَتا تَنْظُرانِ إلى الحَياةِ نَظْرَةً شَديدَةَ الواقِعِيَّة.

ثُمَّ طَلَعَ القَمَرُ مِثْلَ دِرْعٍ فِضِّيٍّ عَجيبٍ وبَدأَتِ النُّجومُ تُشِعُّ وخَرَجَ صَوْتٌ موسيقيٌّ مِنَ القَصْر.

كانَ الأَميرُ والأَميرَةُ يَقودانِ الحَفْلَةَ الرّاقِصَةَ بِجَمالٍ رائِعٍ دَعا الأَزْهارَ في الخارِجِ إلى التَّسَلُّلِ مِنَ النَّوافِذِ لِمُراقَبَةِ الرَّقْص.

ثُمَّ جاءَتِ السّاعَةُ العاشِرَةُ وبَعْدَها الحادِيَةَ عَشْرَةَ ثُمَّ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ حَتّى حَلَّ مُنْتَصَفُ اللَّيْلِ، فَخَرَجَ الجَميعُ إلى حَديقَةِ القَصْرِ وأَرْسَلَ المَلِكُ طالِبًا المَسْؤولَ عَنِ الأَلْعابِ النّارِيَّةِ وقالَ: «يَجِبُ أَنْ تَبْدأَ الأَلْعابُ النّارِيَّة».

وكانَ العَرْضُ رائِعًا.

انْطَلَقَ الدُّولابُ النّارِيُّ وتَفَرْقَعَتِ المُفَرْقَعاتُ واشْتَعَلَتِ الشُّموعُ ورَقَصَتْ بَقِيَّةُ المُفَرْقَعاتِ حَوْلَ أَرْجاءِ المَكانِ، وقالَ البالونُ النّاريُّ مع انْطِلاقِهِ عالِيًا في الهَواءِ: «وَداعًا»، وأَطْلَقَ شَراراتٍ زَرْقاء. واسْتَمْتَعَتِ المُفَرْقَعاتُ بِنَفْسِها إِلاَّ الصاروخَ المُدْهِشَ لأَنَّهُ كانَ رَطْبًا ومُبَلَّلاً مِنَ البُكاءِ بِحَيْثُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الانْطِلاقِ إلى الأَعْلَى.

وانطَلَقَتْ كُلُّ المُفَرْقَعاتِ التي كانَ يَتَشامَخُ عَلَيْها الصاروخُ وبَدَتْ مِثْلَ الأَزْهارِ الذَّهَبيَّةِ ذاتِ البَراعِمِ النّاريَّة. وشَعَرَتِ الأَميرةُ بالسَّعادة.

وقالَ الصاروخُ: «أَظُنُّهم يُوَفِّرونَني لِمُناسَبَةٍ أَعْظَم. ما مِنْ شَكٍّ في ذَلِك». وازْدادَ الصاروخُ تَشامُخًا.

وَفي اليَوْمِ التّالي جاءَ العُمّالُ لِتَنْظيفِ الحَديقَةِ فقالَ الصّاروخُ: «طَبْعًا، هَذا وَفْدٌ قادِمٌ لي وسَوْفَ أَسْتَقْبِلُهُم بِأَنَفَةٍ وكِبْرياء». وهَكَذا رَفَعَ الصّاروخُ أَنْفَهُ في الهَواءِ وبَدَأَ يَعْبِسُ كَما لَوْ كانَ يُفَكِّرُ في مَوْضوعٍ مُهِمٍّ. لَكِنَّ العُمّالَ لَمْ يُلاحِظوهُ حَتّى وَقْتِ رَحيلِهِم فقالَ أَحَدُهُم: «مَرْحَبًا! ما هَذا الصّاروخُ السَّيِّىءُ؟» وَرَمى العامِلُ الصّاروخَ في حُفْرَةِ الحَديقَة.

وتابَعَ العامِلُ سَيْرَهُ قائِلًا: «صاروخٌ سَيِّىءٌ». لَكِنَّ الصّاروخَ لاحَظَ أَنَّهُ مِنَ المُسْتَحيلِ أَنْ يَقولَ العامِلُ إِنَّهُ سَيِّىءٌ وقالَ: «لا بُدَّ أَنَّهُ يَقولُ إِنَّني صاروخٌ عَظيمٌ»، وسَقَطَ الصّاروخُ في الوَحْل.

وَلاحَظَ الصّاروخُ قائِلًا: «لَيْسَ المَكانُ مُريحًا هُنا ولَكِنْ لا بُدَّ أَنَّهُم أَرْسَلوني هُنا لِلنَّقاهَةِ ولاسْتِعادَةِ صِحَّتي لأَنَّ أَعْصابي مُرْهَقَةٌ ومُحْتاجٌ لِلرّاحَة».

ثُمَّ جاءَ ضِفْدَعٌ صَغيرٌ كَبيرُ العَيْنَيْنِ بِمِعْطَفِهِ الأَخْضَرِ إِلى الصّاروخِ وقالَ: «ضَيْفٌ جَديدٌ كَما أَرى، طَبْعًا فَما مِنْ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنَ الوَحْلِ

في الطَّقْسِ الماطِر... وهَذا يُسْعِدُني... هَلْ تَظُنُّ أَنَّها سَتُمْطِرُ بَعْدَ الظُّهْرِ رُغْمَ أَنَّ السَّماءَ الآنَ زَرْقاءُ صافِيَةٌ للأَسَف؟»

وقالَ الصّاروخُ: «إِحِمْ، إِحِمْ» وبَدَأَ بالسُّعالِ فَصاحَ الضِّفْدَعُ: «صَوْتُكَ جَميلٌ مِثْلَ نَقِّ الضَّفادِعِ الّذي هُوَ أَفْضَلُ صَوْتٍ موسيقِيٍّ في العالَم. وسَوْفَ تَسْمَعُ الكَثيرَ مِنْهُ هَذا المَساء. فَنَحْنُ الضَّفادِعَ نَجْلِسُ في بِرْكَةِ البَطِّ قُرْبَ مَنْزِلِ المُزارِعِ، وفَوْرَ طُلوعِ القَمَرِ نَبْدأُ بالنَّقِّ بِشَكْلٍ مُبْهِجٍ يَدْعو الجَميعَ للاسْتيقاظِ والاسْتِماعِ إِلينا. وفي الحَقيقَةِ سَمِعْتُ البارِحَةَ زَوْجَةَ المُزارِعِ تَقولُ لأُمِّها إِنَّهُ لا يُمْكِنُ النَّوْمُ في اللَّيْلِ بِسَبَبِنا. وهَذا إِطْراءٌ عَظيمٌ لَنا».

فَقالَ الصّاروخُ بِغَضَبٍ: «إِحِمْ، إِحِمْ»، فَقَدْ شَعَرَ بالانْزِعاجِ لأَنَّهُ لَمْ يُعْطَ فُرْصَةً لِلْكَلام.

وتابَعَ الضِّفْدَعُ: «صَوْتُكَ جَميلٌ حَقًّا وآمُلُ مِنْكَ المَجيءَ مَعَنا إِلى بِرْكَةِ البَطِّ. سأَذْهَبُ الآنَ لأَبْحَثَ عَنْ بَناتي الضَّفادِعِ، فَأَنا لَدَيَّ سِتُّ بَناتٍ جَميلاتٍ وأَخْشى عَلَيْهِنَّ من المُتَطَفِّلين. والآنَ وَداعًا فَلَقَدْ اسْتَمْتَعْتُ بالحَديثِ مَعَكَ بالتَّأْكيد».

فَقالَ الصّاروخُ ساخِرًا: «إِنَّهُ لَحَديثٌ طَويلٌ حَقًّا! فَلَقَدْ اقْتَصَرَ الكَلامُ عَلَيْكَ وَحْدَكَ وهَذا لَيْسَ بِحَديث».

فَأَجابَ الضِّفْدَعُ: «لا بُدَّ أَنْ يَبْقى أَحَدُ طَرَفَيِ الحَديثِ مُنْصِتًا، وأَنا أَرْغَبُ في الاسْتِئْثارِ بالكَلامِ كُلِّهِ لأَنَّ ذَلِكَ يُوَفِّرُ الوَقْتَ ويَمْنَعُ المُناقَشَة».

فقالَ الصّاروخُ: «لكِنَّني أُحِبُّ المُناقَشَة».

قالَ الضِّفْدَعُ: «آمُلُ أَلاَّ تَفْعَلَ ذَلِكَ لأَنَّ كُلَّ المُناقَشاتِ سَطْحِيَّةٌ والجَميعُ في المُجْتَمَعِ يَحْمِلونَ الآراءَ ذاتَها في النِّهايَة. وداعًا مَرَّةً أُخْرى فأنا أَرى بَناتي مِنْ بَعيد». وابْتَعَدَ الضِّفْدَع.

فقالَ الصّاروخ: «أَنْتَ شَخْصٌ مُزْعِجٌ وتَرْبِيَتُكَ سَيِّئَة. فأنا أَكْرَهُ الأَشْخاصَ الَّذِينَ يَتَحَدَّثونَ عَنْ أَنْفُسِهِم كَما تَفْعَلُ أَنْتَ خصوصًا عِنْدَما يُريدُ الآخرونَ التَّحَدُّثَ عَنْ أَنْفُسِهِم أَيْضًا كَما أَفْعَلُ أَنا. وهَذا ما أُسَمِّيهِ أَنانِيَّةً والأَنانِيَّةُ شَيْءٌ بَغيضٌ خصوصًا بالنِّسْبَةِ إليَّ لأَنَّني مَعْروفٌ بِطَبْعي الوُدِّي. ويَجِبُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيَّ كَنَموذَجٍ مِثالِيٍّ لَيْسَ من نَموذَجٍ أَفْضَلَ مِنه. والآن وقَدْ سَنَحَتْ لِيَ الفُرْصَةُ أرى أَنَّه عليكَ أَنْ تُصَحِّحَ شَخْصِيَّتَكَ لأَنَّني ذاهِبٌ إلى البَلاطِ المَلَكِي، فأَنا الشَّخْصُ المُفَضَّلُ في هَذا البَلاطِ، ولَقَدْ تَزَوَّجَ الأَميرُ بالأَميرةِ البارِحَةَ عَلَى شَرَفي. وأَنْتَ حَتْمًا لا تَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ هَذِهِ الأُمورِ لأَنَّكَ رِيفِيّ».

فقالَتِ الذُّبابَةُ: «لا فائِدَةَ مِنَ الكَلامِ مَعَ الضِّفْدَعِ لأَنَّهُ ذَهَبَ بَعيدًا».

فأَجابَ الصّاروخ: «حَسَنًا، هَذِهِ خَسارَةٌ لَهُ ولَيْسَت لي ولَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ التَّحَدُّثِ إِلَيْهِ لأَنَّهُ لا يُعيرُني انْتِباهًا فَقَطْ بَلْ لأَنَّني أُحِبُّ سَماعَ نَفْسي، وهَذا السَّماعُ يُسْعِدُني حَقًّا، وأَنا دائِمًا أُجْري الأَحاديثَ مَعَ نَفْسي وذَكِيٌّ إلى حَدِّ أَنَّني في بَعْضِ الأَحْيانِ لا أَفْهَمُ كَلِمَةً واحِدَةً مِمّا أَقوله».

فقالَتِ الذُّبابَةُ: «إِذَنْ لا بُدَّ لَكَ مِنَ المُحاضَرَةِ في الفَلْسَفَة». ومَدَّتِ الذُّبابَةُ جَناحَيْها وانْطَلَقَتْ إلى السَّماء.

فقالَ الصّاروخُ النّارِيُّ: «مِنَ السُّخْفِ أَلاَّ تَبْقى الذُّبابَةُ هُنا وأَنا مُتأَكِّدٌ أَنَّهُ لَمْ تُتَحْ لَها الفُرْصَةُ لِتُحَسِّنَ ذِهْنَها. وَمَعْ ذَلِكَ لا أَهْتَمُّ للأَمْرِ كَثيرًا فالعَباقِرَةُ مِثْلي لا بُدَّ أَنْ يَلْقَوا التَّقْديرَ يَوْمًا ما». ثُمَّ غَرِقَ الصّاروخ في الوَحْل.

وبَعْدَ وَقْتٍ قَليلٍ جاءَتِ البَطَّةُ إلى الصّاروخ وقالَتْ: «كُواك، كُواك، ما هَذا الشَّكْلُ العَجيبُ؟ هَلْ يُمْكِنُني سُؤالُكَ عَمّا إذا كُنْتَ قَدْ وُلِدْتَ عَلَى هَذا الشَّكْلِ أَو أَنَّ شَكْلَكَ نَتيجَةٌ لحادِثٍ ما؟»

فأَجابَ الصّاروخُ النّارِيُّ: «مِنَ الواضِحِ أَنَّكِ أَمْضَيْتِ حَياتَكِ في الرِّيْفِ وإِلاّ لَكُنْتِ عَرَفْتِ مَنْ أَنا. لَكِنَّني أَتَفَهَّمُ جَهْلَكِ، وقَدْ يَكونُ مِنْ غَيْرِ المُنْصِفِ تَوَقُّعُ أَنْ يَكونَ الآخرونَ مُدْهِشينَ وبارِزينَ مِثْلي، وسَتُفاجَئينَ أَيَّتُها البَطَّةُ عِنْدَما تَعْرِفينَ أَنَّهُ يُمْكِنُني التَّحْليقُ في السَّماءِ وإِنْزالُ رَذاذٍ مِنَ المَطَرِ الذَّهَبِيّ».

فَقالَتِ البَطَّةُ: «لا أُفَكِّرُ كَثيرًا في هَذا الأَمْرِ لأَنَّني لا أَرى فائِدَةً فيه. ولَكِنْ إذا كانَ بِإِمْكانِكَ فَلْحُ الأَرْضِ مِثْلَ الثَّوْرِ أَو جَرُّ العَرَبَةِ مِثْلَ الحِصانِ أَوْ رَعْيُ الماشِيَةِ مِثْلَ الكَلْبِ فَذَلِكَ أَمْرٌ يَسْتَحِقُّ التَّفْكير».

فَصاحَ الصّاروخُ بِصَوْتٍ مُتَكَبِّرٍ: «مَخْلوقَتي العَزيزَة، أَرى أَنَّكِ تَنْتَمينَ إلى الطَّبَقَةِ السُّفْلَى، فأَيُّ شَخْصٍ في مَرْكَزي لا يَقومُ بما هُوَ

مُفيد. طَبْعًا لَنا إنْجازاتُنا وهَذا أَكْثَرُ مِنْ كافٍ، وأَنا لا أَتعاطَفُ مَعَ الزِّراعَةِ والعَمَلِ من أَيِّ نَوْعٍ خصوصًا العَمَلَ الّذي يهُمُّكِ، بَلْ أَقولُ إنَّ العَمَلَ الشّاقَّ هُوَ بِبَساطَةٍ مَلاذٌ للأَشْخاصِ الّذينَ لَيْسَ لَدَيْهِمْ ما يَفْعَلونَهُ عَلى الإطْلاقِ».

فَقالَتِ البَطَّةُ: «حَسَنًا، حَسَنًا» لأَنَّ طَبْعَها كانَ يَميلُ إلى السِّلْمِ ولا تَتَشاجَرُ مَعَ أَحَدٍ، وتابَعَت: «لِكُلِّ شَخْصٍ ذَوْقٌ مُخْتَلِفٌ وآمُلُ أَنْ تَخْتارَ مَسْكَنَكَ هُنا».

لَكِنَّ الصّاروخَ النّاريَّ صاحَ: «آه، بالطَّبْعِ لا، فأَنا مُجَرَّدُ زائِرٍ وزائِرٍ مُمَيَّزٍ، والحَقيقةُ هِيَ أَنَّني أَجِدُ هَذا المَكانَ مُمِلاًّ حَيْثُ لا حَياةَ اجْتِماعِيَّةَ بَلْ وَحْدَةٌ وَوَحْشَةٌ. والمَكانُ أَيْضًا بَعيدٌ عَنِ المَدينَةِ، رُبَّما أَعودُ إلى البَلاطِ المَلَكِيِّ لأَنَّني أَعْرِفُ أَنَّ قَدَري في الحَياةِ هُوَ إثارَةُ الحِسِّ في العالَمِ».

فَلاحَظَتِ البَطَّةُ: «كانَتْ عِنْدي أَفْكارٌ ورَغْبَةٌ في الحَياةِ العامَّةِ ذاتَ مَرَّةٍ، فهُنالِكَ أَشْياءُ كَثيرَةٌ تَحْتاجُ إلى إصْلاحٍ في العالَمِ. والحَقُّ أَنَّني تَرَأَّسْتُ اجْتِماعًا قَبْلَ زَمَنٍ طَويلٍ عَمِلْنا فيهِ عَلى إصْدارِ قَراراتٍ تُدينُ كُلَّ ما لا يُعْجِبُنا، ولَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِهَذِهِ القَراراتِ مِنْ تأْثيرٍ ولِذَلِكَ عُدْتُ إلى الحَياةِ الأَليفَةِ والعِنايَةِ بعائِلَتي».

فَقالَ الصّاروخُ النّاريُّ: «أَنا خُلِقْتُ للحَياةِ العامَّةِ وظُهوري يُثيرُ انْتِباهًا كَبيرًا رُغْمَ أَنَّني لَمْ أَظْهَرْ فِعْلِيًّا. ولَكِنْ عِنْدَما أَظْهَرُ سَيكونُ

المَشْهَدُ مُدْهِشًا ورائِعًا. أَمّا بالنِّسْبَةِ لِلحَياةِ الأَليفَةِ فَهِيَ تودي بِنا إلى التَّقَدُّمِ في السِّنِّ بِسُرْعَةٍ وتُبْعِدُ أَذْهانَنا عَنِ الأُمورِ السّامِيَةِ».

فَقالَتِ البَطَّةُ: «آه، كَمْ هِيَ جَميلةٌ الأُمورُ السّامِيَةُ لَكِنَّني أَتَذَكَّرُ جُوْعِي». وعامَتِ البَطَّةُ في النَّهْرِ صائِحَةً: «كْواك، كْواك، كْواك».

فَصَرَخَ الصّاروخُ النّارِيُّ: «عُودي! عُودي! فَلَدَيَّ الكَثيرُ مِمّا أَقولُهُ لَكِ». لَكِنَّ البَطَّةَ لَمْ تَهْتَمَّ لَهُ فَقالَ لِنَفْسِهِ: «أَنا مَسْرورٌ لِذَهابِها لأَنَّ ذِهْنَها يُعَبِّرُ عَنِ الطَّبَقَةِ الوُسْطى»، وغَرِقَ في الوَحْلِ، وبَدَأَ يُفَكِّرُ في وَحْشَةِ العَبْقَرِيَّةِ عِنْدَما جاءَ صَبِيّانِ إلى ضَفَّةِ النَّهْرِ.

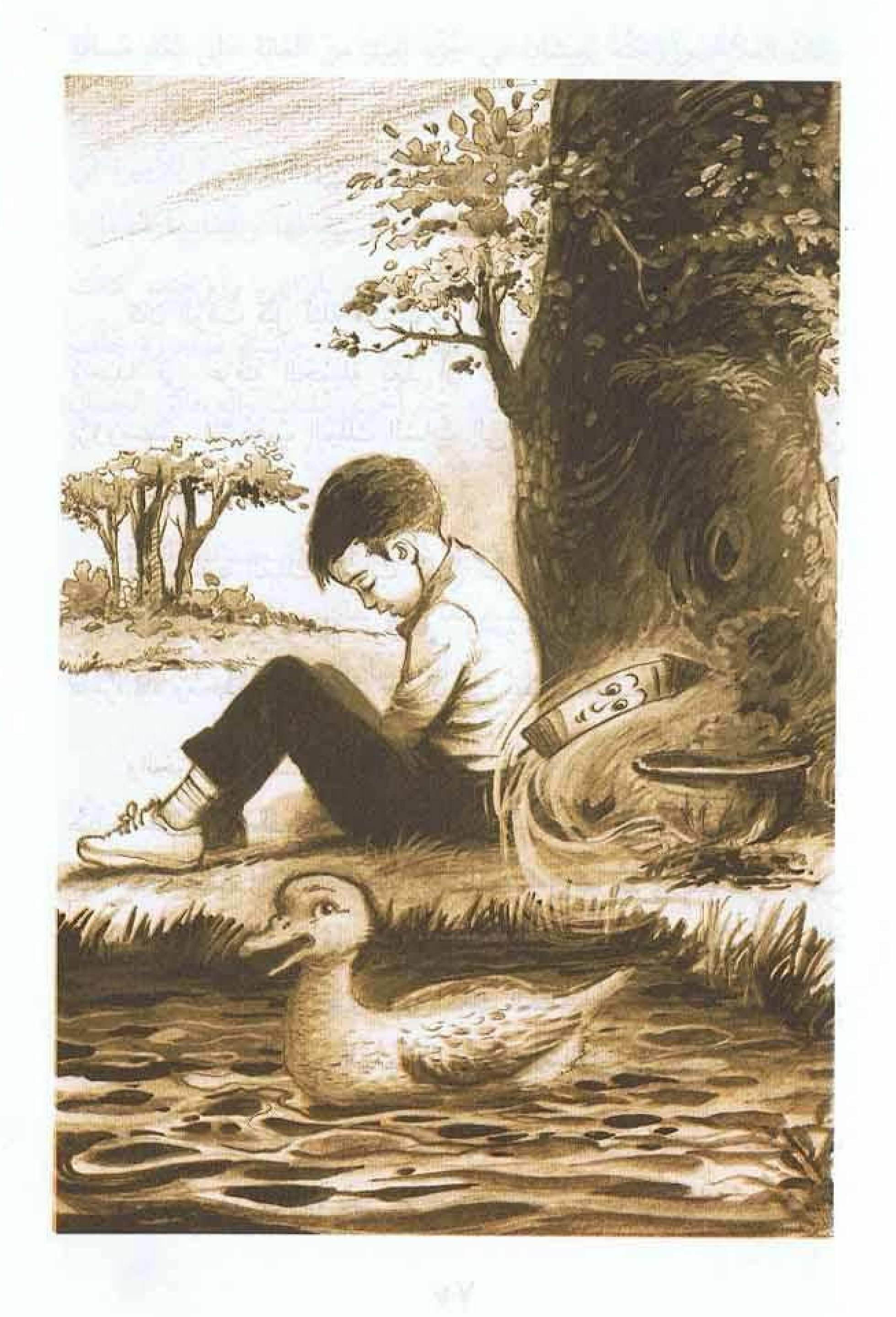
فَقالَ الصّاروخُ: «لا بُدَّ أَنَّ هَذا هُوَ الوَفْد» وحاوَلَ الظُّهورَ بِمَظْهَرِ الإباءِ والأَنَفَة.

وصاحَ أَحَدُ الصَّبِيَّيْنِ: «مَرْحَبًا! انْظُرْ إلى هَذا العُودِ الصَّغيرِ القَديمِ واعْجَبْ كَيْفَ جاءَ إلى هُنا!» والْتَقَطَ الصَّبِيُّ الصّاروخَ مِنَ الحُفْرَة.

فَقالَ الصّاروخُ النّارِيُّ مُحْتَجًّا: «أَنا عُودٌ قَديم!؟ هَذا مُسْتَحيل، لا بُدَّ أَنَّهُ قالَ عُودٌ ذَهَبِيّ!».

فَقالَ الصَّبِيُّ الآخَرُ: «دَعْنا نُشْعِلْ هَذا العُودَ لِيُساعِدَنا عَلى غَلْيِ الماءِ».

وهَكَذا جَمَعَ الصَّبِيّانِ الأَخْشابَ وَوَضَعا الصّاروخَ وأَشْعَلا النّار. فَصاحَ الصّاروخُ: «هَذا رائِعٌ، وهُمْ يُطْلِقونَني في وَضَحِ النَّهارِ بِحَيْثُ يَتَمَكَّنُ الجَميعُ مِنْ مُشاهَدَتي».



وقالَ الصَّبِيّان: «سَنَخْلُدُ للنَّومِ الآنَ وعِنْدما نَسْتَيْقِظُ يكونُ الماءُ قَدْ غلى». واسْتَلْقَى الصَّبِيّانِ عَلَى العُشْبِ وأَغمَضا عَيْنَيْهِما.

لَكِنَّ الصّاروخَ كانَ رَطْبًا جِدًّا فاسْتَغْرَقَ احْتِراقُهُ وَقْتًا طَويلاً رُغْمَ أَنَّ النّارَ وَصَلَتْ إليهِ في النِّهايَةِ.

وصاحَ الصّاروخُ: «الآن أَنْطَلِق»، وشَدَّ نَفْسَهُ مُحاوِلاً الاسْتِقامَةَ، وقالَ: «أَعْرِفُ أَنَّني سأَرْتَفِعُ فَوْقَ النُّجومِ وأَعْلَى مِنَ القَمَرِ وأَعْلَى كَثيرًا مِنَ الشَّمْسِ، والحَقيقَةُ أَنَّني سأَرْتَفِعُ عالِيًا...».

وانْطَلَقَ الصّاروخُ عالِيًا في الهَواءِ وصاحَ: «هَذا مُمْتِعٌ سأَبْقَى مُنْطَلِقًا عالِيًا إلى الأَبَدِ، يا لَهَذا النَّجاح!»

لَكِنَّ أَحَدًا لَمْ يُلاحِظْهُ.

ثُمَّ بَدأَ الصّاروخُ يَشْعُرُ بِإِحْساسٍ مُثيرٍ داخِلَهُ وصاحَ: «الآن سأَنْفَجِرُ وأُشْعِلُ السَّماءَ والعالَمَ وأُطْلِقُ ضَجيجًا يَتَحَدَّثُ عَنْهُ الجَميعُ سَنَةً كامِلَةً». وانْفَجَرَ الصّاروخُ حَقًّا وما مِنْ شَكٍّ في ذَلِكَ.

لَكِنَّ أَحَدًا لَمْ يَسْمَعْهُ حَتَّى الصَّبِيَّيْنِ لأَنَّهُما كانا نائِمَيْنِ. وما بَقِيَ مِنَ الصّاروخِ هُوَ العُودُ الخَشَبِيُّ الّذي سَقَطَ عَلَى ظَهْرِ بَطَّةٍ كانَتْ تَتَنَزَّهُ في النَّهْرِ.

فَصاحَتِ البَطَّةُ: «يا للسَّماءِ! إِنَّها تُمْطِرُ عِيدانًا». وتابَعَتِ البَطَّةُ سَيْرَها.

وعَلَّقَ الصّاروخُ قائلاً: «عَرَفْتُ أَنَّني سأُحْدِثُ إِحْساسًا مُثيرًا».

المَلِكُ الشّابّ

كانَ الوَقْتُ قَبْلَ لَيْلَةٍ مِنْ تَتْويجِ المَلِكِ وكانَ المَلِكُ الشّابُّ يَجْلِسُ وَحيدًا في غُرْفَتِهِ الجَميلَةِ بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُ كُلُّ رِجالِ البَلاطِ مُطْرِقينَ بِرُؤوسِهِمْ. ثُمَّ ذَهَبَ المَلِكُ الشّابُّ إلى قاعَةِ القَصْرِ لِتَلَقّي دُروسٍ في آدابِ المُعاشَرَةِ والتَّشْريفات.

لَمْ يَأْسَفِ المَلِكُ الشّابُ الّذي لَمْ يَزِدْ عُمْرُهُ عَنْ سِتَّةَ عَشَرَ عامًا لِذَهابِ رِجالِ البَلاطِ بَلْ غَرِقَ في راحَةٍ عَميقَةٍ عَلَى الوَسائِدِ المُطَرَّزَةِ فاغِرًا فاهُ وَمُحَدِّقًا بِعَيْنَيْهِ مِثْلَ حَيَوانٍ فَتِيٍّ يُطارِدُهُ الصَّيّادون.

والحَقُّ أَنَّ الصَّيّادِينَ هُمُ الّذينَ عَثَروا عَلَى هَذا المَلِكِ الشّابِّ صُدْفَةً خَلْفَ راعٍ للماعِزِ كانَ هُوَ مَنْ رَبّاهُ واعْتَبَرَ الشّابُّ نَفْسَهُ ابْنًا لَه. كانَ هَذا الشّابُّ ابْنًا لابْنَةٍ وَحيدَةٍ للمَلِكِ مِنْ زَواجٍ سِرِّيٍّ بِشَخْصٍ غَريبٍ دونَها مَرْتَبَةً والّذي بِعَزْفِهِ العَجيبِ والسِّحْرِيِّ عَلَى النّايِ جَعَلَ الأَميرَةَ تَقَعُ في حُبِّهِ. ويَقولُ آخَرونَ إِنَّ المَلِكَ الشّابَّ هُوَ ابْنُ فَنّانٍ أُعْجِبَتْ بِهِ الأَميرَةُ واخْتَفَى فَجْأَةً مِنَ المَدينَةِ تارِكًا أَعْمالَهُ الفَنّيَّةَ في دارِ الفَنّ.

وعِنْدَما كانَ عُمْرُ الصَّبِيِّ أُسْبوعًا واحِدًا سَرَقَهُ أَحَدُهُم مِنْ جانِبِ أُمِّهِ خِلالَ نَوْمِها وأَعْطاهُ إلى فَلّاحٍ عادِيٍّ مُتَزَوِّجٍ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَطْفال.

وكانَ الفَلّاحُ وزَوْجَتُهُ يَعيشانِ في جُزْءٍ بَعيدٍ مِنَ الغابَةِ عَلَى بُعْدِ مَسافَةِ يَوْمٍ واحِدٍ مِنَ المَدينَةِ. وأَدّى الحُزْنُ أَوِ المَرَضُ كَما قالَ طَبيبُ البَلاطِ، أَو كَما اقْتَرَحَ أَحَدُهُم أَدّى السُّمُّ القاتِلُ الّذي دُسَّ لِلأَميرَةِ في كَأْسِها إلى مَوْتِ الأَميرَةِ بَعْدَ ساعَةٍ عَلَى اسْتيقاظِها وافْتِقادِها الطِّفْل. وعِنْدَما كانَ سارِقُ الطِّفْلِ يَطْرُقُ بابَ الفَلّاحِ الرّاعِي وزَوْجَتِهِ، كانَتْ جُثَّةُ الأَميرَةِ تُوضَعُ في قَبْرٍ مَفْتوحٍ حُفِرَ في باحَةٍ جانِبِيَّةٍ مَهْجورَةٍ خَلْفَ أَبْوابِ المَدينَةِ. وَكانَ في القَبْرِ ذاتِهِ جُثَّةٌ أُخْرَى لِشابٍّ رائِعٍ فائِقِ الجَمالِ وغَريبٍ عَنِ المَدينَةِ رُبِطَتْ يَداهُ خَلْفَهُ وكانَ صَدْرُهُ مُمَزَّقًا بِالجِراح.

هَذا عَلَى الأَقَلِّ ما كانَ يَرْويهِ سُكّانُ المَدينَةِ بِصَوْتٍ مُنْخَفِض. ومِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّ المَلِكَ الأَبَ عِنْدَما كانَ عَلَى فِراشِ المَوْتِ وبِسَبَبِ النَّدَمِ عَلَى ذَنْبِهِ أَو بِسَبَبِ الرَّغْبَةِ في أَلّا تَنْتَقِلَ المَمْلَكَةُ إلى سُلالَةٍ أُخْرَى أَرْسَلَ في طَلَبِ الشّابِّ وأَعْلَنَ تَعْيينَهُ وَريثًا لَه.

ويَبْدو أَنَّ الشّابَّ مُنْذُ اللَّحْظَةِ الأُولَى لإِعْلانِهِ مَلِكًا أَظْهَرَ عَلاماتِ رَغْبَةٍ قَوِيَّةٍ وغَريبَةٍ في كُلِّ ما هُوَ جَميلٌ بِحَيْثُ كانَ لا بُدَّ أَنْ تُؤَثِّرَ هَذِهِ الرَّغْبَةُ كَثيرًا في حَياتِهِ. وقَدْ تَحَدَّثَ مُرافِقو المَلِكِ الشّابِّ عَنْ صَرْخَةِ السَّعادَةِ والفَرَحِ الّتي انْطَلَقَتْ مِنْهُ لَدَى رُؤْيَتِهِ لِلْجَواهِرِ الثَّمينَةِ الّتي جُلِبَتْ لَهُ وعَنْ فَرَحِهِ العَميقِ بِمِعْطَفِهِ المَصْنوعِ مِنْ صوفِ الغَنَم.

كانَ المَلِكُ الشّابُّ يَحِنُّ مِنْ وَقْتٍ لآخَرَ إلى حُرِّيَّةِ حَياةِ الغابَةِ، وَكانَ في بَعْضِ الأَحْيانِ يَسْأَمُ حَفَلاتِ البَلاطِ المُمِلَّةَ، ومَعَ ذَلِكَ بَدا

القَصْرُ بالنِّسْبَةِ لِسَيِّدِهِ الجَدِيدِ عالَمًا جَدِيدًا مَصْنوعًا لإسْعادِهِ. وفَوْرَ ما كانَ يَتَخَلَّصُ المَلِكُ الشّابُّ من اجْتِماعاتِ رِجالِ البَلاطِ والجُمْهور كانَ يَرْكُضُ في أَرْجاءِ القَصْرِ لِيَجولَ في غُرَفِهِ وأَرْوِقَتِهِ مِثْلَ مَنْ يَسْعَى لِلْعُثُور في الجَمالِ عَلَى شِفاءٍ مِنَ الأَلَمِ وَبَرْءٍ مِنَ المَرَض.

وخِلالَ هَذِهِ الرِّحْلاتِ الاسْتِكْشافِيَّةِ كَما كانَ يُسَمِّيها المَلِكُ الشّابُّ كانَ يَصْحَبُ مَعَهُ الغِلْمان، لَكِنَّهُ في بَعْضِ الأَحْيانِ كانَ يَطُوفُ القَصْرَ وَحْدَهُ بِشُعُورٍ غَرِيزِيٍّ غايَتُهُ أَنَّ أَفْضَلَ تَعَلُّمٍ لأَسْرارِ الفَنِّ يَحْصُلُ في السِرِّ بَعِيدًا عَنِ الآخَرِين، وأَنَّ الجَمالَ مِثْلُ الحِكْمَةِ يُحِبُّ العابِدَ الَّذي يَشْعُرُ بالوَحْشَةِ والانْعِزال.

وَرُوِيَ الكَثِيرُ مِنَ القِصَصِ عَنْ هَذا المَلِكِ الشّابِّ في هَذِهِ الفَتْرَة. فَقَدْ قِيلَ إِنَّ عُمْدَةَ المَدِينَةِ شاهَدَ المَلِكَ الشّابَّ يَرْكَعُ بِتَعَبُّدٍ خاشِعًا أَمامَ صورَةٍ عَظِيمَةٍ جِيءَ بِها مِنَ مَدِينَةِ البُنْدُقِيَّةِ وتُبَشِّرُ بِعِبادَةِ آلِهَةٍ جَدِيدَة. وفي مُناسَبَةٍ أُخْرَى افْتَقَدَ المَلِكُ الشّابُّ عِدَّةَ ساعات، وبَعْدَ بَحْثٍ طَوِيلٍ عُثِرَ عَلَيْهِ في غُرْفَةٍ صَغِيرَةٍ في أَحَدِ أَبْراجِ القَصْرِ يُحَدِّقُ بِنَشْوَةٍ في جَوْهَرَةٍ إغْرِيقِيَّةٍ مَنْحوتٌ عَلَيْها شَكْلُ الإِلَهِ أدونيس.

وَرُوِيَ في حادِثَةٍ أُخْرَى أَنَّ المَلِكَ الشّابَّ أَلْصَقَ شَفَتَيْهِ الدّافِئَتَيْنِ بِتِمْثالٍ رُخامِيٍّ عَتِيقٍ خِلالَ مُناسَبَةِ بِناءِ جِسْرٍ حَجَرِيّ، وأَنَّهُ أَمْضَى لَيْلَةً كامِلَةً يُلاحِظُ تَأْثِيرَ نورِ القَمَرِ عَلَى التِّمْثالِ الفِضِّيِّ لأَحَدِ الآلِهَة.

وهَكَذا يَبْدو أَنَّهُ كانَ لِكُلِّ الأَشْياءِ النّادِرَةِ والثَّمِينَةِ تَأْثِيرٌ مُدْهِشٌ عَلَى

المَلِك، وأَنَّ حَماسَهُ لِلْحُصولِ عَلَيْها أَدَّى بِهِ إِلى إِرْسالِ الكَثِيرِ مِنَ التُّجّارِ بَحْثًا عَنْها خاصَّةً تِلْكَ الَّتي توجَدُ فَقَط في أَضْرِحَةِ المُلوكِ في مِصْرَ والَّتي يُقالُ إِنَّ لَها خَصائِصَ سِحْرِيَّة. وأَرْسَلَ المَلِكُ الشّابُّ آخَرِينَ إِلى فارِسَ لِلْحُصولِ عَلَى السَّجّادِ الحَرِيرِيِّ والعاجِ المَطْلِيّ، وأَرْسَلَ آخَرِينَ أَيْضًا إِلى الهِنْدِ لِشِراءِ نَسِيجِ الشّاشِ والعاجِ والجَواهِرِ وخَشَبِ الصَّنْدَلِ والمُزَخْرَفات.

لَكِنَّ أَكْثَرَ ما شَغَلَ المَلِكَ الشّابَّ كانَ الرِّداءَ الذَّهَبِيَّ الَّذي كانَ عَلَيْهِ ارْتِداؤُهُ في حَفْلَةِ تَتْوِيجِهِ والصَّوْلَجانَ المُرَصَّعَ باللآلِىء. وحَقًّا هَذا ما كانَ يُفَكِّرُ فِيهِ المَلِكُ الشّابُّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ مُسْتَلْقِيًا في كُرْسِيِّهِ الفَخْمِ يُراقِبُ الحَطَبَ يَحْتَرِقُ في المَوْقِد. كانَتْ تَصامِيمُ الرِّداءِ قَدْ سُلِّمَتْ من جانِبِ أَشْهَرِ الفَنّانِينَ لِلْمَلِكِ الشّابِّ قَبْلَ أَشْهُرٍ كَثِيرَة. وقَدْ أَعْطَى هَذا المَلِكُ الجَدِيدُ أَوامِرَهُ بالعَمَلِ لَيْلَ نَهارَ عَلَى تَنْفِيذِ هَذِهِ التَّصامِيمِ وَبِأَنْ يَتِمَّ البَحْثُ في كُلِّ العالَمِ عَنِ الجَواهِرِ المُلائِمَةِ لِلرِّداء. وتَصَوَّرَ المَلِكُ الشّابُّ نَفْسَهُ واقِفًا في مَذْبَحِ الكاتِدْرائِيَّةِ فابْتَسَمَتْ شَفَتاهُ وتَأَلَّقَتْ عَيْناه.

ثُمَّ قامَ المَلِكُ الشّابُّ مِنْ كُرْسِيِّهِ وكانَتِ الغُرْفَةُ ضَعِيفَةَ الإِضاءَةِ وجُدْرانُها مُغَطّاةٌ بِمُطَرَّزاتٍ تُمَثِّلُ انْتِصارَ الجَمال، وبِمُواجَهَةِ نافِذَةِ الغُرْفَة، وَقَفَتْ خِزانَةٌ مُثِيرَةٌ مَطْلِيَّةٌ بالذَّهَبِ وُضِعَتْ عَلَيْها كُؤوسٌ زُجاجِيَّةٌ اسْتُقْدِمَتْ مِنْ مَدِينَةِ البُنْدُقِيَّة. وكانَ غِطاءُ السَّرِيرِ مُطَرَّزًا بِخِيطانٍ فِضِّيَّةٍ ومُخْمَلِيَّةٍ عاجِيَّةٍ وفَوْقَهُ مِرآةٌ برونْزِيَّةٌ لَمّاعَة.

كانَ المَلِكُ الشّابُّ يَرَى خارِجَ النّافِذَةِ القُبَّةَ الضَّخْمَةَ لِلْكاتِدْرائِيَّةِ

تُهَيمِنُ مِثْلَ الفُقّاعَةِ عَلَى المَنازِلِ المُظَلَّلَةِ، وكانَ يَرَى حُرّاسَ القَصْرِ المُنْهَكِينَ يَذْرَعُونَ المَكانَ جِيئَةً وذَهابًا. وبَعِيدًا في بُسْتانِ القَصْرِ كانَ طائِرُ العَنْدَلِيبِ يُغَنِّي ويُغَرِّد. وانْطَلَقَ عِطْرُ الياسَمِينِ مِنَ النّافِذَةِ المَفْتوحَةِ ورَفَعَ المَلِكُ الشّابُّ الشَّعْرَ عَنْ جَبِينِهِ وأَمْسَكَ بِقِيثارَةٍ يُداعِبُها ثُمَّ أَرْخَى جُفونَهُ واسْتَسْلَمَ لِكَسَلٍ غَرِيب. لَمْ يَسْبِقْ أَنْ شَعَرَ المَلِكُ الشّابُّ بِحَماسٍ وفرح غامرين وسِحْرِ الأشياء وغُموضِها.

وعِنْدَما أَعْلَنَ بُرْجُ السّاعَةِ مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ دَخَلَ الغِلْمانُ وساعَدوا المَلِكَ الشّابَّ عَلَى خَلْعِ ثِيابِهِ ساكِبِينَ ماءَ الزَّهْرِ عَلَى يَدَيْهِ وناثِرِينَ الأَزْهارَ فَوْقَه. وبَعْدَ مُغادَرَتِهِم نامَ المَلِكُ الشّاب.

وحَلَمَ المَلِكُ الشّابُّ حُلُمًا رأى فِيهِ نَفْسَهُ واقِفًا عَلَى سَقِيفَةٍ مُنْخَفِضَةٍ بَيْنَ أَنْوالِ الحِياكَةِ وضَوْءُ النَّهارِ يَتَسَلَّلُ عَبْرَ نَوافِذِ السَّقِيفَةِ لِيُظْهِرَ الحاكَةَ يَعْمَلونَ عَلَى الأَنْوال.

كانَ الأَطْفالُ الشّاحِبونَ كَالْمَرْضَى يَعْمَلونَ عَلَى مُساعَدَةِ الحاكَةِ، وَوُجوهُهُم مُتَقَبِّضَةٌ مِنَ الجُوْعِ وأَيْدِيهِمُ الرَّقِيقَةُ تَهْتَزُّ وتَرْتَجِف وبَعْضُ النِّساءِ جالِساتٌ يَخِطْنَ عَلَى الطّاوِلَة. كانَ المَكانُ مُفْعَمًا بِرائِحَةٍ كَرِيهَةٍ، والهَواءُ ثَقِيلًا ورَدِيئًا والجُدْرانُ مُصَدَّعَةٌ بالرُّطوبَةِ والماء.

ذَهَبَ المَلِكُ الشّابُّ إلى أَحَدِ الحاكَةِ وَوَقَفَ بِجانِبِهِ مُراقِبًا. فَنَظَرَ الحائِكُ إلى المَلِكِ الشّابِّ بِغَضَبٍ وقالَ: «لِماذا تُراقِبُني؟ هَلْ أَنْتَ جاسوسٌ عَلَيْنا مِنْ جانِبِ سَيِّدِنا؟»

فَسَألَهُ المَلِكُ الشّابُّ: «مَنْ هُوَ سَيِّدُكُم؟»

وَصاحَ الحائِكُ بِمَرارَةٍ: «سَيِّدُنا! هُوَ إِنْسانٌ مِثْلِي والفَرْقُ بَيْنَنا أَنَّهُ يَرْتَدِي ثِيابًا جَيِّدَةً وأَنا أَرْتَدِي ثِيابًا رَثَّةً، وبَيْنَما أَنا هَزِيلٌ من الجوعِ يُعاني هو مِنَ التُّخْمَةِ».

فَقالَ المَلِكُ الشّابُّ: «لَكِنَّ الأَرْضَ حُرَّةٌ وأَنْتَ لَسْتَ عَبْدًا».

وأَجابَ الحائِكُ: «في الحَرْبِ يَسْتَعْبِدُ القَوِيُّ الضَّعِيفَ وفي السِّلْمِ يَسْتَعْبِدُ الغَنِيُّ الفَقِيرَ ويَجِبُ عَلَيْنا أَنْ نَعْمَلَ لِنَعِيشَ، لَكِنَّهُم يُعْطُونَنا أُجورًا ضَئِيلَةً لا تَكادُ تَكْفِينا. ونَحْنُ نَشْقَى طَوالَ النَّهارِ وهُمْ يَجْمَعُونَ الذَّهَبَ في الأَواني، وأَطْفالُنا يَموتونَ قَبْلَ أَوانِهِم وتُصْبِحُ وُجوهُ مَن نُحِبُّهُم قاسِيَةً وشِرِّيرَة. نَحْنُ نَقْطِفُ العِنَبَ وغَيْرُنا يَشْرَبُ النَّبِيذ، ونَحْنُ نَحْصُدُ الذُّرَةَ وخَزائِنُنا فارِغَةٌ مِنْها. نَحْنُ في أَيْدِينا السَّلاسِلُ ونَحْنُ العَبِيدُ ويُسَمِّينا البَعْضُ أَحْرارًا».

فَسَأَلَ المَلِكُ الشّابُّ: «هَلِ الأَمْرُ كَذَلِكَ مَعَ الجَمِيعِ؟»

فَأَجابَ الحائِكُ: «أَجَلْ مَعَ الجَمِيعِ ومَعَ الشُّبّانِ والكُهولِ ومَعَ النِّساءِ والرِّجالِ والأَطْفال. والتُّجّارُ يَطْحَنونَنا ويَجِبُ أَنْ نَخْضَعَ لِصَفَقاتِهِم، والكاهِنُ يَمُرُّ بِنا دونَ اهْتِمامٍ ويَكْتَفِي بالتَّسْبِيح. ويَتَسَلَّلُ الفَقْرُ بِعَيْنَيْهِ الجائِعَتَيْنِ عَبْرَ أَزِقَّتِنا الَّتِي لا تَرَى الشَّمْسَ، وتَتَسَلَّلُ الخَطِيئَةُ البَلْهاءُ إِلَيْنا خَلْفَ الفَقْر. أَمّا البُؤْسُ فيوقِظُنا في الصَّباحِ

ويَجْلِسُ العارُ مَعَنا في المَساء. ولَكِنْ ما يَهُمُّكَ أَنْتَ مِنْ هَذِهِ الأُمور؟ فأَنْتَ لَسْتَ مِنّا وَوَجْهُكَ يَبْدو طافحًا بالسّعادةِ».

واسْتَدارَ الحائِكُ بَعِيدًا لِيُتابِعَ عَمَلَهُ فَرَأى المَلِكُ الشّابُّ أَنَّ الحائِكَ يَعْمَلُ بِخيطانٍ مِنَ الذَّهَب.

وسَيْطَرَ الرُّعْبُ عَلَى المَلِكِ الشّابِّ وقالَ للحائِكِ: «ما هُوَ هَذا الرِّداءُ الّذي تَحوكُهُ؟» أَجابَ الحائِكُ: «إِنَّهُ رِداءُ تَتْويجِ المَلِكِ الشّابِّ، وما يَهُمُّكَ في الأَمْرِ؟»

فأَطْلَقَ المَلِكُ الشّابُّ صَرْخَةً عالِيَةً واسْتَيْقَظَ مِنْ حُلْمِهِ فَوَجَدَ نَفْسَهُ في غُرْفَتِهِ ورَأى، مِنْ خِلالِ النّافِذَةِ، القَمَرَ بِلَوْنِهِ العَسَلِيِّ يَتَدَلّى في سَماءِ الغَسَق.

وعادَ المَلِكُ الشّابُّ إلى النَّوْمِ ثانِيَةً وحَلَمَ ثانِيَةً.

وخِلالَ الحُلُمِ ظَنَّ المَلِكُ الشّابُّ نَفْسَهُ مُسْتَلْقِيًا عَلَى سَطْحِ قارِبٍ ضَخْمٍ يَجُرُّهُ العَبيد، وكانَ رَئِيسُ العَبِيدِ يَجْلِسُ بِجانِبِ المَلِك. كانَ هَذا الرَّئِيسُ أَسْوَدَ مِثْلَ خَشَبِ الأَبْنوسِ وكانَ رِداؤُهُ مَصْنوعًا مِنَ الحَرِيرِ وتَتَدَلّى من أُذُنَيْهِ أَقْراطٌ مِنَ الفِضَّةِ وتُطَوِّقُ ساعِدَيْهِ أَساوِرُ مِنَ العاج.

كانَ العَبِيدُ عُراةً إلاّ مِنْ قِطْعَةِ قُماشٍ رَثَّةٍ وكلٌّ مِنْهُم قَدْ رُبِطَ بالسّلاسِلِ إلى الآخَرِ، وكانَتِ الشَّمْسُ تُسْقِطُ أَشِعَّتَها البَرّاقَةَ بِقُوَّةٍ

عَلَيْهِم، وكانَ آخَرونَ يَتَجَوَّلونَ بالسِّياطِ لِتَأْدِيبِ العَبِيد، بَيْنَما راحَ هَؤُلاءِ يَمُدُّونَ أَذْرُعَهُم لِسَحْبِ المَجاذِيفِ عَبْرَ الماءِ وكانَ الرَّذاذُ المِلْحِيُّ لِماءِ البَحْرِ يَتَطايَرُ مِنْ أَطْرافِ المَجاذِيف.

في النِّهايَةِ وَصَلَ القارِبُ إلى خَلِيجٍ صَغِيرٍ وبَدَأَ العَبِيدُ سَبْرَ الأَعْماق. وهَبَّتْ رِيحٌ خَفِيفَةٌ مِنَ الشّاطِىءِ غَمَرَتْ سَطْحَ القارِبِ بِحَيْثُ اكْتَسَى الشِّراعُ بالغُبارِ الأَحْمَر. وظَهَرَ ثَلاثَةٌ مِنَ الأَعْرابِ عَلَى ظُهورِ الحَمِيرِ ورَمَوُا الرِّماحَ باتِّجاهِ القارِب. فَحَمَلَ رَئِيسُ العَبِيدِ قَوْسًا بِيَدِهِ وأَطْلَقَهُ باتِّجاهِ واحِدٍ مِنْهُم فَسَقَطَ صَرِيعًا.

وجاءَتِ امْرَأَةٌ عَلَى ظَهْرِ جَمَلٍ وأَلْقَتْ نَظْرَةً عَلَى الجُثَّة.

وفَوْرَ رُسُوِّ القارِبِ جَهَّزَ العَبِيدُ سُلَّمًا من الحِبالِ فَرَماهُ رَئِيسُهُم مِنَ القارِبِ إلى الماءِ وثَبَّتَ أَعْلاهُ في جانِبِ القارِب. ثُمَّ أَمْسَكَ العَبِيدُ بأَصْغَرِ واحِدٍ بَيْنَهُم وَمَلأوا أَنْفَهُ وأُذُنَيْهِ بالشَّمْعِ ورَبَطُوا حَجَرًا كَبِيرًا إلى خَصْرِهِ فَنَزَلَ عَلَى السُّلَّمِ واخْتَفَى في مِياهِ البَحْرِ وارْتَفَعَتْ فَوْقَهُ فَقاقِيعُ قَلِيلَةٌ مِنَ الماء. فَنَظَرَ بَعْضُ العَبِيدِ باهْتِمامٍ إلى البَحْرِ وبَدَأَ آخَرونَ يَضْرِبونَ الطبول.

وبَعْدَ وَقْتٍ قَلِيلٍ خَرَجَ العَبْدُ الغَطّاسُ مِنَ الماءِ وأَمْسَكَ السُّلَّمَ بِيَدِهِ وحَمَلَ حَبَّةً مِنَ اللؤْلُؤِ باليَدِ الأُخْرى. فأَمْسَكَ العَبِيدُ بِحَبَّةِ اللؤْلُؤِ قَبْلَ وُصولِ العَبْدِ الغَطّاسِ إلى سَطْحِ القارِبِ ورَمَوهُ إلى البَحْرِ ثانِيَةً.

وغَطَسَ العَبْدُ ثانِيَةً وعادَ إلى القارِبِ وفي كُلِّ مَرَّةٍ كانَ يَجْلِبُ مَعَهُ

حَبّةَ لُؤْلُؤٍ جَميلةً كانَ يَزِنُها رَئيسُ العَبيدِ ويَضَعُها إلى جانِبِ اللآلِىءِ الأُخرى في كِيسٍ جِلْدِيّ.

ثُمَّ حاولَ المَلِكُ الشابُّ التَكلُّمَ لَكِنَّ لِسانَهُ الْتَصَقَ بِسَقْفِ حَلْقِهِ ورَفَضَتْ شَفَتاهُ الحَرَكَة. وبَدأَ العَبيدُ يَتَحادَثُونَ ويَتَشاجَرونَ، وحَلَّقَ طائِرانِ حَوْلَ القارِب.

ثُمَّ عادَ الغَطّاسُ للمَرَّةِ الأَخيرَةِ جالِبًا مَعَهُ أَفضَلَ حَبَّةِ لُؤلُؤٍ لأَنَّ شَكْلَها كانَ مِثْلَ القَمَرِ البَدْرِ ولَوْنُها أَكْثَرُ بَياضًا مِنْ نَجْمَةِ الصَّباح. لَكِنَّ وَجْهَ الغَطّاسِ بَدا شاحِبًا بِشَكْلٍ غَريبٍ حَيْثُ سَقَطَ عَلَى سَطْحِ القارِبِ وبَدأَ الدَّمُ يَخْرُجُ مِنْ أَنْفِهِ وأُذُنَيْه.

ارْتَجَفَ العَبْدُ قَليلاً ثُمَّ جَمَدَ، فَهَزَّ بَقِيَّةُ العَبيدِ أَكْتافَهُم ورَمَوْا جُثَّتَهُ مِنْ عَلَى ظَهْرِ القارِب.

وضَحِكَ رَئيسُ العَبيدِ ثُمَّ الْتَقَطَ حَبَّةَ اللُّؤْلُؤِ الأَخيرَةِ وضَغَطَها إلى جَبينِهِ وأَحْنَى رأْسَهُ وقالَ: «هَذِهِ اللؤلؤَةُ هِيَ لِصَوْلَجانِ المَلِكِ الشّابّ». وأَعْطَى إشارَةً للعَبيدِ بالانْطِلاقِ بالقارِب.

وعِنْدَما سَمِعَ المَلِكُ ما قالَهُ رَئيسُ العَبيدِ أَطْلَقَ صَرْخَةً قَوِيَّةً واسْتَيْقَظَ فَرأَى مِنَ النّافِذَةِ بَراثِنَ الفَجْرِ الرَّمادِيَّةَ تَقْبِضُ عَلَى النُّجومِ المُتَلاشِيَة.

ثُمَّ نامَ المَلِكُ الشّابُّ ثانِيَةً وحَلَمَ ثانِيَة.

وهَذِهِ المَرَّةَ ظَنَّ المَلِكُ نَفْسَهُ يَتَجوَّلُ في غابَةٍ مُظْلِمَةٍ مَلأَى بالثِّمارِ الغَريبَةِ والأَزْهارِ السّامَّةِ الجَميلة. ولَحَظَتْهُ الأَفاعِي وحَلَّقَتْ طُيورُ البَبَّغاءِ مِنْ غُصْنٍ إلى آخَرَ مُطْلِقَةً أَصْواتَها وكانَتِ السَّلاحِفُ الضَّخْمَةُ تَنامُ في الوَحْلِ السّاخِنِ. أَمّا الأَشْجارُ فكانَتْ ملأى بالقِرَدَةِ والطَّواويس.

وتابَعَ المَلِكُ الشّابُّ سَيْرَهُ في الغابَةِ حَتَّى وَصَلَ إلى أَطْرافِها وهُناكَ رأَى جَماعَةً مِنَ الرِّجالِ يَكْدَحونَ في قَعْرِ نَهْرٍ جافٍّ ويَحْفِرونَ حُفَرًا عَميقَةً ويَنْزِلونَ فِيها. وكانَ بَعْضُهُم يُحَطِّمُ الصُّخورَ بفأْسِهِ بَيْنَما كانَ آخَرونَ يَجْمَعُونَ الرِّمالَ ويُمَزِّقونَ النَّباتاتِ الكَبيرَةَ مِنْ جُذورِها. وكانَ الرِّجالُ في عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِم يُنادي بَعْضُهُمْ بعضًا لَكِنَّ أَحَدًا مِنْهُم لَمْ يَكُنْ من دونِ عَمَل.

وَمِنْ أَحَدِ الكُهوفِ راقَبَ المَوْتُ والجَشَعُ جَماعَةَ الكادِحِينَ وقالَ المَوْتُ: «أنا مُرْهَقٌ، أَعْطِني ثُلُثَ هَذِهِ الجَماعَةِ ودَعْني أَذْهَبْ».

لَكِنَّ الجَشَعَ هَزَّ رأْسَهُ قائِلاً: «هَؤُلاءِ خُدّامي».

وَرَدَّ المَوْتُ قائِلاً: «ماذا تَحْمِلُ بيدِكَ؟»

فأَجابَ الجَشَعُ: «أَحْمِلُ ثَلاثَ حَبّاتٍ مِنَ الذُّرَة، وما يَهُمُّكَ في الأَمْرِ؟»

فَرَدَّ المَوْتُ: «أَعْطِني واحِدَةً مِنْها لأَزْرَعَها في حَديقَتي، واحِدَةً فَقَط وسأَذْهَبُ عَنْكَ بَعيدًا».

فَقالَ الجَشَعُ: «لَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا» وأَخْفَى يَدَه.

المَلارْيا ومَرَّتْ بِجُموعِ الكادِحِينَ فَماتَ ثُلثُهُم، وتَبِعَها الضَّبابُ ومَشَتْ بِجانِبِها أفاعِي الماء.

وعِنْدَما رأى الجَشَعُ مَوْتَ ثُلُثِ الكادِحِينَ ضَرَبَ صَدْرَهُ وبَكَى ثُمَّ ضَرَبَ حُضْنَهُ وصَرَخَ عالِيًا: «لَقَدْ قَتَلْتَ ثُلُثَ خُدّامِي. اذْهَبْ بِحَقِّ الله فَهُناكَ حَرْبٌ في جِبالِ تارْتاري ومُلوكُها يَدْعُونَكَ إلَيْهِم. فالأَفْغانُ هُناكَ ذَبَحوا الثَّوْرَ الأَسْوَدَ ويَسِيرونَ إلى المَعْرَكَةِ حامِلِينَ دُروعَهُم ورِماحَهُمْ وعَلَى رُؤُوسِهِم خُوذُ الحَديد. ما هُوَ هَذا الوادِي بالنِّسْبَةِ إليك لِتَمْكُثَ فِيه؟ اذْهَبْ بِحَقِّ الله ولا تَعُدْ إلى هُنا».

فأجابَ المَوْتُ: «لَنْ أذْهَبَ قَبْلَ أنْ تُعْطِيَنِي حَبَّةَ ذُرَة».

لَكِنَّ الجَشَعَ أَطْبَقَ يَدَهُ وأَسْنانَهُ وتَمْتَمَ قائِلاً: «لَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا».

فَضَحِكَ المَوْتُ ثُمَّ رَفَعَ حَصاةً سَوْداءَ ورَماها في الغابَة. فَخَرَجَتِ الحُمَّى في رِداءٍ مِنَ اللَّهَبِ ومَرَّتْ بِجُموعِ الكادِحِينَ ولامَسَتْهُم فَماتَ كُلُّ مَنْ لامَسَتْهُ وماتَ العُشْبُ تَحْتَ أَقْدامِ الحُمَّى مَعَ مَسِيرِها فَوْقَه.

وارْتَجَفَ الجَشَعُ وَوَضَعَ الرَّمادَ عَلَى رَأْسِهِ وَصاحَ: «أَنْتَ قاسٍ وَوَحْشِيّ. تُوجَدُ مَجاعَةٌ في مُدُنِ الهِنْدِ وَقَدْ جَفَّتْ أَحْواضُ المِياهِ في سَمَرْقَنْد، كَذَلِكَ تُوجَدُ مَجاعَةٌ في مُدُنِ مِصْرَ وَقَدْ جاءَها الجَرادُ مِنَ الصَّحْراء، وهَذِهِ السَّنَةَ لَمْ يَفِضِ النِّيلُ بِحَيْثُ لَعَنَ الكَهَنَةُ آلِهَتَهُم. اذْهَبْ إلى مَنْ هُمْ بِحاجَةٍ إِلَيْكَ واتْرُكْ لِي خُدّامِي».

فأجابَ المَوْتُ: «لَنْ أذْهَبَ قَبْلَ أنْ تُعْطِيَنِي حَبَّةَ ذُرَة».

فَقالَ الجَشَعُ: «لَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا».

فَضَحِكَ المَوْتُ ثانِيَةً وأَطْلَقَ صَفِيرَهُ عَبْرَ أصابِعِهِ فَجاءَتِ امْرَأَةٌ عَبْرَ الهَواءِ كُتِبَ عَلَى جَبِينِها كَلِمَةُ «طاعُون» وكانَ حَشْدٌ مِنَ النُّسورِ اللَّئِيمَةِ يَدورُ حَوْلَها. وغَطَّتِ المَرْأَةُ الوادِيَ بِجَناحَيْها فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ أَحَدٌ عَلَى قَيْدِ الحَياة.

فَتاهَ الجَشَعُ في الغابَةِ وامْتَطَى المَوْتُ حِصانَهُ الأَحْمَرَ وابْتَعَدَ بِسُرْعَةٍ أَقْوَى مِنَ الرِّيح.

وخَرَجَتْ مِنْ قَعْرِ الوادِي وُحوشٌ مُخِيفَةٌ مَشَتْ عَلَى الرِّمال.

وبَكَى المَلِكُ الشّابُّ وَقالَ: «مَنْ كانَ هَؤُلاءِ الرِّجالُ وما كانوا يَكْدَحونَ من أجْلِه؟»

فأجابَ رَجُلٌ وَقَفَ خَلْفَ المَلِكِ الشّابِّ قائِلاً: «كانوا يَكْدَحونَ بَحْثًا عَنْ جَواهِرَ لِتاجِ المَلِك» فاسْتَدارَ المَلِكُ الشّابُّ وَرَأَى حاجًا يُمْسِكُ بِيَدِهِ مِرْآةً فِضِّيَّة.

وشَحُبَ وَجْهُ المَلِكِ الشّابِّ وقالَ: «أَيُّ مَلِك؟» فأجابَ الحاجُّ: «انْظُرْ في المِرْآةِ وسَتَرَى». فَنَظَرَ المَلِكُ الشّابُّ في المِرْآةِ وعِنْدَما رأى وَجْهَهُ أَطْلَقَ صَرْخَةً قَوِيَّةً واسْتَيْقَظَ مِنْ حُلْمِه. كانَتِ الشَّمْسُ قَدْ بَدَأَتْ تَتَدَفَّقُ إلى الغُرْفَةِ وكانَتِ الطُّيورُ تُغَنِّي عَلَى أَشْجارِ الحَديقَة.

وجاءَ رِجالُ البَلاطِ وأدّوا الطّاعَةَ لِلْمَلِكِ الشّابِّ وجَلَبَ الغِلْمانُ الرِّداءَ الذَّهَبِيَّ وَوَضَعوا التاجَ عَلى رأسِ المَلِكِ وأعْطَوهُ الصَّوْلَجان.

ونَظَرَ المَلِكُ الشّابُّ إلى الرِّداءِ والتّاجِ والصَّوْلَجانِ وَوَجَدَها جَميعًا جَميلَةً وأكْثَرَ جَمالاً مِنْ كُلِّ ما رَآهُ مِنْ قَبْل. لَكِنَّ المَلِكَ الشّابَّ تَذَكَّرَ أحْلامَهُ وَقالَ لِرِجالِهِ: «خُذوا هَذِهِ الأشْياءَ بَعيدًا لأنَّني لَنْ أرْتَدِيَها ولن أحْمِلَها».

وَدُهِشَ رِجالُ البَلاطِ وضَحِكَ بَعْضُهُم لأنَّهُم ظَنّوا أنَّهُ يُمازِحُهُم.

وخاطَبَهُمُ المَلِكُ الشّابُّ بِشِدَّةٍ قائِلاً: «خُذوا هَذِهِ الأشْياءَ بَعيدًا واخْفوها عَنّي. ورُغْمَ أنَّ هَذا اليَوْمَ هُوَ يَوْمُ تَتْويجي لَكِنَّني لَنْ أرْتَدِيَها لأنَّ هذا الرِّداءَ قَدْ حيكَ عَلى نَوْلِ الحُزْنِ وبِأيْدِي الألَم. والدَّمُ يَنْزِفُ مِنْ قَلْبِ الجَوْهَرَةِ ويَكْمُنُ المَوْتُ في قَلْبِ اللُّؤْلُؤَة». وأبْلَغَ المَلِكُ الشّابُّ رِجالَهُ بأحْلامِه.

وعِنْدَما سَمِعَ الرِّجالُ القِصَّةَ نَظَروا بَعْضُهُمْ إلى بعضٍ وَهَمَسوا قائِلين: «لا بُدَّ أنَّهُ مَجْنونٌ لأنَّ الحُلْمَ لَيْسَ سِوى حُلْم والرُّؤْيا هِيَ مُجَرَّدُ رُؤْيا وهِيَ لَيْسَتْ أشْياءَ حَقيقِيَّةً ولا يَجِبُ إعارَتُها أيَّ اهْتِمام. وما يَجِبُ عَلَيْنا أنْ نَفْعَلَ بِحَياةِ الأشْخاصِ الّذينَ يَكْدَحونَ لأجْلِنا؟ هَلْ يَجِبُ عَلى كُلِّ مَنْ يأكُلُ الخُبْزَ أنْ يَحْصُدَ القَمْح؟»

فَتَحَدَّثَ كَبيرُ رِجالِ البَلاطِ إلى المَلِكِ الشّابِّ وقالَ: «سَيِّدي، أرْجوكَ أبْعِدْ هَذِهِ الأفْكارَ السَّوْداءَ والْبَسْ هَذا الرِّداءَ الجَميلَ وَضَعِ التّاجَ

عَلى رأسِك. فَكَيْفَ يُمْكِنُ للنّاسِ أنْ يَعْرِفوا أنَّكَ مَلِكٌ من دونِ ثِيابِ المُلْكِ؟»

ونَظَرَ المَلِكُ الشّابُّ إلى كَبيرِ رِجالِ البَلاطِ وتَساءَلَ: «هَلْ هَذِهِ هِيَ الحَقيقَةُ حَقًّا؟ ألَنْ يَعْرِفوني من دونِ ثِيابِ المُلْك؟»

فَصاحَ كَبيرُ رِجالِ البَلاط: «كَلّا لَنْ يَعْرِفوكَ سَيِّدي».

وأجابَ المَلِكُ الشّابُّ: «كُنْتُ أظُنُّ أنَّ هُناكَ رِجالاً يَحْمِلونَ عَلاماتِ المُلْك، ولَكِنْ قَدْ يَكونُ الأمْرُ كَما تَقولُ أنْت. ومَعَ ذَلِكَ لَنْ أرْتَدِيَ هَذا الرِّداءَ ولَنْ أتَوَّجَ وكَما جِئْتُ إلى القَصْرِ سأخْرُجُ مِنْه». وطَلَبَ المَلِكُ الشّابُّ من رِجالِ البَلاطِ مُغادَرَةَ الغُرْفَةِ باسْتِثْناءِ غُلامٍ واحِدٍ أبْقاهُ لمُرافَقَتِه، وكانَ الغُلامُ شابًّا مِثْلَ المَلِك.

وعِنْدَما اسْتَحَمَّ المَلِكُ الشّابُّ خَلَعَ ثِيابَهُ المَلَكِيَّةَ وَعادَ لارْتِداءِ ثَوْبِ الرّاعي المَصْنوعِ مِنْ صوفِ الغَنَمِ والّذي كانَ يَرْتَديهِ عِنْدَما كانَ يُراقِبُ الماشِيَةَ الّتي كانَ يَرْعاها.

ثُمَّ فَتَحَ الغُلامُ عَيْنَيْهِ الزَّرْقاوَيْنِ تَعَجُّبًا وقالَ للمَلِكِ باسِمًا: «سَيِّدي أنا أرَى رِداءَكَ وَصَوْلَجانَكَ ولَكِنْ أيْنَ هُوَ تاجُك؟»

فَحَمَلَ المَلِكُ عودًا طَرِيًّا مِنَ الشَّوْكِ وطَواهُ ثُمَّ وَضَعَهُ عَلى رأسِهِ مِثْلَ التّاجِ وقالَ للغُلام: «هَذا هُوَ تاجي».

وخَرَجَ المَلِكُ الشّابُّ مِنْ غُرْفَتِهِ إلى قاعَةِ القَصْرِ حَيْثُ كانَ النُّبَلاءُ

بانْتِظارِهِ فَصاحوا لَهُ: «سَيِّدي، النّاسُ يَنْتَظِرونَ مَلِكَهُم وأَنْتَ تَظْهَرُ لَهُم مِثْلَ المُتَسَوِّل». وغَضِبَ آخَرونَ وَقالوا: «إِنَّكَ تَجْلِبُ العارَ لِدَوْلَتِنا وَمِنْ غَيْرِ الجَديرِ بِكَ أَنْ تَكونَ سَيِّدَنا». لَكِنَّ المَلِكَ الشّابَّ لَمْ يُجِبْهُم بَلْ تابَعَ سَيْرَهُ ونَـزَلَ عَلى سُلَّمِ القَصْرِ وَعَبَرَ بَوّاباتِهِ البْرونْزِيَّةَ وامْتَطى حِصانَهُ ورَحَلَ باتِّجاهِ الكاتِدْرائِيَّةِ جارًّا غُلامَهُ وَراءَه.

وَضَحِكَ النّاسُ وَقالوا: «إِنَّهُ مُهَرِّجُ البَلاطِ يَمُرُّ مِنْ هُنا» وسَخِروا مِنْهُ. لَكِنَّ المَلِكَ أَبْطأَ سَيْرَهُ وَقالَ لَهُم: «كَلاَّ، أَنا المَلِكُ نَفْسُه». وَأَبْلَغَهُم بِأَحْلامِه. ثُمَّ خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الحَشْدِ وتَكَلَّمَ بِمَرارَةٍ إِلى المَلِكِ وَقال: «سَيِّدي، أَلا تَعْرِفُ أَنَّ حَياةَ الفُقَراءِ تَنْبُعُ مِنْ رَفاهِيَةِ الأَغْنِياء؟ فَنَحْنُ الفُقَراءَ نَتَغَذّى بِأُبَّهَتِكَ وَفَضائِلُكَ تُعْطينا الخُبْزَ، والعَمَلُ لِسَيِّدٍ قاسٍ هُوَ عَمَلٌ مَريرٌ لَكِنَّ العَمَلَ دونَ سَيِّدٍ هُوَ أَكْثَرُ مَرارَة. هَلْ تَظُنُّ أَنَّ الغُرابَ سَيُطْعِمُنا؟ وما هُوَ عِلاجُكَ لِهَذِهِ الأُمورِ؟ هَلْ سَتَقولُ لِلشّاري: «يَجِبُ أَنْ تَشْتَرِيَ الكَمِّيَّةَ كَذا وَكَذا فَقَطْ وَتَقولُ لِلبائِعِ يَجِبُ أَنْ تَبيعَ بِهَذا السِّعْرِ فَقَط؟ لا أَعْتَقِدُ ذَلِكَ مُمْكِنًا. لِهَذا عُدْ إِلى قَصْرِكَ وإِلى رِداءِكَ الكَتّانِيِّ ولا عَلاقَةَ لَكَ بِنا وبِما نُعانيه».

فَسأَلَ المَلِكُ الشّابُّ: «أَلَيْسَ الأَغْنِياءُ والفُقَراءُ إِخْوَة؟»

أَجابَ الرَّجُلُ: «نَعَمْ، لَكِنَّ اسْمَ شَقيقِ الغَنِيِّ هُوَ قايين».

واغْرَوْرَقَتْ عَيْنا المَلِكِ الشّابِّ بِالدُّموعِ وتابَعَ سَيْرَهُ عَبْرَ هَمْهَماتِ النّاسِ، وخافَ الغُلامُ وَتَرَكَ المَلِكَ الشّابَّ وَحيدًا.

وَعِنْدَما وَصَلَ المَلِكُ الشّابُّ إِلى بَوّابَةِ الكاتِدْرائِيَّةِ صَوَّبَ الجُنودُ رِماحَهُم إِلَيْهِ وقالوا: «ماذا تَفْعَلُ هُنا؟ فَلا أَحَدَ يَدْخُلُ هَذِهِ البَوّابَةَ سِوى المَلِك».

واسْتَشاطَ المَلِكُ الشّابُّ غَضَبًا وقالَ لَهُم: «أَنا المَلِكُ» وأَبْعَدَ رِماحَهُم وَدَخَلَ إِلى الكاتِدْرائِيَّة.

وعِنْدَما رَآهُ الأُسْقُفُ الكَهْلُ قادِمًا بِرِداءِ الرّاعِي قامَ مِنْ عَرْشِهِ بِتَعَجُّبٍ وَذَهَبَ لِمُقابَلَتِهِ قائِلاً: «يا وَلَدِي، هَلْ هَذا كِساءُ المُلوك؟ وأَيْنَ هُوَ التّاجُ الّذي سأُتَوِّجُكَ بِهِ، وأَيْنَ هُوَ الصَّوْلَجانُ الّذي سأَضَعُهُ في يَدِكَ؟ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ هَذا اليَوْمُ يَوْمَ فَرَحٍ بِالنِّسْبَةِ لَكَ وَلَيْسَ يَوْمَ ذُلّ».

فَقالَ المَلِكُ الشّابُّ: «هَلْ يُمْكِنُ لِلفَرَحِ أَنْ يَرْتَدِيَ ما صَمَّمَهُ الحُزْنُ؟» وأَبْلَغَ الأُسْقُفَ بِأَحْلامِهِ الثَّلاثَة.

وعِنْدَما سَمِعَ الأُسْقُفُ رِوايَةَ المَلِكِ الشّابِّ لأَحْلامِهِ أَطْبَقَ حاجِبَيْهِ وَقالَ: «يا وَلَدِي، أَنا رَجُلٌ كَهْلٌ وفي أَواخِرِ أَيّامِي، وأَنا أَعْرِفُ أَنَّ الكَثيرَ مِنَ الأُمورِ الشِّرِّيرَةِ تَحْصُلُ في هَذا العالَمِ الواسِع. فَقُطّاعُ الطُّرُقِ يَنْزِلونَ مِنَ الجِبالِ وَيَخْطِفونَ الأَطْفالَ وَيَبيعونَهُم لِلغَجَر، وتَكْمُنُ الأُسودُ لِلقَوافِلِ، تُهاجِمُ الإِبِلَ، ويُهاجِمُ الخِنْزيرُ البَرِّيُّ حُقولَ الذُّرَةِ وتُهاجِمُ الثَّعالِبُ حُقولَ الكَرْمَةِ في التِّلالِ. كَذَلِكَ يَجوبُ القَراصِنَةُ البَحْرَ وَيَحْرُقونَ صَيّادِي الأَسْماكِ وَيَسْرِقونَ شِباكَهُم. وَيَعيشُ المَنْبوذونَ في المُسْتَنْقَعات. أَمّا المُتَسَوِّلونَ فَيَتَجَوَّلونَ عَلى غَيْرِ هَدْيٍ في المُدُنِ

وَيأْكُلونَ طَعامَهُم مَعَ الكِلابِ. هَلْ يُمْكِنُكَ أَنْتَ أَيُّها المَلِكُ الشّابُّ مَنْعُ هَذِهِ الأُمورِ؟ هَلْ تَجْلِبُ مَنْبوذًا إلى قَصْرِكَ وتُشارِكُهُ سَريرَكَ أَوْ تُطْعِمُ المُتَسَوِّلَ عَلى مائِدَتِك؟ هَلْ يُمْكِنُ لِلحَيَواناتِ المُفْتَرِسَةِ إطاعَتُك؟ لِذَلِكَ أَرْجو مِنْكَ العَوْدَةَ إلى قَصْرِكَ والتَّحَلّي بِالسُّرورِ والتَّفاؤُلِ وأَنْ تَرْتَديَ ما يَليقُ بِكَ كَمَلِك. وَسَوْفَ أُتَوِّجُكَ بِالتّاجِ الذَّهَبِيِّ وأَضَعُ الصَّوْلَجانَ المُرَصَّعَ بِاللآلِىءِ في يَدِك، فَلا تُفَكِّرْ بِأَحْلامِكَ ثانِيَةً لأَنَّ عِبْءَ هَذا العالَمِ أَقْوى مِنْ أَنْ يَتَحَمَّلَهُ رَجُلٌ واحِدٌ مِثْلُكَ، وَحُزْنُ العالَمِ أَثْقَلُ مِنْ أَنْ يُعانِيَ مِنْهُ قَلْبٌ واحِد».

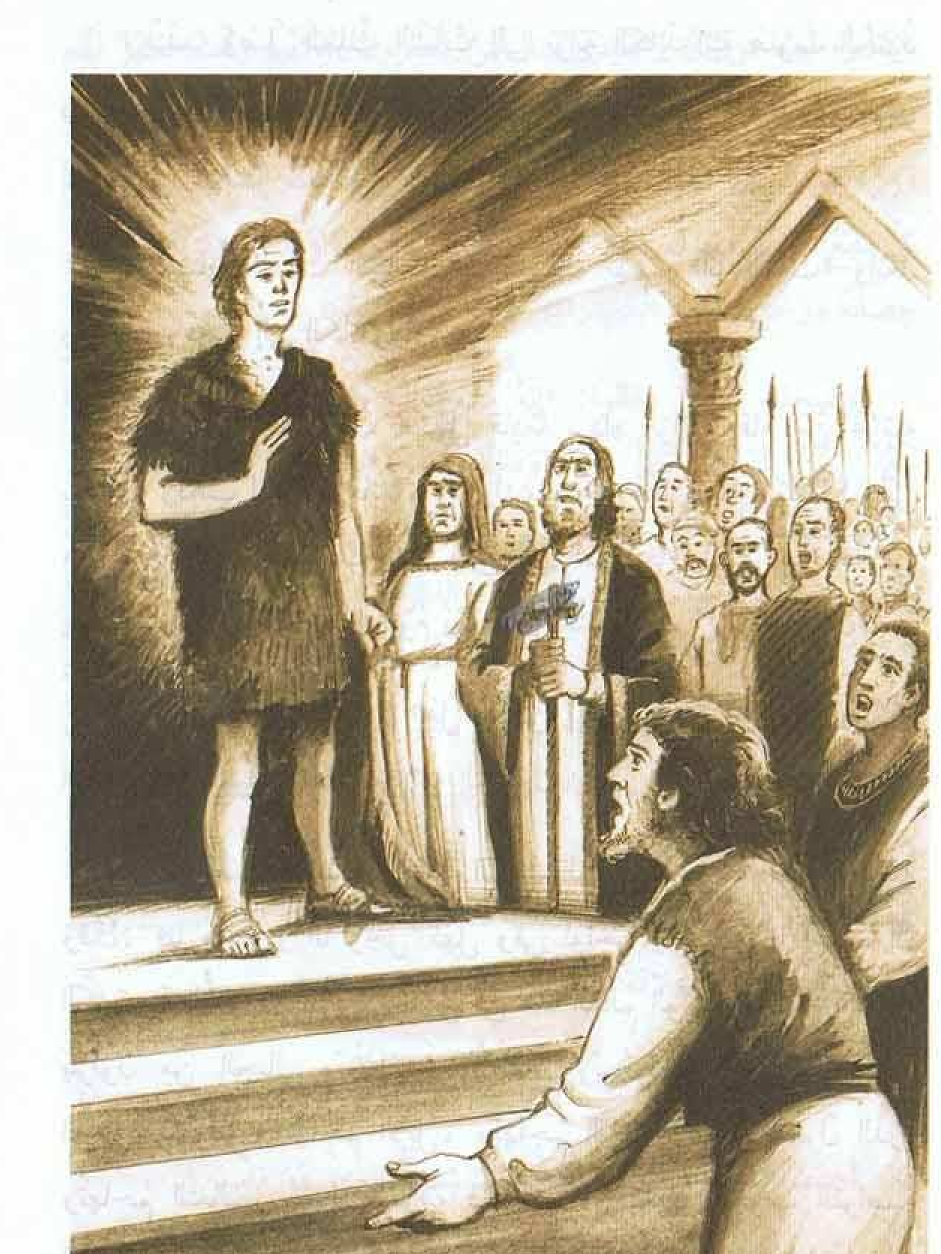
فَقالَ المَلِكُ الشّابُّ: «هَلْ تَقولُ هَذا الكَلامَ في بَيْتِكَ أَيُّها الأُسْقُف؟» واقْتَرَبَ المَلِكُ مِنَ الأُسْقُفِ وَصَعِدَ إلى المَذْبَح.

وَوَقَفَ المَلِكُ الشّابُّ في المَذْبَحِ ثُمَّ رَكَعَ وأَحْنى رأْسَهُ لِلصَّلاةِ فابْتَعَدَ الكَهَنَةُ عَنِ المَذْبَح.

وَفَجْأَةً قامَتِ الجَلَبَةُ والضَّجيجُ في الشّارِعِ خارِجَ الكاتِدْرائِيَّةِ وَدَخَلَ النُّبَلاءُ بِسُيوفِهِم وَدُروعِهِم وَصاحوا: «أَيْنَ هُوَ حالِمُ الأَحْلام؟ أَيْنَ هُوَ هَذا المَلِكُ الّذي يَبْدو مِثْلَ المُتَسَوِّل؟ أين هَذا الصَّبِيُّ الّذي يَجْلِبُ العارَ لِدَوْلَتِنا؟ يَجِبُ أَنْ نَقْتُلَهُ لأَنَّهُ لا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكونَ حاكِمَنا».

وأَحْنى المَلِكُ الشّابُّ رأْسَهُ ثانِيَةً وَصَلّى، وعِنْدَما أَنْهى صَلاتَهُ قامَ واسْتَدارَ ونَظَرَ بِحُزْنٍ إلى النُّبَلاء.

وَدَخَلَتْ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ مِنَ النَّوافِذِ المُلَوَّنَةِ وأَضاءَتِ المَلِكَ الشّابَّ



بِحَيْثُ لَفَّتْهُ إِشْعاعاتُها وَبدا أَجْمَلَ وأَرْوَعَ مِنَ الرِّداءِ الذَّهَبِيِّ الّذي صُمِّمَ لَه. وَبَدا رِداءُ الصُّوفِ أَبْيَضَ مِثْلَ اللآلِيءِ وبَدا الشَّوْكُ عَلَى العُودِ التّاجِ مِثْلَ الأَزْهارِ وأَكْثَرَ احْمِرارًا مِنَ الجَواهِرِ. وَبَدا كَما لَوْ أَنَّ أَوْراقَ الشَّوْكِ هِيَ مِثْلُ وُرَيْقاتِ الذَّهَبِ.

هُناكَ وَقَفَ المَلِكُ الشّابُّ وِقْفَةَ المُلوكِ بِحَيْثُ فُتِحَتْ بَوّاباتُ المَذْبَحِ لِيَصِلَ إِلَيْها النُّورُ الرّائِعُ. وَمَلأَ مَجْدُ الله المَكانَ وَبَدَتِ التَّماثِيلُ كَما لَوْ أَنَّها تَتَحَرَّكُ فِعْلاً. وانْطَلَقَ الأُرْغُنُ بِموسيقاهُ ونُفِخَتِ الأَبْواقُ وَبَدأَ الأَطْفالُ يُغَنُّون.

وَجَثا النّاسُ عَلَى رُكَبِهِم تَعْبِينَ وأَغْمَدَ النُّبَلاءُ سُيوفَهُم وَشَحُبَ وَجْهُ الأُسْقُفِ وارْتَجَفَتْ يَداهُ وَصاحَ: «إِنَّكَ أَعْظَمُ مَنْ تَوَّجْتُ» وَرَكَعَ الأُسْقُفُ أَمامَ المَلِكِ الشّابِّ.

ثُمَّ نَزَلَ المَلِكُ الشّابُّ مِنَ المَذْبَحِ وَعَبَرَ حُشودَ النّاسِ لَكِنَّ أَحَدًا مِنْهُم لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى النَّظَرِ إلى وَجْهِهِ لأَنَّهُ كانَ مِثْلَ وَجْهِ مَلاكٍ.

عيدُ ميلادِ ابْنَةِ المَلِكِ

كانَ الوَقْتُ عِيدَ مِيلادِ ابْنَةِ المَلِكِ الَّتي كانَ عُمْرُها اثْنَتَي عَشْرَةَ سَنَةً، وكانَتِ الشَّمْسُ تَشِعُّ بِقُوَّةٍ في حَدائِقِ القَصْرِ المَلَكي.

ورُغْمَ أَنَّ هَذِهِ الفَتاةَ كانَتْ أَميرَةً حَقِيقِيَّةً وابْنَةَ مَلِكِ إِسْبانِيا، لَكِنَّها كانَتْ تَسْتَمْتِعُ مِثْلَ بَقِيَّةِ أَطْفالِ البِلادِ بِعِيدٍ واحِدٍ لِمِيلادِها كُلَّ سَنَةٍ. وكانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَكونَ هَذا العِيدُ ذا أَهَمِّيَّةٍ كَبِيرَةٍ لِلبِلادِ بِمُجْمَلِها بِحَيْثُ تَكونُ المُناسَبَةُ يَوْمًا جَمِيلاً. فَكانَتِ الأَزْهارُ الطَّوِيلَةُ تَقِفُ مُنْتَصِبَةً عَلَى عِيدانِها مِثْلَ صَفِّ الجُنودِ، والفَراشاتُ الأُرْجُوانِيَّةُ تَتَطايَرُ حامِلَةً الغُبارَ الذَّهَبِيَّ عَلَى أَجْنِحَتِها لِتَزورَ زَهْرَةً واحِدَةً في كُلِّ جَوْلَةٍ.

وكانَتِ العَظاياتُ تَتَسَلَّلُ مِنْ حُفَرِ الجُدْرانِ لِتَرى وَهَجَ الشَّمْسِ، وكانَتْ أَكْوازُ الرُّمّانِ تَتَشَقَّقُ بِفِعْلِ الحَرارةِ لِتُظْهِرَ قُلوبَها الحَمْراءَ النّازِفَةَ. وحتّى ثَمَراتُ اللَّيْمونِ المُتَدَلِّيَةُ عَلَى طولِ القَناطِرِ المُعْتِمَةِ اكْتَسَتْ بِلَوْنِ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ العَجِيبَةِ، ومَلأَتْ أَزْهارُ الأَشْجارِ الهَواءَ بِعِطْرٍ لَذِيذٍ قَوِيٍّ.

أَمّا الأَمِيرَةُ نَفْسُها فَكانَتْ تَجوبُ شُرْفَةَ القَصْرِ مَعَ رَفِيقاتِها وتَلْعَبُ مَعَهُم حَوْلَ الأَواني الحَجَرِيَّةِ الضَّخْمَةِ والتَّماثِيلِ. في الأَيّامِ العادِيَّةِ كانَ يُسْمَحُ لِلأَمِيرَةِ باللَّعِبِ فَقَطْ مَعَ أَطْفالٍ مِنْ طَبَقَتِها بِحَيْثُ تَبْقى مُعْظَمَ

الوَقْتِ تَلْعَبُ وَحْدَها. لَكِنَّ يَوْمَ عِيدِ مِيلادِها كانَ يَوْمًا اسْتِثْنائيًا، وأَعْطَى المَلِكُ أَوامِرَهُ بأَنَّهُ يُمْكِنُ للأَميرَةِ دَعْوَةُ مَنْ تُرِيدُ مِنْ أَصْدِقائِها الأَوْلادِ الَّذينَ تَوَدُّ مِنْهُم المَجيءَ لِلتَّسْلِيَةِ مَعَها.

كانَ هَؤُلاءِ الأَطْفالُ الإِسْبانُ يَتَمَيَّزونَ بالرَّشاقَةِ في لَعِبِهِم وارْتَدى الصِّبْيانُ مِنْهُم قُبَّعاتٍ كَبِيرَةً وارْتَدَتِ الفَتَياتُ مَعاطِفَ صَغِيرَةً، وكُنَّ يُبْعِدْنَ الشَّمْسَ عَنْهُنَّ بِمَراوِحَ وَرَقِيَّةٍ كَبِيرَة.

لَكِنَّ ابْنَةَ المَلِكِ كانَتْ أَكْثَرَهُم جَمالاً وَرَشاقَةً فَكانَ رِداؤُها مَصْنوعًا من قُماشِ السّاتانِ الرَّمادِيِّ ومُطَرَّزًا بالفِضَّةِ واللآلِيء.

كانَ المَلِكُ الحَزينُ المُكْتَئِبُ يُراقِبُ الأَوْلادَ مِنْ نافِذَةِ القَصْرِ ويَقِفُ خَلْفَهُ شَقيقُهُ دون بيدْرو الَّذي كانَ مَكْروهًا مِنَ المَلِكِ وبِجانِبِهِ كاهِنُ الاعْتِراف. كانَ المَلِكُ في حُزْنٍ غَيْرِ عادِيٍّ لأَنَّهُ، وَمَعَ تَحْديقِهِ بابْنَتِهِ، كانَ يُفَكِّرُ في والِدَتِها المَلِكَةِ الشّابَّةِ الَّتي جاءَتْ من فَرَنْسا بِلادِ المَرَحِ والفَرَحِ والَّتي تَداعَتْ في حَياةِ البَلاطِ الإِسْبانِيِّ وماتَتْ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِن وِلادَةِ طِفْلَتِها. كانَ حُبُّ المَلِكِ لِلْمَلِكَةِ الشّابَّةِ كَبِيرًا بِحَيْثُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يُبْعِدَها القَبْرُ عَنْهُ فَعَمِلَ طَبِيبٌ عَرَبِيٌّ عَلَى تَحْنيطِ جُثَّتِها. وهَكَذا كانَتْ جُثَّةُ المَلِكَةِ الشّابَّةِ لا تَزالُ قابِعَةً في نَعْشٍ مُطَرَّزٍ داخِلَ المُصَلَّى الرُّخامِيِّ التابِعِ لِلْقَصْرِ تَمامًا كَما تَوَّجَها الرُّهْبانُ في ذَلِكَ اليَوْمِ الماطِرِ قَبْلَ اثْنَتَي عَشْرَةَ سَنَة.

وَمَرَّةً كُلَّ شَهْرٍ كانَ المَلِكُ بِمِعْطَفِهِ الأَسْوَدِ يَذْهَبُ لِلرُّكوعِ بِجانِبِ جُثَّةِ المَلِكَةِ الشّابَّةِ ويُناديها قائِلاً: «يا مَلِكَتي وحاكِمَتي».

وكانَ المَلِكُ في بَعْضِ الأَحْيانِ يَتَجاوَزُ التَّقاليدَ الإِسْبانِيَّةَ الَّتي تَضَعُ قُيودًا عَلَى حُزْنِ المَلِكِ ويُمْسِكُ يَدَيْها الشّاحِبَتَيْنِ بِمُعاناةٍ أَليمَةٍ مُحاوِلاً بِقُبُلاتِهِ المَجْنونَةِ إِيقاظَ الوَجْهِ البارِد.

وبَدا أَنَّ المَلِكَ اليَوْمَ عادَ لِمُشاهَدَةِ المَلِكَةِ الشّابَّةِ كَما رَآها لِلمَرَّةِ الأُولَى في قَلْعَةِ فونْتانْبْلو عِنْدَما كانَ في الخامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِه، وكانَتْ هِيَ أَصْغَرَ مِنْهُ سِنًّا. وبَعْدَ ذَلِكَ تَمَّتْ خِطْبَتُهُما عَلَى يَدَي الأُسْقُفِ البابَوِيِّ بِحُضورِ مَلِكِ فَرَنْسا وكُلِّ رِجالِ البَلاطِ الفَرَنْسِي. ثُمَّ تَزَوَّجَ المَلِكُ المَلِكَةَ في حَفْلِ زَواجٍ سَريعٍ في بَلْدَةٍ صَغِيرَةٍ عَلَى الحُدودِ بَيْنَ فَرَنْسا وإِسْبانيا، تَبِعَهُ دُخولٌ فَخْمٌ لِلزَّوْجَيْنِ إِلى مَدْريدَ أُرْفِقَ باحْتِفالٍ ضَخْمٍ في كَنِيسَةِ المَدِينَةِ، وأُحْرِقَ فِيهِ الكَثيرُ مِنَ الأَشْخاصِ الكَفَرَةِ الإِنْجْليز.

وَمِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّ المَلِكَ كانَ يُحِبُّ المَلِكَةَ الشّابَّةَ بِجُنونٍ لأَنَّ ذَلِكَ أَدَّى إِلى انْهِزامِ بِلادِهِ أَمامَ إِنْجلْترا في الحَرْبِ عَلَى ما كانَ يُسَمَّى يَوْمَها بالعالَمِ الجَديد.

لَمْ يَكُنِ المَلِكُ يَسْمَحُ بِغِيابِ المَلِكَةِ الشّابَّةِ عَنْ نَظَرِه، ونَسِيَ لأَجْلِها كُلَّ أُمورِ الدَّوْلَةِ، وأَخْفَقَ بِفِعْلِ العَمَى الَّذي يَجْلِبُهُ الحُبُّ لِعَبيدِهِ في مُلاحَظَةِ أَنَّ الحَفَلاتِ الَّتي كانَ يُقيمُها لإِسْعادِ المَلِكَةِ الشّابَّةِ كانَتْ تُعَزِّزُ مَرَضَها الغَريبَ الَّذي كانَتْ تُعاني مِنْه. وعِنْدَما ماتَتِ المَلِكَةُ بَدا كَما لَوْ أَنَّ المَلِكَ خَلا مِنَ العَقْلِ والمَنْطِقِ، وكانَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَنازَلَ عَنِ

العَرْشِ ويَسْتَكِينَ في الدَّيْرِ لَوْلا خَوْفُهُ عَلَى ابْنَتِهِ الصَّغِيرَةِ الّتي كانَتْ تَحْتَ رَحْمَةِ شَقِيقِهِ الّذي كانَ مَشهورًا بِقَسْوَتِهِ والّذي اشْتُبِهَ بأَنْ يَكونَ هُوَ وَراءَ مَوْتِ المَلِكَةِ الشّابّة. وحَتّى بَعْدَ انْتِهاءِ فَتْرَةِ الحِدادِ العامِّ الّتي اسْتَمَرَّتْ ثَلاثَ سَنَواتٍ وعِنْدَما عُرِضَ عَلَى المَلِكِ الزَّواجُ مِنْ دوقَةِ بوهيميا أَبْلَغَ المَلِكُ رُسُلَ الزَّواجِ بِأَنَّهُ مُتَزَوِّجٌ مِنَ الحُزْنِ رُغْمَ جَمالِ الدّوقة. وَقَدْ كَلَّفَهُ هَذا الجَوابُ السَّلْبِيُّ انْسِلاخَ مَناطِقِ هولَندا الغَنِيَّةِ عَنْ مَمْلَكَتِه.

كانَتِ الحَياةُ الزَّوْجِيَّةُ لِلْمَلِكِ بِأَفْراحِها القَوِيَّةِ والمُنَوَّعَةِ والفاجِعَةُ الرَّهِيبَةُ الّتي انْتَهَتْ بِها قد عادَتْ إِلَيْهِ في ذَلِكَ اليَوْمِ عِنْدَما جَلَسَ يُراقِبُ ابْنَتَهُ تَلْعَبُ في شُرْفَةِ الحَدِيقَة. فَقَدْ رَآها تَحْمِلُ كُلَّ آدابِ والِدَتِها المَلِكَةِ: حَرَكاتِها نَفْسَها والفَمَ الجَميلَ ذاتَهُ والابْتِسامَةَ ذاتَها ـ فَرَنْسِيَّةٌ حَقًّا ـ وذَلِكَ عِنْدَما كانَتْ تَنْظُرُ إلى الأَعْلَى مِنْ وَقْتٍ لآخَرَ أَوْ تَمُدُّ يَدَها لِنُبَلاءِ إِسْبانيا لِتَقْبيلِها، لَكِنَّ ضَحِكَ الأَطْفالِ أَثْقَلَ أُذُنَي المَلِكِ وبَدا أَنَّ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ الظّالِمَةِ تَسْخَرُ مِنْ حُزْنِه، وبَدا كَما لَوْ أَنَّ رائِحَةَ عُشْبٍ فاتِرَةً تُمَزِّقُ أَنْفاسَه. لَكِنَّ المَلِكَ كانَ يَتَخَيَّلُ لأَنَّ هذا كُلَّهُ لم يَكُنْ سِوى هَواءِ الصَّباحِ النَّقِيِّ، فَدَفَنَ وَجْهَهُ بَيْنَ يَدَيْه، وعِنْدَما نَظَرَتِ ابْنَتُهُ إلى الأَعْلَى باتِّجاهِ أَبيها كانَتِ السَّتائِرُ قَدْ أُغْلِقَتْ لاسْتِراحَةِ المَلِك.

شَعَرَتِ الفَتاةُ بِقَليلٍ مِنْ خَيْبَةِ الأَمَلِ وهَزَّتْ كَتِفَيْها لأَنَّه كانَ عَلَى أَبيها أَنْ يَبْقَى مَعَها في يَوْمِ عيدِ ميلادِها وأَلّا يَهْتَمَّ لأُمورِ الدَّوْلَةِ التّافِهَة. وتَساءَلَتِ الفَتاةُ الأَميرَةُ: هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ المَلِكُ قَدْ ذَهَبَ إلى

المُصَلَّى الكَئيبِ حَيْثُ الشُّموعُ لا تَنْطَفِىءُ وحَيْثُ لا يُسْمَحُ لَها بالدُّخولِ؟ وفَكَّرَتِ الأَميرَةُ الفَتاةُ: كَمْ هُوَ سَخِيفٌ والِدُها المَلِكُ لِيَتْرُكَ الشَّمْسَ الّتي تُشِعُّ في الخارِجِ والجَميعُ سُعَداءُ بِها فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ يُفَوِّتُ حَفْلَةَ مُصارَعَةِ الثِّيرانِ وعَرْضَ الدُّمى وأَشْياءَ أُخْرى رائِعَة. أَمّا عَمُّها فكانَ أَكْثَرَ تَعَقُّلًا وإِحْساسًا بالنِّسْبَةِ إِلَيْها، فَخَرَجَ مَعَها إلى حَديقَةِ القَصْرِ وأَدّى لَها تَحِيّاتِ الإِطْراءِ، فَكانَتْ تَهُزُّ رَأْسَها الجَميلَ، وتَأْخُذُ بِيَدِه، وتَمْشي مَعَهُ بِبُطْءٍ إلى أَطْرافِ الحَديقَةِ يَتْبَعُها الأَوْلادُ الآخَرون.

كانَ مَوْكِبُ الأَوْلادِ مُكَوَّنًا في مُعْظَمِهِ من صِبْيانِ النُّبَلاءِ الّذينَ جاؤوا لِمُقابَلَةِ الفَتاةِ ومَعَهُم أَميرٌ وَسيمٌ لِلْغايَةِ في الرّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِه، إنَّهُ الّذي قادَ الأَميرَةَ الفَتاةَ لاحِقًا بِكُلِّ أَدَبٍ إلى كُرْسِيٍّ عاجِيٍّ فَوْقَ المَدْرَج. وتَجَمَّعَ الأَوْلادُ حَوْلَهُما يَتَهامَسون، وَوَقَفَ دون بيدْرو عَمُّ الأَميرَةِ وكاهِنُ الاعْتِرافِ مَعَهُما يَضْحَكان. كانَتْ حَفْلَةُ مُصارَعَةِ الثِّيرانِ رائِعَةً، وكانَتْ كَما ظَنَّتِ الأَميرَةُ أَجْمَلَ مِنْ حَفْلَةِ المُصارَعَةِ الّتي شاهَدَتْها سابِقًا في إِشْبيلِيَةَ بِمُناسَبَةِ زِيارَةِ أَحَدِ الأُمَراءِ لأَبيها. وتَحَدَّثَ جَميعُ الأَوْلادِ عَنِ الجِيادِ المُزَيَّنَةِ، ولَوَّحَ بَعْضُهُم بِمِعْطَفِهِ القِرْمِزِيِّ لِلثِّيران. أَمّا الثَّوْرُ نَفْسُهُ فَكانَ ثَوْرًا حَقِيقِيًّا حَيًّا، وكانَ يُصِرُّ عَلَى الرَّكْضِ حَوْلَ الحَلْبَةِ، ودَخَلَ المُصارَعَةَ بِقُوَّةٍ فَتَحَمَّسَ الأَوْلادُ كَثيرًا عَلَى مَقاعِدِهِم، وَلَوَّحوا بِمَناديلِهِم وصاحوا: شُجاعٌ أَيُّها الثَّوْر! تَمامًا كَما يَفْعَلُ الرِّجالُ الرّاشِدون.

وَلَكِنْ في النِّهايَةِ وبَعْدَ مَعْرَكَةٍ طَويلَةٍ اشْتَرَكَ فيها عِدَّةُ مُصارِعينَ

عَلى جِيادِهِم أَرْكَعَ الأَميرُ الثَّوْرَ عَلى رُكْبَتَيْهِ واسْتَأْذَنَ ابْنَةَ المَلِكِ قَبْلَ إِدْخالِ سَيْفِهِ الخَشَبِيِّ في عُنُقِ الحَيَوانِ بِعُنْفٍ أَدّى إِلى اجْتِثاثِ رَأْسِه. وأَطْلَقَ ابْنُ السَّفيرِ الفَرَنْسِيِّ في مَدْريدَ ضِحكاتٍ رَنّانَة.

فَرَغَتْ ساحَةُ المُدَرَّجِ وَسْطَ التَّصْفيقِ وأُخْرِجَتِ الجِيادُ المَيْتَةُ فَظَهَرَتِ الدُّمى الإِيطالِيَّةُ لِتَأْدِيَةِ مَسْرَحِيَّةٍ تراجيدِيَّةٍ عَلى مَسْرَحٍ صَغيرٍ شُيِّدَ لِهَذِهِ الغايَةِ. كانَ التَّمْثيلُ جَيِّدًا لِلغايَةِ، وكانَتِ الحَرَكاتُ طَبيعِيَّةً جِدًّا بِحَيْثُ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنا ابْنَةِ المَلِكِ بالدُّموعِ مَعَ انْتِهاءِ المَسْرَحِيَّةِ. حَتّى إِنَّ بَعْضَ الأَوْلادِ بَكَوْا حَقًّا، وكانَ لا بُدَّ مِنْ إِرْضائِهِم بالحَلْوى. وقَدْ تَأَثَّرَ كاهِنُ الاعْتِرافِ نَفْسُهُ بالمَسْرَحِيَّةِ بِحَيْثُ عَلَّقَ عَلى الأَمْرِ لدون بِيدْرو شَقيقِ المَلِكِ مُتَعَجِّبًا كَيْفَ أَنَّ الدُّمى الخَشَبِيَّةَ المُلَوَّنَةَ الَّتي تَعْمَلُ بالأَسْلاكِ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ تَعيسَةً ويائِسَةً وتُواجِهُ الكَوارِثَ الرَّهيبَةَ.

وَتَلا المَسْرَحِيَّةَ دَوْرٌ لِمُشَعْوِذٍ إِفْريقِيٍّ جَلَبَ سَلَّةً مُغَطّاةً بِسِتارَةٍ حَمْراءَ وَضَعَها في وَسَطِ ساحَةِ المُدَرَّجِ. نَفَخَ المُشَعْوِذُ في السَّلَّةِ بِمِزْمارِهِ فَبَدَأَتِ السِّتارَةُ تَتَحَرَّكُ وخَرَجَتْ مِنْها أَفْعى خَضْراءُ رَأْسُها مُثَلَّثٌ غَريبُ الشَّكلِ. وارْتَفَعَتِ الأَفْعى بِبُطْءٍ وتَمايَلَتْ مَعَ موسيقى مِزْمارِ المُشَعْوِذِ. لَكِنَّ الأَوْلادَ ارْتَعَبوا، وسُرُّوا جِدًّا لانْتِهاءِ المَشْهَدِ بِظُهورِ شَجَرَةِ بُرْتُقالٍ مُزْهِرَةٍ مِنَ الرِّمالِ. وازْدادَ الأَطْفالُ سَعادَةً ودَهْشَةً عِنْدَما أَخَذَ المُشَعْوِذُ إِحْدى مَراوِحِ الفَتَياتِ وحَوَّلَها إِلى طائِرٍ أَزْرَقَ حَلَّقَ حَوْلَ السّاحَةِ مُغَرِّدًا. وتَلَتِ الشَّعْوَذَةَ رَقْصَةٌ رائِعَةٌ لِفِرْقَةٍ مِنَ الصِّبْيانِ. لَمْ يَسْبِقْ لابْنَةِ المَلِكِ أَنْ شاهَدَتْ حَفْلًا رائِعًا كَهَذا عَلى شَرَفِها وإِنَّما كانَتْ

تَسْمَعُ أَقاصيصَ ورِواياتٍ مُخْتَلِفَةً عَنْ حَفَلاتٍ كَهَذِهِ وعَنِ الرَّقْصِ الَّذي يَحْصُلُ فيها.

ثُمَّ جاءَ دَوْرُ الغَجَرِ الَّذينَ تَقَدَّموا إِلى ساحَةِ المُدَرَّجِ وجَلَسوا القُرْفُصاءَ في شَكْلٍ دائِرِيٍّ وبَدَأُوا يَلْعَبونَ عَلى آلَةِ القانونِ مُحَرِّكينَ أَجْسادَهُم مَعَ أَنْغامِهِ ومُهَمْهِمينَ مَعَها بِأَنْفاسِهِم. وعِنْدَما رَأى الغَجَرُ شَقيقَ المَلِكِ دون بِيدْرو قَطَّبوا وُجوهَهُمْ حَتّى إِنَّ بَعْضَهُم خافَ مِنْهُ لأَنَّهُ قَبْلَ أَسابيعَ عِدَّةٍ أَمَرَ بِشَنْقِ اثْنَيْنِ مِنْهُم. لَكِنَّ الأَميرَةَ ابْنَةَ المَلِكِ سَحَرَتْهُم بِعَيْنَيْها الزَّرْقاوَيْنِ وشَعَروا بِأَنَّ شَخْصًا جَميلًا مِثْلَها لا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ قاسِيًا مَعَ أَحَد. وهَكَذا تابَعَ الغَجَرُ أَلْعابَهُمْ بِلُطْفٍ مُلامِسينَ أَوْتارَ القانونِ بِأَظْفارِهِمُ الطَّويلَةِ وبَدَأُوا يَنْحَنونَ بِرُؤُوسِهِمْ كَما لَوْ كانوا يَنامون. وفَجْأَةً وعِنْدَما سَمِعَ الجَميعُ صَرْخَةً قَوِيَّةً أَدْهَشَتِ الأَوْلادَ وجَعَلَتْ شَقيقَ المَلِكِ دون بِيدْرو يُمْسِكُ بِخَنْجَرِه، وَقَفَ الغَجَرُ وبَدَأُوا يَقْرَعونَ الطُّبولَ مُغَنّينَ أُغْنِيَةً غَرامِيَّةً وَحْشِيَّةً بِلُغَتِهِمُ الغَريبَةِ. ثُمَّ عادَ الغَجَرُ إِلى الأَرْضِ وهَدَأُوا كُلِّيًّا باسْتِثْناءِ عَزْفٍ باهِتٍ عَلى القانونِ كانَ الصَّوْتَ الوَحيدَ الَّذي بَدَّدَ الصَّمْتَ. ثُمَّ اخْتَفَوا، وعادوا جارّينَ مَعَهُم دُبًّا مَرْبوطًا بالسَّلاسِلِ وحامِلينَ عَلى أَكْتافِهِم بَعْضَ السَّعادينِ.

وَوَقَفَ الدُّبُّ عَلى رَأْسِهِ دونَ تَمايُلٍ وأَدَّتِ السَّعادينُ كُلَّ أَنْواعِ الأَلْعابِ البَهْلَوانِيَّةِ مَعَ صَبِيَّيْنِ مِنَ الغَجَرِ. والحَقيقَةُ كانَتْ أَنَّ أَداءَ الغَجَرِ كانَ نَجاحًا عَظيمًا لِلْحَفْلِ.

لَكِنَّ أَفْضَلَ ما في الحَفْلِ الصَّباحِيِّ كانَ دونَ شَكٍّ رَقْصَةَ القَزَمِ الّذي دَخَلَ ساحَةَ المُدَرَّجِ بِساقَيْهِ المَعْقوفَتَيْنِ ومُلَوِّحًا بِرأْسِهِ المُشَوَّهِ. فَدَخَلَ الأَطْفالُ في هَرَجٍ ومَرَجٍ وسَعادَةٍ حَتّى إنّ ابْنَةَ المَلِكِ نَفْسَها ضَحِكَتْ كَثيرًا إلى دَرَجَةِ أَنَّ أَحَدَ رِجالِ البَلاطِ ذَكَّرَها بِعَدَمِ وُجوبِ الإِفْراطِ بالضَّحِكِ أَمامَ مَنْ هُمْ أَدْنى مِنْها طَبَقَةً. رَغْمَ ذَلِكَ كانَ القَزَمُ مُدْهِشًا ومُضْحِكًا لِلغايَةِ حَتّى بِالمَقاييسِ الصّارِمَةِ لِلبَلاطِ الإسْبانِي. كانَ هَذا القَزَمُ قَدِ اكْتُشِفَ في اليَوْمِ السّابِقِ تائِهًا في الغابَةِ حَيْثُ كانَ أَحَدُ النُّبَلاءِ يَصْطادُ وجاءَ بِهِ إلى القَصْرِ لِيُفاجِئَ ابْنَةَ المَلِكِ. ورُبَّما كانَ أَكْثَرُ ما يُسَلّي في هَذا القَزَمِ عَدَمَ وَعْيِهِ كُلِّيًّا لِمَظْهَرِه الغَريبِ فبدا سَعيدًا ونَشيطًا، وكانَ عِنْدَما يَضْحَكُ الأَوْلادُ يَضْحَكُ هو مَعَهُم بِحُرِّيَّةٍ وفَرَحٍ. كانَ بَعْدَ كُلِّ حَرَكَةٍ يُؤَدّيها يَحْني رأْسَهُ لِلأَوْلادِ ويَبْتَسِمُ ويَهُزُّ رأْسَهُ كما لَوْ كانَ واحِدًا مِنْهُم ولَيْسَ مَخْلوقًا مشوّهًا يَسْتَحِقُّ السُّخْرِيَةَ.

أَدْهَشَتِ ابْنَةُ المَلِكِ القَزَمَ فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ إِبْعادِ عَيْنَيْهِ عَنْها وبَدا كَما لَوْ أَنَّهُ كانَ يُؤَدّي حَرَكاتِهِ لَها وَحْدَها. وفي خاتِمَةِ الأَداءِ نَزَعَتِ الأَميرةُ الوَرْدَةَ البَيْضاءَ مِنْ شَعْرِها ورَمَتْها لِلْقَزَمِ عَبْرَ ساحَةِ المدرّجِ مُبْتَسِمَةً لَهُ أَعْذَبَ ابْتِسامَةٍ. ولَقَدْ أَخَذَ القَزَمُ جِدًّا بِهَذِهِ الإِشارَةِ من ابْنَةِ المَلِكِ وَوَضَعَ الوَرْدَةَ على شَفَتَيْهِ الغَليظَتَيْنِ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلى قَلْبِهِ وَرَكَعَ أَمامَها بَعْدَ أَنْ بَرَقَتْ عَيْناهُ بالسُّرورِ والسَّعادة.

لَكِنَّ هَذِهِ الحَرَكَةَ الأَخيرَةَ مِنَ القَزَمِ أَزْعَجَتِ ابْنَةَ المَلِكِ رَغْمَ أَنَّها

كانَتْ قَدْ ضَحِكَتْ طَويلاً حَتّى بَعْدَ ابْتِعادِ القَزَمِ عَنْ ساحَةِ المُدَرَّجِ وعَبَّرَتْ عَنْ رَغْبَتِها في أَنْ يُعيدَ القَزَمُ أَداءَه. لَكِنَّ رَجُلَ البَلاطِ رأى أَنَّ الشَّمْسَ كانت حادَّةً كَثيرًا بِحَيْثُ قَرَّرَ أَنَّهُ رُبَّما يكون مِنَ الأَفْضَلِ لِسُمُوِّ ابْنَةِ المَلِكِ أَنْ تَعودَ إلى القَصْرِ دونَ تأْخيرٍ لأَنَّهُ تَمَّ تَحْضيرُ احْتِفالٍ مُدْهِشٍ لَها يَشْمَلُ الكاتو الخاصَّ بِعيدِ ميلادِها والمُزَيَّنَ بالأَحْرُفِ الأُوْلَى مِن اسْمِها. وهَكَذا قامَتِ الأَميرَةُ ابْنَةُ المَلِكِ بِكُلِّ إباءٍ بَعْدَ أَنْ أَعْطَتْ أَوامِرَها بِأَنْ يُؤَدِّيَ القَزَمُ حَرَكاتِهِ ثانِيَةً بَعْدَ فَتْرَةِ الاسْتِراحَةِ مِنَ الاحْتِفالِ وعادَتْ إلى جَناحِها في القَصْرِ.

وعِنْدَما سَمِعَ القَزَمُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ الرَّقْصُ ثانِيَةً أَمامَ ابْنَةِ المَلِكِ بِناءً عَلى أَوامِرِها شَعَرَ بالفَخْرِ وخَرَجَ إلى الحَديقَةِ لِيُقَبِّلَ الوَرْدَةَ البَيْضاءَ بِشُعُورٍ مِنَ النَّشْوَةِ وحَرَكاتٍ تُعَبِّرُ عَنْ سُرورِه وسَعادَتِه.

لَكِنَّ الأَزْهارَ في الحَديقَةِ غَضِبَتْ مِنْ تَجَرُّئِه عَلى اقْتِحامِ مَنْزِلِها الجَميلِ، وعِنْدَما رأَتْهُ يَتَنَزَّهُ حَوْلَها مُلَوِّحًا بِذِراعَيْهِ فَوْقَ رأْسِهِ بِطَريقَةٍ سَخيفَةٍ لَمْ تَتَمَكَّنْ تِلْكَ الأَزْهارُ مِنْ ضَبْطِ مَشاعِرِها. فَقالَتْ أَزْهارُ التّوليب: «إنَّهُ قَبيحٌ جِدًّا بِحَيْثُ يَجِبُ أَلاّ يسمحَ لَهُ بِاللَّعِبِ في حَديقَتِنا». وقالَتْ أَزْهارُ الزَّنْبَقِ غاضِبَةً: «يَجِبُ أَنْ يَشْرَبَ هَذا القَزَمُ العَصيرَ ويَخْلُدَ إلى النَّوْمِ أَلْفَ سَنَة».

وصَرَخَتْ نَبْتَةُ الصُّبّار: «إنَّهُ مُرْعِبٌ حَقًّا وجَسَدُهُ قَصيرٌ وبَدينٌ وَرأْسُهُ مُتَناسِقٌ كُلِّيًّا مَعَ ساقَيْه. إنَّهُ يُشْعِرُني حَقًّا بالحُكاكِ والحَرارَةِ، وإذا اقْتَرَبَ مِنّي فَسوْفَ أَلْسَعُهُ بِأَشْواكي».

وتَعَجَّبَتْ شَجَرَةُ الوُرودِ البَيْضاءِ قائِلَةً: «لَقَدْ حَصَلَ فِعْلاً عَلَى أَفْضَلِ وُرودِي الّتي أَعْطَيْتُها لابْنَةِ المَلِكِ هَذا الصَّباحَ بِنَفْسِي كَهَدِيَّةٍ لِعيدِ مِيلادِها وَلا بُدَّ أَنَّهُ سَرَقَها مِنها». وصاحَتِ الشَّجَرَةُ: «سارِقٌ، سارِقٌ، سارِقٌ».

وحَتَّى الخُبَيْزَةُ الّتي لا تُكْثِرُ مِنَ التَّعْبيرِ شَعَرَتْ بالاشْمِئْزازِ عِنْدَما رأَتِ القَزَمَ. ولاحَظَتْ أَزْهارُ البَنَفْسَجِ أَنَّ القَزَمَ عادِيٌّ لِلْغايَةِ وذلِكَ لِلإِنْصافِ والعَدْلِ. حَتَّى إنَّ بَعْضَ الأَزْهارِ شَعَرَتْ بِأَنَّ قُبْحَ القَزَمِ ظاهِرِيٌّ فَقَطْ وأَنَّهُ يُخْفِي مَشاعِرَ الحُزْنِ خَلْفَ سُلوكِهِ المَرِحِ وحَرَكاتِهِ السَّخيفَةِ.

أَمّا زَهْرَةُ دَوّارِ الشَّمْسِ فَقَدْ دُهِشَتْ لِمَظْهَرِ القَزَمِ الصَّغيرِ بِحَيْثُ تَوَقَّفَتْ عَنِ الدَّوَرانِ دَقيقَتَيْنِ كامِلَتَيْنِ لِتَقولَ لِلطّائِرِ الواقِفِ عَلَيْها إِنَّ أَبْناءَ المُلوكِ مُلوكٌ وأَبْناءَ الغابَةِ أَقْزامٌ وإِنَّهُ مِنَ السُّخْفِ تَجاهُلُ هَذِهِ الحَقيقَةِ. وقَدْ وافَقَ الطّائِرُ كُلِّيًا عَلَى هَذا القَوْلِ مُرَدِّدًا بِصَوْتٍ عالٍ: «هَذا صَحيحٌ بالتَّأْكيدِ». وسَمِعَتْهُ السَّمَكَةُ الّتي أَخْرَجَتْ رأْسَها من ماءِ البِرْكَةِ القَريبَةِ لِتَسْتَفْهِمَ عَمّا حَصَلَ.

لَكِنَّ الطُّيورَ أَحَبَّتِ القَزَمَ لأَنَّها غالِبًا ما كانَتْ تَراهُ في الغابَةِ يَرْقُصُ مِثْلَ الجِنِّيِّ الصَّغيرِ أَوْ جالِسًا في جَوْفِ سِنْدِيانَةٍ هَرِمَةٍ. ولَمْ تُبالِ الطُّيورُ بِقُبْحِ القَزَمِ حَتَّى إِنَّ طائِرَ العَنْدَليبِ نَفْسَهُ الّذي يُغَرِّدُ بِعُذوبَةٍ في بَساتينِ البُرْتُقالِ لَيْلاً لَمْ يَكُنْ هُوَ أَكْثَرَ جَمالاً مِنَ القَزَمِ. وكانَ القَزَمُ

نَفْسُهُ لَطيفًا مَعَ الطُّيورِ. وخِلالَ فَصْلِ الشِّتاءِ عِنْدَما لا تَكونُ الأَشْجارُ مُثْمِرَةً وحَيْثُ تَكادُ الذِّئابُ تَصِلُ إِلى أَبْوابِ المَدينَةِ طَلَبًا لِلطَّعامِ لَمْ يَنْسَ القَزَمُ أَصْدِقاءَهُ الطُّيورَ بَلْ كانَ دائِمًا يُعْطيها فُتاتَ الخُبْزِ ويُشارِكُها فَطورَهُ البائِسَ.

وهَكَذا كانَتِ الطُّيورُ تُحَلِّقُ حَوْلَ القَزَمِ وتُلامِسُ خَدَّيْهِ بِأَجْنِحَتِها ويُخاطِبُ بَعْضُها بَعْضًا. وكانَ القَزَمُ يُسَرُّ جِدًّا بِما تَفْعَلُهُ الطُّيورُ بِحَيْثُ كانَ يَرْفَعُ لَها وَرْدَتَهُ البَيْضاءَ لِتَراها ولِيُبْلِغَها أَنَّ الأَميرَةَ ابْنَةَ المَلِكِ نَفْسَها أَعْطَتْهُ هَذِهِ الوَرْدَةَ لأَنَّها تُحِبُّهُ.

لَكِنَّ الطُّيورَ لَمْ تَفْهَمْ كَلِمَةً مِمّا قالَهُ القَزَمُ بَلْ مالَتْ بِرُؤوسِها لِتُظْهِرَ أَنَّها فَهِمَتْ.

كَذَلِكَ أُعْجِبَتِ العَظاياتُ بالقَزَمِ بِحَيْثُ إِنَّهُ عِنْدَما كانَ يَتْعَبُ مِنَ الرَّكْضِ ويَسْتَريحُ عَلَى العُشْبِ كانَتْ تَلْعَبُ حَوْلَهُ مُحاوِلَةً تَسْلِيَتَهُ بِأَفْضَلِ ما يُمْكِنُها.

وكانَتِ العَظاياتُ تَقولُ: «لا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ كُلُّ الخَلْقِ جَميلاً، وهَذا ما يَجِبُ أَلاّ نَتَوَقَّعَه. والقَزَمُ لَيْسَ قَبيحًا إِلى هَذا الحَدِّ شَرْطَ أَلاّ يَنْظُرَ أَحَدٌ إِلَيْهِ». كانَتِ العَظاياتُ ذاتَ تَفْكيرٍ فَلْسَفِيٍّ، وغالِبًا ما كانَتْ تُفَكِّرُ ساعاتٍ وساعاتٍ عِنْدَما لا تَجِدُ ما يُمْكِنُ فِعْلُهُ أَوْ عِنْدَما يَكونُ الطَّقْسُ ماطِرًا يَمْنَعُها مِنَ الخُروجِ.

الأَزْهارُ انْزَعَجَتْ جِدًّا مِنْ سُلوكِ العَظاياتِ والطُّيورِ وقالَتْ: «هَذا

السُّلوكُ يُظْهِرُ نَوْعًا مِنَ السَّطْحِيَّةِ في التَّفْكيرِ، والأَذْكياءُ يَبْقَونَ دائِمًا في أَماكِنِهِم كَما نَفْعَلُ نَحْن. فَلَمْ يَسْبِقْ لأَحَدٍ أَنْ رَآنا نَطيرُ أَوْ نَتَجَوَّلُ عَلَى العُشْبِ خَلْفَ الذُّبابِ. وعِنْدَما نُريدُ تَغْييرَ هَوائِنا نُرْسِلُ طَلَبًا لِلجَنائِنِيِّ الَّذي يَحْمِلُنا إلى بُقْعَةٍ أُخْرى بِكُلِّ شُموخٍ وكَرامَة. لَكِنَّ الطُّيورَ والعَظاياتِ لا مَسْكَنَ لَها ولَيْسَ لِلطُّيورِ عُنْوانٌ دائِمٌ بَلْ هِيَ مِثْلُ الغَجَرِ ويَجِبُ مُعامَلَتُها هَكَذا».

وهَكَذا رَفَعَتِ الأَزْهارُ أُنوفَها في الهَواءِ لِتَبْدوَ مُتَشامِخَةً سَعيدةً لِنُهوضِ القَزَمِ عَنِ العُشْبِ وذَهابِهِ إلى القَصْرِ وقالَتْ: «حَقًّا يَجِبُ أَنْ يَبْقَى هَذا المَخْلوقُ بَيْنَ الجُدْرانِ بَقِيَّةَ حَياتِهِ، اُنْظُروا إلى ظَهْرِهِ المُقَوَّسِ وساقَيْهِ المَعْقوفَتَيْنِ!»

لَكِنَّ القَزَمَ الصَّغيرَ لَمْ يُدْرِكْ شَيْئًا مِمّا كانَ يَحْصُلُ حَوْلَهُ وكانَ يُحِبُّ الطُّيورَ والسَّقّاياتِ حُبًّا جَمًّا وكانَ يَظُنُّ أَنَّ الأَزْهارَ هِيَ أَرْوَعُ الأَشْياءِ في العالَمِ رُغْمَ أَنَّها لَيْسَتْ أَرْوَعَ مِنَ ابْنَةِ المَلِكِ الَّتي أَعْطَتْهُ الوَرْدَةَ البَيْضاءَ الجَميلَةَ وأَحَبَّتْه. كَمْ كانَ يَتَمَنّى الجُلوسَ قُرْبَها لِتَضَعَهُ عَلَى يَدِها وتَبْتَسِمَ لَهُ فَلا يَتْرُكُها أَبَدًا ويَجْعَلُها رَفيقَتَهُ ويُعَلِّمُها كُلَّ الأَلاعيبِ المُمْتِعَة. ورَغْمَ أَنَّ القَزَمَ لَمْ يَدْخُلْ مِنْ قَبْلُ إلى أَيِّ قَصْرٍ كانَ يَعْرِفُ الكَثيرَ مِنَ الأُمورِ العَجيبَةِ مِثْلَ صُنْعِ الأَقْفاصِ وتَشْذيبِ قُضْبانِ الخَيْزُرانِ وتَحْويلِها إلى مَزاميرَ. حَتَّى إِنَّهُ كانَ يَعْرِفُ أَصْواتَ كُلِّ الطُّيورِ بِحَيْثُ يَدْعُوها إِلَيْهِ، كانَ يَعْرِفُ مَسارَ كُلِّ حَيَوانٍ وآثارَ أَقْدامِه. وكانَ القَزَمُ أَيْضًا يَعْرِفُ كُلَّ رَقَصاتِ الرِّياحِ في فَصْلَي الخَريفِ والشِّتاءِ

ورَقَصاتِها عَبْرَ البَساتينِ في الرَّبيع. كانَ القَزَمُ يَعْرِفُ أَيْضًا أَيْنَ تَبْني طُيورُ الحَمامِ أَعْشاشَها. وفي أَحَدِ الأَيّامِ وبَعْدَ وُقوعِ حَمامَةٍ كَبيرَةٍ في شَرَكِ أَحَدِ الصَّيّادينَ حَمَلَ القَزَمُ فِراخَها الصِّغارَ بِنَفْسِهِ وبَنَى لَها بُرْجًا في إِحْدَى الأَشْجارِ وكانَ يُطْعِمُها بِيَدَيْهِ كُلَّ صَباح.

أَجَلْ سَتُحِبُّ الأَميرَةُ ابْنَةُ المَلِكِ رِفاقَهُ الحَيَواناتِ ويَجِبُ أَنْ تَأْتِيَ إلى الغابَةِ لِتَلْعَبَ مَعَهُ وسَيُعْطيها سَريرَهُ الصَّغيرَ ويُراقِبُها نائِمَةً حَتَّى الفَجْرِ لِكَيْ لا يُؤْذِيَها أَحَدٌ ولا تَتَسَلَّلَ الذِّئابُ إِلَيْها. وفي الفَجْرِ يوقِظُها ويَذْهَبانِ مَعًا لِلرَّقْصِ طَوالَ النَّهارِ حَتَّى لا تَشْعُرَ بِالوَحْشَةِ في الغابَة. وفي بَعْضِ الأَحْيانِ كانَ أَحَدُ الكَهَنَةِ يَمُرُّ بِحِمارِهِ الأَبْيَضِ في الغابَةِ وهُوَ يَقْرَأُ كِتابًا مُلَوَّنًا. وفي مَوْسِمِ القِطافِ كانَ أَصْحابُ الكَرْمَةِ يَأْتونَ إلى الغابَةِ، وكانَ الحَطّابونَ يَجْلِسونَ في اللَّيْلِ يُراقِبونَ قُضْبانَ الخَشَبِ تَحْتَرِقُ بِبُطْءٍ لِيُحَمِّصوا عَلَيْها الكَسْتَناء. وكانَ اللُّصوصُ يَخْرُجونَ مِنْ كُهوفِهِم لِيَتَسامَروا مَعَ الحَطّابين.

مِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّهُ توجَدُ أَشْياءُ كَثيرَةٌ تَسْتَحِقُّ النَّظَرَ في الغابَة، وعِنْدَما تَتْعَبُ الأَميرَةُ تَجْلِسُ عَلَى الطَّحالِبِ أَوْ يَحْمِلُها هُوَ بَيْنَ ذِراعَيْهِ لأَنَّهُ كانَ قَوِيًّا لِلْغايَةِ رُغْمَ قِصَرِ قامَتِه. وسَيَصْنَعُ لِلأَميرَةِ أَيْضًا عِقْدًا مِنْ حُبوبِ التّوتِ الحَمْراءِ تَرْميها مَتَى تَشاءُ لِيَصْنَعَ لَها عِقْدًا آخَر.

وقالَ القَزَمُ لِلوَرْدَةِ البَيْضاءِ: «ولَكِنْ أَيْنَ الأَميرَةُ الآن؟» ولَمْ تُجِبْهُ الوَرْدَةُ، بَلْ بَدا كَما لَوْ أَنَّ القَصْرَ كُلَّهُ قَدْ نامَ وأَنَّ السَّتائِرَ أُسْدِلَتْ. فَجالَ

القزمُ حوْلَ القصرِ باحثًا عنْ مكانٍ يَدْخُلُ منْهُ إليه حتّى وقعَ نظرُهُ على بابٍ صغيرٍ مفتوح. فانزلَقَ القزمُ عبرَ البابِ ليَجدَ نفسَهُ في قاعةٍ رائعةٍ أرْوَعَ من الغابةِ والّتي كانتْ أرْضُها كما رآها مَصنوعةً مِنَ الحجارةِ المُلوَّنةِ المُشكَّلةِ في أنماطٍ هَنْدسيّةٍ. لكِنَّ الأميرةَ الصّغيرةَ لمْ تكُنْ هُناك وكُلُّ ما وَجدَهُ القزمُ كانَ عِبارةً عنْ تماثيلَ بَيْضاءَ مُدْهِشةٍ تَنظُرُ إليْهِ مِنَ الأعْلى بعُيونٍ فارِغةٍ حَزينةٍ وشِفاهٍ غريبةٍ مُبْتسِمةٍ.

وفي آخِرِ القاعةِ تدلَّتْ سِتارةٌ مُخْمليّةٌ مُطرّزةٌ بأشْكالِ نُجومٍ وشُموس. فكّرَ القزمُ: رُبّما كانتِ الأميرةُ تَخْتبِئُ وراءَها.

وهكذا عَبرَ القزمُ القاعةَ وأزاحَ السّتارةَ فوَجدَ غُرْفةً أُخرى أجْملَ مِنَ القاعةِ حيْثُ اللّوْحاتُ القُماشيّةُ المُعلّقةُ على الجُدْرانِ تُمثّلُ رِحْلاتِ صيْد. كانَتْ هذهِ الغُرْفةُ خاصّةً بالمَلِكِ المَجْنونِ الّذي كانَ يَعشَقُ الصّيْد.

ونظرَ القزمُ حوْلَهُ بتعجُّبٍ وخشيَ مُتابعةَ الطّريق. فالخَيّالةُ الصّامتونَ في اللّوْحاتِ بَدَوْا بالنِّسبةِ إليْهِ كأشْباحٍ رَهيبةٍ سمِعَ عنْها في الغابةِ بأنّها لا تَصْطادُ إلاّ في اللّيْلِ وإذا واجهتْ رَجُلاً تُحوّلُهُ إلى أيّلٍ تُطارِدُه.

وعادَ القزمُ للتّفْكيرِ بالأميرةِ الصّغيرةِ وأرادَ أنْ يَجدَها وَحيدةً ليُبْلِغَها بأنّهُ يُحبُّها أيْضًا. رُبّما كانتْ في الغُرْفةِ التّاليةِ.

رَكضَ القزمُ وفتحَ بابَ الغُرْفةِ ولَمْ يَجِدِ الأميرةَ، بَلْ وَجدَ غُرْفةً

أُخرى جُدْرانُها مَكْسُوّةٌ بالجُلودِ القُرْطُبيّةِ ومُزيّنةٌ بالشّمْعداناتِ المُتدلّيةِ مِنَ السّقْفِ وتحْتَها مِظلّةٌ ذَهبيّةٌ مُزيّنةٌ بالفِضّةِ واللآلِىء. وقُرْبَ كُرْسيِّ الإمْبراطورِ كُرْسيٌّ خاصٌّ بابْنتِهِ الأميرةِ مُوسّدٌ بالقُماشِ الفِضّي.

أمّا على الجُدْرانِ المُواجِهةِ للكُرْسيِّ فعُلّقتْ صورةٌ لِلمَلِكِ شارْلِ الخامسِ بثيابِ الصّيْدِ وإلى جانِبِهِ كَلْبُ حِراسةٍ ضَخْم. وبيْنَ النّوافِذِ خِزانةٌ مَصنوعةٌ مِنْ خَشَبِ الأبَنوسِ الأسْودِ ملأى بأطْباقٍ عاجيّةٍ مَحْفورةٍ بأشْكالٍ مُخْتلِفةٍ.

لكِنَّ القزمَ الصّغيرَ لَمْ يَهتمّ لِكُلِّ هذهِ الرّوْعةِ وهُوَ لا يَسْتغْني عَنْ وَرْدَتِهِ البَيْضاءِ مُقابِلَ كُلِّ اللآلِىءِ أوْ حتّى مُقابلَ العَرْشِ ذاتِه. وكُلُّ ما كانَ يُريدُهُ هُوَ مُشاهَدةُ الأميرةِ الصّغيرةِ ليَطْلُبَ مِنها أنْ تَذْهبَ مَعهُ بَعيدًا بَعْدَ انْتِهاءِ الحَفْل. فهُوَ يَظُنُّ أنَّ الهواءَ في القَصْرِ ثَقيلٌ بَيْنما تَهُبُّ الرِّياحُ بحُرّيّةٍ في الغابةِ وتُحرِّكُ الشّمْسُ بأيْديها الذّهبيّةِ المُتجوّلةِ أوْراقَ الأشْجار. وفي الغابةِ أزْهارٌ أيْضًا رُبّما لا تكونُ مِثْلَ أزْهارِ حَديقةِ القَصْرِ لكِنَّ عِطْرَها أقْوى، فهُنالِكَ الزّنْبقُ البرّيُّ الّذي يَفيضُ باللّوْنِ الأُرْجوانيّ في الرّبيعِ وهُنالِكَ أزْهارُ الرّبيعِ الصّفْراءُ الّتي تُطوّقُ أشْجارَ السِّنْديان. بالطّبْعِ سوْفَ تأتي الأميرةُ الصّغيرةُ إلى الغابةِ إذا كلّمَها وعِنْدها سيَرْقُصُ طَوالَ النّهارِ لإسْعادِها. وابْتسمَ القزمُ ابْتِسامةً أضاءَتْ عَيْنَيْهِ وانْتقلَ إلى الغُرْفةِ التّاليةِ.

كانَتْ هذهِ الغُرْفةُ أجْملَ الغُرَفِ الّتي رآها وأكْثرَها إشْعاعًا حيْثُ

الجُدرانُ مُغطّاةٌ بالنَّسيجِ الدِّمَقسِيِّ المُزَيَّنِ بالأزهارِ والطُّيورِ المَنقوشَةِ بالفِضَّةِ. وَوَجَدَ أمامَ المَوْقِدِ سِتارَةً ضَخْمَةً مُطَرَّزَةً بِأشْكالِ طُيورِ البَبَغاءِ والطّاوُوسِ. وبَدا لِلْقَزَمِ كما لَوْ أنَّ أرضَ الغُرْفَةِ تَمتَدُّ بَعيدًا. ولَمْ يَكُنْ وَحْدَهُ في الغُرْفَةِ لأنَّهُ رأى شَكْلًا صَغيرًا واقِفًا تَحتَ ظِلِّ الطَّرَفِ الآخَرِ لِلغُرْفَةِ يُراقِبُه. فارْتَجَفَ قَلْبُ القَزَمِ وأطْلَقَ صَرْخَةَ فَرَحٍ وتَحَرَّكَ صَوْبَ الشَّمْسِ. وعِنْدَما فَعَلَ ذَلِكَ تَحَرَّكَ الشَّكْلُ أيْضًا بِحَيْثُ رَآهُ بِوُضوحٍ.

لَمْ تَكُنِ الأَميرَةُ الصَّغيرَةُ هِيَ الشَّكْلَ بَلْ كانَ وَحْشًا لَمْ يَسْبِقْ أنْ رأى مِثْلَهُ مِنْ قَبْل. لَمْ يَكُنْ شَكْلُهُ مُلائِمًا بَلْ كانَ مُقَوَّسَ الظَّهْرِ، مَعْقوفَ الأطْرافِ ضَخْمَ الرّأس. فَقَطَّبَ القَزَمُ حاجِبَيْه فَعَبَسَ الوَحْشُ أيْضًا. وضَحِكَ القَزَمُ وضَحِكَ الوَحْشُ مَعَهُ مُقَلِّدًا إيّاه. وتَوَجَّهَ القَزَمُ نَحْوَ الشَّكْلِ فَتَقَدَّمَ الشَّكْلُ إلَيْهِ لِمُقابَلَتِهِ مُقَلِّدًا كُلَّ خُطْوَةٍ من خُطُواتِه. فَرَكَضَ القَزَمُ ومَدَّ يَدَهُ فَلامَسَتْ يَدُ الوَحْشِ يَدَهُ، وكانَتْ بارِدَةً مِثْلَ الثَّلْج. فَخافَ القَزَمُ وأزاحَ يَدَهُ لكِنَّ يَدَ الوَحْشِ تَبِعَتْها.

وحاوَلَ القَزَمُ التَّقَدُّمَ لكِنَّ شَيْئًا ناعِمًا وقاسِيًا أوْقَفَه. فَلَقَدِ اقْتَرَبَ مِنْهُ وَجْهُ الوَحْشِ وبَدا مَليئًا بالرُّعْب. كانَ الوَحْشُ يُقَلِّدُهُ فَضَرَبَهُ القَزَمُ ورَدَّ الوَحْشُ الضَّرْبَةَ فَتَراجَعَ القَزَمُ وتَراجَعَ مَعَهُ الوَحْشُ.

وفَكَّرَ القَزَمُ: ما هَذا؟ ونَظَرَ حَوْلَهُ في بَقِيَّةِ أرْجاءِ الغُرْفَة. كانَ الأمْرُ غَريبًا فَكُلُّ شَيْءٍ في الغُرْفَةِ لَهُ مَثيلُهُ الآخَرُ في هَذا الجِدارِ المُكَوَّنِ مِن مِياهٍ غَيْرِ مَرْئِيَّة.

هَلْ هَذا نَوْعٌ من الصَّدَى؟ لَقَدْ سَبَقَ وصاحَ مَرَّةً في الوادِي وجاءَهُ الرَّدُّ بِكَلِماتٍ مُماثِلَة. هَلْ يُمكِنُ أنْ يَسْخَرَ الصَّدَى من العَيْنِ كما يَسْخَرُ مِنَ الصَّوْتِ؟ هَلْ يُمْكِنُ أنْ يَصْنَعَ عالَمًا رَديفًا مِثْلَ العالَمِ الحَقيقِي؟ هَلْ يُمكِنُ لِظِلالِ الأشْياءِ أنْ تَمْلِكَ اللَّوْنَ والحَياةَ والحَرَكَة!

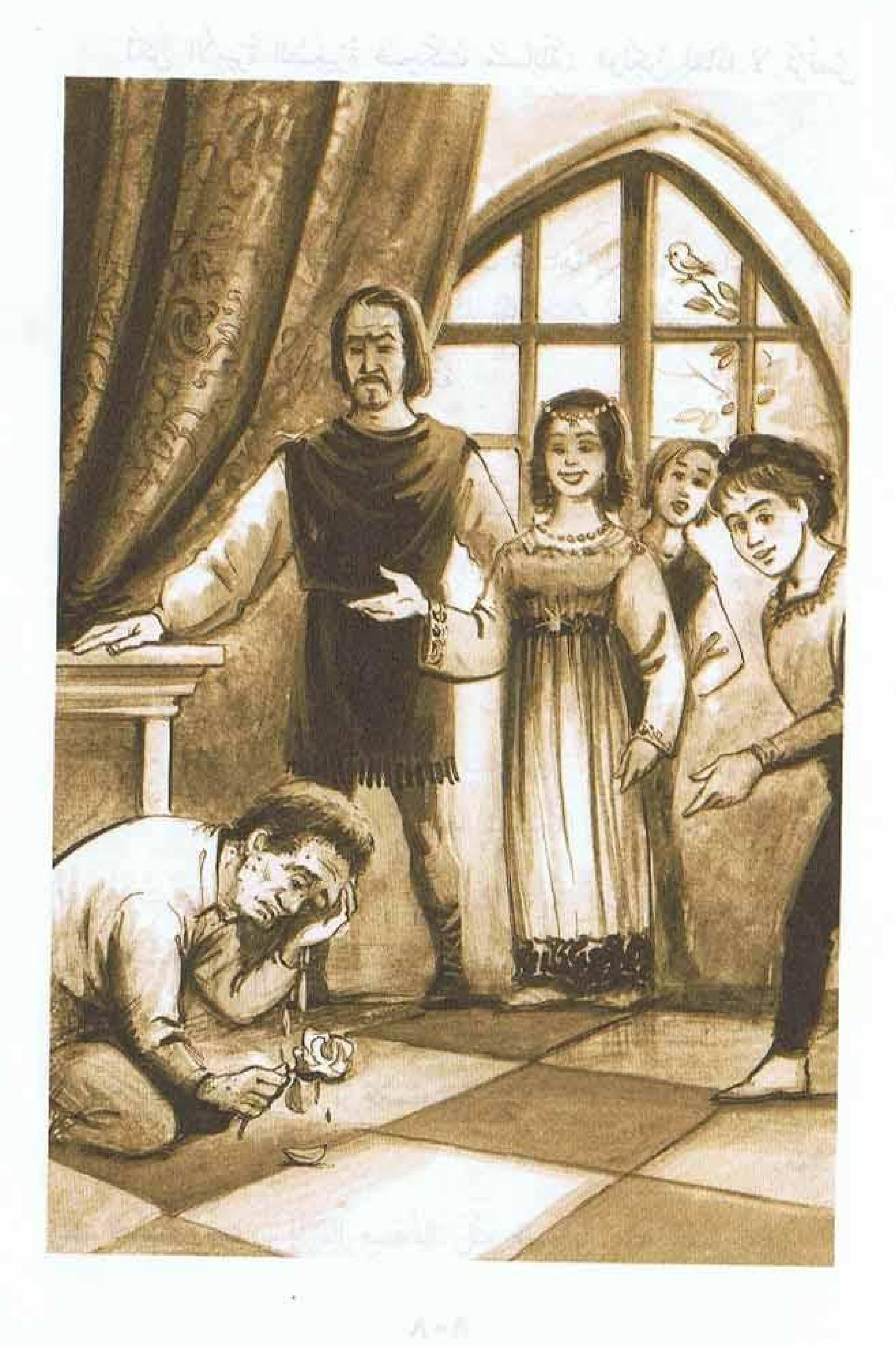
ورَفَعَ القَزَمُ الوَرْدَةَ البَيْضاءَ عَنْ صَدْرِهِ واسْتَدارَ وقَبَّلَها فَوَجَدَ مَعَ الوَحْشِ وَرْدَةً بَيْضاءَ مُماثِلَةً قَبَّلَها هُوَ الآخَرُ وضَغَطَها إلى قَلْبِه.

وعِنْدَما أدرَكَ القَزَمُ الحَقيقَةَ أطْلَقَ صَرْخَةَ يأسٍ وَحْشِيَّةً وسَقَطَ عَلَى الأرْض. فَما مِنْ أحَدٍ سِواه صاحِبُ الشَّكْلِ المُشَوَّه.

إنَّهُ هُوَ الوَحْشُ بِعَيْنِهِ والأطْفالُ كانوا يَهْزأونَ بِهِ والأَميرَةُ الصَّغيرَةُ الَّتي ظَنَّ أنَّها أحَبَّتْهُ كانَتْ تَسْخَرُ مِنْ قُبْحِهِ ومِنْ شَكْلِهِ المُشَوَّه.

لماذا لَمْ يَتْرُكوهُ في الغابَةِ حَيْثُ لا مِرْآةَ تُبْلِغُهُ بِمَدَى بَشاعَتِه؟ لماذا لَمْ يَقْتُلْهُ أبوهُ بَدَلًا مِنْ أنْ يَتْرُكَهُ لِلعار؟ وسَقَطَتْ دُموعُ القَزَمِ السّاخِنَةُ عَلَى خَدَّيْهِ فَمَزَّقَ الوَرْدَةَ البَيْضاء. وفَعَلَ الوَحْشُ الشَّيْءَ ذاتَهُ ونَثَرَ أوْراقَ الوَرْدَةِ في الهَواءِ فَسَقَطَتْ عَلَى الأرْضِ ونَظَرَ القَزَمُ إلَيْها فَوَجَدَها تُراقِبُهُ بِألَم. وانْسَلَّ القَزَمُ بَعيدًا لِكَيْ لا يَرى الوَرْدَةَ المُمَزَّقَةَ وغَطَّى عَيْنَيْهِ بِيَدَيْهِ وزَحَفَ الجَريحُ إلى الظِّلِّ وجَلَسَ يَئِنُّ.

وفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ جاءَتِ الأَميرَةُ الصَّغيرَةُ مَعَ رِفاقِها. وعِنْدَما رَأَوا القَزَمَ الصَّغيرَ عَلَى الأرْضِ يَضْرِبُها بِقَبَضاتِ يَدَيْه، صاحَ الجَميعُ صَيْحاتِ ضَحِكٍ وَوَقَفوا حَوْلَهُ يُراقِبونَه. وقالَتِ الأَميرَةُ الصَّغيرَةُ: «كانَ



رَقْصُهُ مُضْحِكًا لَكِنَّ سُلوكَهُ كانَ أَكْثَرَ إِضْحاكًا وهُوَ مِثْلُ الدُّمى رَغْمَ أَنَّهُ دُمْيَةٌ طَبيعِيَّةٌ».

ولَمْ يَنْظُرِ القَزَمُ إِلَيْها، وبَدَأَ أَنينُهُ يَضْعُفُ، ثُمَّ وَقَفَ وعادَ وسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ جامِدًا هادِئًا.

فَقالَتِ الأَميرَةُ الصَّغيرَةُ: «الآنَ يَجِبُ أَنْ تَرْقُصَ لي». وصاحَ الأَطْفالُ جَميعًا: «أَجَلْ يَجِب أَنْ تَنهَضَ وتَرْقُصَ لأَنَّكَ ذَكِيٌّ مِثْلَ القُرودِ رَغْمَ أَنَّكَ مُضْحِكٌ أَكْثَرَ مِنْها».

لَكِنَّ القَزَمَ لَمْ يَرُدّ.

فذَهَبَتِ الأَميرَةُ الصَّغيرَةُ إِلى عَمِّها الَّذي كانَ يَمْشي في الحَديقَةِ وقالَتْ لَهُ: «إِنَّ القَزَمَ الصَّغيرَ المُضْحِكَ عابِسٌ وجامِدٌ ولا بُدَّ أَنْ توقِظَهُ وتَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَرْقُصَ لي».

فابْتَسَمَ دون بيدْرو وصَفَعَ القَزَمَ عَلَى خَدِّهِ وقالَ لَهُ: «أَيُّها الوَحْشُ الصَّغيرُ يَجِبُ أَنْ تَرْقُصَ لأَنَّ أَميرَةَ إِسْبانيا تَرْغَبُ في التَّسْلِيَةِ».

لَكِنَّ القَزَمَ الصَّغيرَ لَمْ يَتَحَرَّكْ.

وقالَ دون بيدْرو: «لا بُدَّ مِنْ طَلَبِ الجلّادِ». لَكِنَّ أَحَدَ رِجالِ البَلاطِ انْحَنى بِجانِبِ القَزَمِ الصَّغيرِ ووَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَلْبِهِ. وعِنْدَها هَزَّ القَزَمُ كَتِفَيْهِ ونَهَضَ وأَحْنى رَأْسَهُ للأَميرَةِ الصَّغيرَةِ وقالَ:

«أَميرَتي الجَميلَة، لَنْ يَعُودَ قَزَمُكِ الصَّغيرُ إِلى الرَّقْصِ ثانِيَةً لأَنَّهُ بَشِعٌ لِلْغايَةِ بِحَيْثُ يَجْعَلُ المَلِكَ نَفْسَهُ يَبْتَسِم».

لَكِنَّ الأَمِيرَةَ الصَّغِيرَةَ ضَحِكَتْ مُتَسائِلَةً: «ولَكِنْ لِماذا لا تَرْقُصُ لِي ثانِيَةً؟»

فأَجابَها رَجُلُ البَلاط: «لأَنَّ قَلْبَهُ مُحطَّم».

فعَبَسَتِ الأَمِيرَةُ الصَّغِيرَةُ وتَجَعَّدَتْ شَفَتاها بازْدِراءٍ وصاحَتْ: «في المُسْتَقْبَلِ يَجِبُ أَلاّ يَكونَ للأَشْخاصِ الَّذينَ يَأتونَ للرَّقْصِ واللَّعِبِ أَيُّ قَلْب» ورَكَضَتِ الأَميرَةُ إلى الحَديقَة.

صَيّادُ السَّمَكِ وروحُه

في كُلِّ مَساءٍ كانَ صَيّادُ السَّمَكِ يَذْهَبُ إلى البَحْرِ لِيَرْمِيَ شِباكَهُ في الماء.

وعِنْدَما كانَتِ الرِّياحُ تَهُبُّ مِنَ اليابِسَةِ لَمْ يَكُنِ الصَّيّادُ يَصْطادُ أَيَّ شَيْءٍ لأَنَّ أَمْواجَ البَحْرِ كانَتْ تَضْطَرِبُ بِفِعْلِ هَذِهِ الرِّياح. ولَكِنْ وعِنْدَما كانَتْ تَهُبُّ الرِّياحُ مِنَ البَحْرِ باتِّجاهِ الشّاطِئِ كانَتِ الأَسْماكُ تَرْتَفِعُ مِنْ عُمْقِ البَحْرِ لِتَعومَ عَلَى شِباكِ الصَّيّادِ الَّذي يأْخُذُها إلى السُّوقِ ويَبيعُها.

وفي مَساءِ أَحَدِ الأَيّامِ كانَتْ شَبَكَةُ الصَّيّادِ ثَقِيلَةً بِحَيْثُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ سَحْبِها إلى قارِبِه. وضَحِكَ الصَّيّادُ وقالَ لِنَفْسِهِ: «حَتْمًا لَقَدْ نَجَحْتُ في اصْطِيادِ كُلِّ الأَسْماكِ العائِمَة».

فَدَفَعَ الصَّيّادُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ لِشَدِّ الحِبالِ الغَلِيظَةِ حَتَّى بَرَزَتْ عُروقُهُ الطَّويلَةُ في ذِراعَيْه، وهَكَذا نَجَحَ الصَّيّادُ أَخيرًا في رَفْعِ الشَّبَكَةِ إلى سَطْحِ الماء.

لَكِنَّ الشَّبَكَةَ لَمْ تَحْتَوِ عَلَى أَيِّ سَمَكَةٍ بَلْ عَلَى حُورِيَّةِ ماءٍ صَغِيرَةٍ نائِمَة.

كانَ شَعْرُ هَذِهِ الحُورِيَّةِ مِثْلَ الذَّهَبِ المُبَلَّلِ وكانَ جَسَدُها مِثْل

العاجِ الأَبيَضِ، أَمّا ذَنَبُها فكانَ مَصْنُوعًا مِنَ الفِضَّةِ واللآلِىءِ وكانَتْ طَحالِبُ البَحْرِ تُحيطُ بِها. أَمّا أُذُنا الحُورِيَّةِ فكانَتا مِثْلَ أَصْدافِ البَحْرِ وكانَتْ شَفَتاها مِثْلَ المَرْجانِ. وتَكَسَّرَتِ الأَمْواجُ البارِدَةُ عَلى ثَدْيَيْها البارِدَيْنِ وغَطَّى المِلْحُ جُفونَها.

كانَتِ الحُورِيَّةُ جَميلَةً لِلغايَةِ بِحَيْثُ إِنَّ صيّادَ السَّمَكِ عِنْدَما رَآها امْتَلأَ إِعْجابًا بِها وتَمَلَّكَهُ العَجَبُ. وشَدَّ الصَّيّادُ الشَّبَكَةَ نَحْوَهُ وانْحَنَى قَليلاً لِيُمْسِكَ بِذِراعَيِ الحُورِيَّةِ. وعِنْدَما لامَسَ الصَّيّادُ الحُورِيَّةَ أَطْلَقَتْ صَرْخَةً مِثْلَ زَعيقِ طائِرِ النَّوْرَسِ. واسْتَيْقَظَتِ الحُورِيَّةُ ونَظَرَتْ إِلى الصَّيّادِ بِخَوْفٍ ورُعْبٍ وحاوَلَتِ الهَرَبَ. لَكِنَّ الصَّيّادَ أَمْسَكَها بِقُوَّةٍ وشَدَّها إِلَيْهِ ولَمْ يَشَأْ أَنْ تَرْحَلَ عَنْهُ.

وعِنْدَما رَأَتِ الحُورِيَّةُ أَنَّهُ لا يُمْكِنُها الهَرَبُ مِنَ الصَّيّادِ بَدَأَتْ بِالبُكاءِ وقالَتْ: «أَرْجوكَ اتْرُكْني لأَنَّني ابْنَةٌ وَحيدَةٌ لِلمَلِكِ وأَبي مُسِنٌّ وَوَحيد».

لَكِنَّ الصَّيّادَ الشّابَّ أَجابَ: «لَنْ أَدَعَكِ تَذْهَبينَ إِلاّ إِذا وَعَدْتِني بِأَنَّهُ في كُلِّ مَرَّةٍ أُناديكِ تَأْتينَ وتُغَنّينَ لي لأَنَّ السَّمَكَ يُحِبُّ الاسْتِماعَ إِلى أَغاني مَخْلوقاتِ البَحْرِ، وبِهَذا تَمْتَلِىءُ شِباكي بِالسَّمَك».

فَصاحَتِ الحُورِيَّةُ: «هَلْ تَدَعُني أَذْهَبُ حَقًّا إِذا أَعْطَيْتُكَ هَذا الوَعْد؟»

فأَجابَ الصَّيّادُ: «أَجَلْ، سأَدَعُكِ تَذْهَبين».

وهَكَذا أَعْطَتِ الحُورِيَّةُ وَعْدَها لِلصَّيّادِ وأَقْسَمَتْ عَلى الوَعْدِ فأَرْخَى الصَّيّادُ ذِراعَيْهِ عَنْها وغاصَتْ في الماءِ وهِيَ تَرْتَجِفُ مِنَ الخَوْف.

وفي كُلِّ مَساءٍ كانَ الصَّيّادُ الشّابُّ يَذْهَبُ إِلى البَحْرِ ويُنادي الحُورِيَّةَ الَّتي تَقومُ مِنَ الماءِ وتُغَنّي لَهُ وتَدورُ فَوْقَها الطُّيورُ الوَحْشِيَّة.

وغَنَّتِ الحُورِيَّةُ أُغْنِيَةً رائِعَةً عَنْ مَخْلوقاتِ البَحْرِ الَّتي تَقودُ قُطْعانَها مِنْ كَهْفٍ إِلى آخَرَ حامِلَةً مَخْلوقاتِها الصَّغيرَةَ عَلى كَتِفَيْها. وغَنَّتِ الحُورِيَّةُ عَنْ آلِهَةِ البَحْرِ وذُقونِها الخَضْراءِ وعَنْ قَصْرِ مَلِكِ البَحْرِ المَليءِ بِاللآلِىءِ والزُّمُرُّدِ، وعَنْ حَدائِقِ البَحْرِ حَيْثُ المَرْجانُ يَموجُ في الماء.

وغَنَّتِ الحُورِيَّةُ عَنِ الحيتانِ الضَّخْمَةِ الَّتي تَنْزِلُ مِنَ البِحارِ الشَّمالِيَّةِ وعَنِ البَحّارَةِ ورَحّالَةِ البَحْرِ الَّذينَ يَمْتَطونَ السُّفُنَ ويَجوبونَ العالَمَ. وغَنَّتِ الحُورِيَّةُ أَيْضًا عَنْ حُورِيّاتِ البَحْرِ اللَّواتي يَسْكُنَّ الرَّغْوَةَ البَيْضاءَ في البَحْرِ ويَمْدُدْنَ أَذْرُعَهُنَّ لِلبَحّارَة.

ومَعْ غِناءِ الحُورِيَّةِ كانَتِ الأَسْماكُ تَرْتَفِعُ مِنْ قاعِ البَحْرِ لِتَسْتَمِعَ إِلى أَغانيها فَيَرْمي الصَّيّادُ شِباكَهُ حَوْلَها ويَصْطادُ الأُخْرَياتِ بِالرُّمْح. وعِنْدَما يَمْتَلِىءُ قارِبُ الصَّيّادِ بِالسَّمَكِ تَعودُ الحُورِيَّةُ إِلى البَحْرِ بَعْدَ أَنْ تَبْتَسِمَ لِلصَّيّاد.

ومَعَ ذَلِكَ لَمْ تَكُنِ الحُورِيَّةُ تَقْتَرِبُ مِنَ الصَّيّادِ حَتّى لا يُلامِسَها،

وكانَ هُوَ غالبًا ما يَدْعوها إلَيْهِ ويَرْجوها أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْه. لَكِنَّ الحُورِيَّةَ لَمْ تَفْعَلْ ذلِكَ.

وكانَ صَيّادُ السَّمَكِ حِينَ يَرغَبُ في الإمْساكِ بالحُورِيَّةِ تَغوصُ هِيَ في الماءِ ولا يَعودُ لِمُشاهَدَتِها في ذَلِكَ اليَوْم.

وكانَ صَوْتُ الحُورِيَّةِ يَزْدادُ عُذوبَةً كُلَّ يَوْمٍ بِحَيْثُ نَسِيَ صَيّادُ السَّمَكِ شِباكَهُ وجَشَعَهُ ولَمْ يَعُدْ يَهْتَمُّ بِمِهْنَتِهِ، وأَصْبَحَتِ الأَسْماكُ تَمُرُّ قُرْبَهُ دونَ أَنْ يأبَهَ لَها. وباتَ رُمْحُ الصَّيّادِ قُرْبَهُ دونَ اسْتِعْمالٍ وبَقِيَتْ سِلالُهُ فارِغَةً، وكانَ يَجْلِسُ عاطِلاً عَنِ العَمَلِ في قارِبِهِ للاسْتِماعِ إلى غِناءِ الحُورِيَّةِ ولا يَقومُ بأَيِّ عَمَلٍ حَتّى يَتَسَلَّلَ إلَيْهِ ضَبابُ البَحْرِ ويُلَوِّنَ القَمَرُ جَسَدَهُ باللَّوْنِ الفِضِّي.

وفي مَساءِ أَحَدِ الأَيّامِ نادَى صَيّادُ السَّمَكِ الحُورِيَّةَ وقالَ: «أَيَّتُها الحُورِيَّةُ الصَّغيرَةُ، أنا أُحِبُّكِ، خُذيني عَريسًا لَكِ لأَنَّني أُحِبُّكِ».

لَكِنَّ الحُورِيَّةَ كانَتْ تَهُزُّ رَأْسَها وتَقولُ: «أَنْتَ روحٌ بَشَرِيَّةٌ فإذا تَخَلَّيْتَ عَن روحِكَ عِنْدَها سأُحِبُّك».

وقالَ الصَّيّادُ لِنَفْسِهِ: «ما نَفْعُ روحِي لِي، فأنا لا يُمْكِنُني مُلامَسَتُها وَلا أَعْرِفُها ويُمْكِنُني إبْعادُها عَنّي وتُصْبِحُ السَّعادَةُ مِلْكي». وانْطَلَقَتْ صَرْخَةُ فَرَحٍ من شَفَتَيِ الصَّيّادِ فَوَقَفَ في قارِبِهِ ومَدَّ ذِراعَيْهِ لِلحُورِيَّةِ وَقالَ: «سَوْفَ أَتَخَلّى عَنْ روحِي وسَوْفَ تُصْبِحِينَ عَروسِي وأَنا عَرِيسُك، وسَوْفَ نَجولُ عُمْقَ البَحْرِ مَعًا وَتُظْهِرينَ لِي كُلَّ ما

تُحَدِّثينَني عَنْهُ في أَغانيك. وسَوْفَ أَفْعَلُ كُلَّ ما تَرْغَبينَ فيهِ ولَنْ نَنْفَصِلَ عَنْ بَعْضِنا مُطْلَقًا». وضَحِكَتِ الحُورِيَّةُ وأَخْفَتْ وَجْهَها بِيَدِها.

وصاحَ الصَّيّادُ: «ولَكِنْ كَيْفَ أَتَخَلّى عَنْ روحِي؟ قولِي لِي كَيْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ وَسأَفْعَلُه».

لَكِنَّ الحُورِيَّةَ قالَتْ: «واحَسْرَتاه! لا أَعْرِفُ كَيْفَ تَتَخَلّى أَنْتَ عَنْ روحِك». وعادَتِ الحُورِيَّةُ للغَوْصِ في عُمْقِ البَحْرِ ناظِرَةً إلَيْهِ بِحُزْنٍ وكآبَة.

وباكِرًا في الصَّباحِ التّالي وَقَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ فَوْقَ التِّلالِ ذَهَبَ الصَّيّادُ إلى مَنْزِلِ الكاهِنِ وطَرَقَ بابَهُ ثَلاثَ مَرّات.

ودَخَلَ الصَّيّادُ دارَ الكاهِنِ ورَكَعَ أَمامَهُ وقالَ لَهُ: «أَيُّها الكاهِنُ، أنا أُحِبُّ إحْدَى مَخْلوقاتِ البَحْرِ وروحِي تَمْنَعُني مِنْ تَحْقيقِ رَغْبَتِي. أَخْبِرْني كَيْفَ يُمْكِنُني التَّخَلُّصُ مِنْ روحِي لأَنَّني في الحَقيقَةِ لَسْتُ بِحاجَةٍ إلَيْها وَلا قِيمَةَ لَها بالنِّسْبَةِ لِي لأَنَّهُ لا يُمْكِنُني مُلامَسَتُها حَتّى إنَّني لا أَعْرِفُها».

وضَرَبَ الكاهِنُ صَدْرَهُ وأَجابَ: «أَنْتَ مَجْنونٌ حَقًّا أَوْ أَنَّكَ أَكَلْتَ بَعْضَ الأَعْشابِ السّامَّةِ لأَنَّ الرّوحَ هِيَ أَنْبَلُ ما في الإنْسانِ، وَقَدْ أَعْطانا إيّاها اللّهُ لِنَسْتَعْمِلَها أَيْضًا بِنُبْلٍ. وَلا يُوْجَدُ ما هُوَ أَثْمَنُ مِنَ الرّوحِ البَشَرِيَّةِ، وَلا يُمْكِنُ قِياسُ هَذِهِ الرّوحِ بأَيِّ شَيْءٍ مادِّيّ. هَذِهِ الرّوحُ تُساوي كُلَّ الذَّهَبِ في العالَمِ وَهِيَ أَثْمَنُ مِنْ كُلِّ جَواهِرِ المُلوك. لِهَذا

يا وَلَدِي لا تَعُدْ للتَّفْكِيرِ في هذا المَوْضوعِ لأَنَّهُ خَطِيئَةٌ لا تُغْتَفَر. أَمّا بالنِّسْبَةِ لمَخْلوقاتِ البَحْرِ فَهذِهِ مَخلوقاتٌ ضَائِعَةٌ وكُلُّ مَنْ يَمْشِي مَعَها ضائِعٌ أَيْضًا، وهِيَ مِثْلُ الوُحُوشِ لا تَعْرِفُ الخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ».

واغْرَوْرَقَتْ عَيْنا الصَّيّادِ بالدُّموعِ عِنْدَما سَمِعَ كَلِماتِ الكاهِنِ المَرِيرَةَ ونَهَضَ وقالَ لَهُ: «يا أَبَتِ، الجِنِّيّاتُ يَعِشْنَ في الغابَةِ وهنّ سعيدات، وتَجْلِسُ حُورِيّاتُ البَحْرِ عَلَى الصُّخورِ وهنّ سعيدات. لِذَلِكَ دَعْنِي أَكُنْ مِثْلَهُنّ لأن أيامهنّ مثلُ أَيّامِ الأَزْهار. وما هُوَ نَفْعُ روحِي لِي إذا وَقَفَتْ بَيْنِي وبَيْنَ مَنْ أُحِبّ؟»

فَصاحَ الكاهِنُ: «حُبُّ الجَسَدِ حَقِيرٌ والحَقارَةُ مُماثِلَةٌ للشَّيْطانِ، واللَّهُ يُرِيدُ مِنّا القضاء عليها. لَعْنَةُ الله عَلَى جِنِّيّاتِ الغاباتِ ومُغَنِّياتِ البَحْرِ، فَلَقَدْ سَمِعْتُها تُغَنِّي في اللَّيْلِ حَتَّى إنَّها سَعَتْ لِمَنْعِي مِنْ تَسْبِيحِ اللَّهِ وهِيَ تَطْرُقُ عَلَى نافِذَتِي وتَضْحَكُ وتَهْمِسُ في أُذُنِي قِصَصَ أَفْراحِها، وهِيَ تُغْوِينِي بإغْراءاتِها، وعِنْدَما أُصَلِّي تَرْفَعُ صَوْتَها لإلْهائِي. هَذِهِ المَخْلوقاتُ ضائِعَةٌ وَلا تُفَكِّرُ في الجَنَّةِ أَوِ النّارِ وهِيَ لا تَحْمَدُ رَبَّها».

وَرَدَّ صَيّادُ السَّمَكِ قائِلاً: «أَبَتاه، أَنْتَ لا تَفْقَهُ ما تَقول. فَفِي إحْدَى المَرّاتِ الْتَقَطْتُ في شِباكِي حُورِيَّةً هي ابْنَةُ مَلِكٍ، وهي أَجْمَلُ مِنْ نَجْمَةِ الصُّبْحِ وأَكْثَرُ بَياضًا مِنَ القَمَر. وأَنا أُعْطِي روحِي مُقابِلَ جَسَدِها وأَتَخَلَّى عَنِ الجَنَّةِ مُقابِلَ حُبِّها. افْعَلْ ما أَطْلُبُهُ مِنْكَ ودَعْنِي أَذْهَبُ في سَلام».

فَصاحَ الكاهِنُ: «اذْهَبْ فأَنْتَ ضائِعٌ، وسَوْفَ تَضِيعُ أَكْثَرَ مَعَ حُورِيَّةِ البَحْرِ». ولَمْ يُبارِكِ الكاهِنُ الصَّيّادَ بَلْ دَفَعَهُ بَعِيدًا.

وذَهَبَ صَيّادُ السَّمَكِ إلى السُّوقِ ومَشَى بِبُطْءٍ مُطْرِقًا بِحُزْن. وعِنْدَما رَآهُ التُّجّارُ قادِمًا بدأ بعضهم يُهامِسُ بَعْضًا، وجاءَ أَحَدُهُم لمُقابَلَةِ صَيّادِ السَّمَكِ وقالَ لَهُ: «ما لَدَيْكَ لِلْبَيْعِ؟»

فأَجابَ صَيّادُ السَّمَكِ: «أَبِيعُكَ روحِي. أَتَوَسَّلُ إلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَها لأَنَّنِي مُتْعَبٌ بِحَمْلِها وهِيَ لَيْسَتْ ذات فائِدَةٍ لي وَلا أَسْتَطِيعُ مُشاهَدَتَها أَوْ مُلامَسَتَها حتَّى إنَّنِي لا أَعْرِفُها».

لَكِنَّ التُّجّارَ سَخِروا مِنْهُ وقالوا: «ما هِيَ فائِدَةُ روحِكَ بالنِّسْبَةِ لَنا وهِيَ لا تَسْتَحِقُّ قِرْشَ فِضَّة. يُمْكِنُكَ بَيْعُ جَسَدِكَ لَنا كَعَبْدٍ وسَوْفَ نَجْعَلُكَ تابِعًا للمَلِكَة. لَكِنْ لا تَحْكِي عَنْ روحِكَ لأَنَّها لا شَيْءَ بالنِّسْبَةِ لَنا ولَيْسَتْ لَها أَيُّ قِيمَةٍ في خِدْمَتِنا».

وقالَ صَيّادُ السَّمَكِ لِنَفْسِهِ: «يا لغَرابَةِ الأَمْر. فالكاهِنُ يَقولُ إنَّ الرُّوحَ تَسْتَحِقُّ كُلَّ الذَّهَبِ في العالَمِ بَيْنَما يَقولُ التُّجّارُ إنَّها لا تُساوِي قِرْشَ فِضَّة».

ثُمَّ خَرَجَ صَيّادُ السَّمَكِ مِنَ السُّوقِ وذَهَبَ إلى الشّاطِئِ وبَدأَ يُفَكِّرُ فِيما يَجِبُ فِعْلُه.

وعِنْدَ الظُّهْرِ تَذَكَّرَ الصَّيّادُ كَيْفَ أَنَّ أَحَدَ رِفاقِهِ كانَ يَجْمَعُ النَّباتاتِ

البَحْرِيَّة، وأبلَغَهُ أنَّ ساحِرَةً شابَّةً تَعيشُ في كَهْفٍ عِنْدَ رأسِ الخَليج وأنَّها فائِقَةُ المَهارَةِ في السِّحْر. وحاوَلَ صَيّادُ السَّمَكِ الذَّهابَ إلى هَذِهِ السّاحِرَةِ مُتَحَمِّسًا للتَّخَلُّصِ من روحِهِ، وتَبِعَتْهُ سَحابَةٌ غُبارِيَّةٌ عِنْدَ رِمالِ الشّاطِىء. وعَرَفَتِ السّاحِرَةُ أنَّ صَيّادَ السَّمَكِ قادِمٌ إلَيْها فَضَحِكَتْ وأرْخَتْ شَعْرَها الأحْمَرَ وَوَقَفَتْ عِنْدَ بابِ الكَهْفِ حامِلَةً ثَمَرَةَ نَباتٍ سامٍّ بِيَدِها.

وصاحَتِ السّاحِرَةُ للصَّيّادِ الَّذي جاءَ وانْحَنى أمامَها: «ما وَراءَكَ أيُّها الصَّيّاد؟ يُمْكِنُكَ الصَّيْدُ بِشِباكِكَ عِنْدَما تَكونُ الرِّياحُ هادِئَةً، ولَدَيَّ مِزْمارٌ إذا نَفَخْتَ فِيهِ تأتي الأسْماكُ إلى هَذا الخَليج. لَكِنَّ لِهَذا المِزْمارِ ثَمَنًا. كَذَلِكَ أعْرِفُ زَهْرَةً تَنْمو في الوادِي وَلا أحَدَ يَعْرِفُها غَيْري، أوْراقُها أُرْجوانِيَّةٌ وَماؤُها مِثْلُ الحَليب. وإذا حَمَلْتَ هَذِهِ الزَّهْرَةَ ولامَسْتَ بِها شِفاهَ المَلِكَةِ تَتْبَعُكَ هَذِهِ المَلِكَةُ في كُلِّ أنْحاءِ العالَم. ولِهَذِهِ الزَّهْرَةِ سِحْرٌ أيْضًا. يُمْكِنُني أيْضًا قَتْلُ عَدُوِّكَ خِلالَ نَوْمِهِ، ويُمْكِنُني إزالَةُ القَمَرِ مِنَ السَّماء. حَتّى إنَّهُ يُمْكِنُني إظْهارُ المَوْتِ لَكَ في كُرَةٍ بلوريَّة. فَما وَراءَكَ أيُّها الصَّيّاد؟ أبْلِغْني رَغَباتِكَ وسَوْفَ أُحَقِّقُها لَكَ مُقابِلَ ثَمَنٍ تَدْفَعُهُ».

فَقالَ صَيّادُ السَّمَكِ: «رَغْبَتي ضَئِيلَةٌ ومَعَ ذَلِكَ رَفَضَها الكاهِنُ وأبْعَدَني، وسَخِرَ مِنّي التُّجّارُ ونَفَوني. لِهَذا جِئْتُ إلَيْكِ رُغْمَ أنَّ الرِّجالَ يَدْعونَكِ الشَّيْطانَ وأنا مُسْتَعِدٌّ لِدَفْعِ كُلِّ ما تَطْلُبينَه».

فاقْتَرَبَتْ مِنْهُ السّاحِرَةُ وقالَتْ: «ماذا تُريد؟» فأجابَ صَيّادُ السَّمَكِ:

«أرْغَبُ أنْ تأخُذي مِنّي روحِي». فَشَحَبَتِ السّاحِرَةُ وهَزَّتْ كَتِفَيْها وأطْرَقَتْ وقالَتْ: «أيُّها الصَّيّادُ الجَميلُ هَذا شَيْءٌ مِنَ المُرْعِبِ والمُريعِ فِعْلُه».

فَضَحِكَ صَيّادُ السَّمَكِ وقالَ: «روحِي غَيْرُ مُهِمَّةٍ بالنِّسْبَةِ لي حَتّى إنَّني لا أراها وَلا ألْمُسُها ولا أعْرِفُها».

فَسَألَتْهُ السّاحِرَةُ ناظِرَةً إلَيْهِ بعَيْنَيها الجَميلَتَين: «ماذا تُعْطِيني إذا جَعَلْتُكَ تَتَخَلَّصُ مِنْ روحِك؟»

فقالَ الصَّيّادُ: «أُعْطِيكِ خَمْسَ لِيراتٍ ذَهَبِيَّةٍ وشِباكي ومَنْزِلي الَّذي أعيشُ فِيهِ وزَوْرَقي، شَرْطَ أنْ تُعَلِّميني كَيْفَ أتَخَلَّصُ مِنْ روحِي».

فَضَحِكَتِ السّاحِرَةُ وقالَتْ لَهُ: «يُمْكِنُني تَحْويلُ أوْراقِ الخَريفِ إلى ذَهَبٍ وتَحْويلُ إشْعاعاتِ القَمَرِ إلى فِضَّةٍ وكُلُّ مَنْ أخْدِمُهُ يُصْبِحُ أغْنى مِنْ كُلِّ مُلوكِ العالَم».

فَصاحَ صَيّادُ السَّمَكِ: «ماذا أُعْطِيكِ إذَنْ إذا لَمْ يُعْجِبْكِ الذَّهَبُ أوِ الفِضَّة؟»

فَداعَبَتِ السّاحِرَةُ شَعْرَها وتَمْتَمَتْ مُبْتَسِمَةً: «يَجِبُ أنْ تَرْقُصَ مَعي أيُّها الصَّيّادُ الجَميل».

وصاحَ صَيّادُ السَّمَكِ: «فَقَطْ هَذا؟» وقامَ الصَّيّادُ عَلى قَدَمَيْه.

وَرَدَّتِ السّاحِرَةُ: «أجَلْ، هَذا فَقَط» وابْتَسَمَتْ لَهُ ثانِيَةً.

وقالَ صَيّادُ السَّمَكِ: «إذَنْ سَنَرْقُصُ مَعًا في مَكانٍ سِرِّيٍّ عِنْدَ الغُروبِ وبَعْدَ الرَّقْصِ تُبْلِغينَني ما أُريدُ مَعْرِفَتَه».

وهَزَّتِ السّاحِرَةُ رأسَها وتَمْتَمَتْ: «عِنْدَما يَكْتَمِلُ القَمَرُ ويُصْبِحُ بَدْرًا نَرْقُصُ مَعًا».

ثُمَّ أنْصَتَتِ السّاحِرَةُ لِطَيْرٍ قامَ يَصيحُ مِنْ عُشِّهِ وإلى صَوْتِ مَوْجِ البَحْرِ المُرْتَطِمِ بالرِّمالِ النّاعِمَةِ.

ومَدَّتِ السّاحِرَةُ يَدَها وشَدَّتِ الصَّيّادَ نَحْوَها وهَمَسَتْ في أُذُنِهِ: «اللَّيْلَةَ يَجِبُ أنْ تأْتِيَ مَعي إلى قِمَّةِ الجَبَلِ وسَيَكونُ هُناك».

فَنَظَرَ صَيّادُ السَّمَكِ إلَيْها وَقالَ: «مَنْ هُوَ الَّذي تَتَحَدَّثينَ عَنْه؟»

وأجابَتِ السّاحِرَةُ: «لا يَهُمّ. اذْهَبِ اللَّيْلَةَ وَقِفْ تَحْتَ أغْصانِ الشَّجَرِ وانْتَظِرْ مَجيئي. فإذا اقْتَرَبَ مِنكَ كَلْبٌ أَسْوَدُ فاضْرِبْهُ بالقَضيبِ وسَيَبْعُدُ عَنْكَ. وإذا تَحَدَّثَ البومُ إلَيْكَ فلا تُجِبْهُ. وعِنْدَما يَكْتَمِلُ القَمَرُ ويُصْبِحُ بَدْرًا سأكونُ مَعَكَ وسَوْفَ نَرْقُصُ عَلى العُشْبِ».

وسألَها صَيّادُ السَّمَكِ: «هَلْ تُقْسِمينَ بأنْ تَقولي لِي كَيْفَ أتَخَلَّصُ مِنْ روحِي؟»

فَخَرَجَتِ السّاحِرَةُ إلى الشَّمْسِ فَنَفَخَتِ الرّيحُ شَعْرَها، وأجابَتْ: «أجَلْ أُقْسِمُ لَك».

فَصاحَ الصَّيّادُ: «أنْتِ أفْضَلُ السّاحِراتِ، وسَوْفَ أرْقُصُ مَعَكِ حَتْمًا اللَّيْلَةَ عَلى قِمَّةِ الجَبَل».

ورَفَعَ الصَّيّادُ قُبَّعَتَهُ للسّاحِرَةِ وأحْنى رأسَهُ أمامَها وعادَ إلى البَلْدَةِ فَرِحًا.

وراقَبَتْهُ السّاحِرَةُ يَمْشي بَعيدًا، وعِنْدَما اخْتَفى عَنْ ناظِرَيْها دَخَلَتْ إلى كَهْفِها وأخْرَجَتْ مِرآةً وبَدَأَتْ بإحْراقِ البَخورِ أمامَها وبَدَأَتْ بالكَشْفِ عَبْرَ الدُّخان. وبَعْدَ وَقْتٍ قَليلٍ أطْبَقَتِ السّاحِرَةُ يَدَيْها بِغَضَبٍ وتَمْتَمَتْ: «هذا الصَّيّادُ يَجِبُ أنْ يَكونَ لِي فأنا أجْمَلُ مِنَ الحُورِيَّة».

وَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَعِنْدَما طَلَعَ القَمَرُ صَعِدَ صَيّادُ السَّمَكِ إلى قِمَّةِ الجَبَلِ وَوَقَفَ تَحْتَ أغْصانِ الشَّجَرِ ونَظَرَ إلى البَحْرِ تَحْتَهُ فَوَجَدَهُ مِثْلَ المَعْدِنِ المَصْقولِ ورأى أيْضًا ظِلالَ زَوارِقِ الصَّيْدِ تَتَحَرَّكُ في الخَليجِ الصَّغيرِ. وناداهُ باسْمِهِ بومٌ كَبيرٌ بِعَيْنَيْنِ صَفْراوَيْنِ، لكِنَّ الصَّيّادَ لَمْ يُجِبْ. ثُمَّ جاءَ كَلْبٌ أسْوَدُ نَحْوَهُ فَضَرَبَهُ الصَّيّادُ بِقَضيبٍ خَشَبِيٍّ وأبْعَدَه.

وفي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ جاءَتِ السّاحِراتُ طائِرَةً في الهَواءِ مِثْلَ الوَطاويطِ وصاحَتْ عِنْدَما حَطَّتْ عَلى الأرْضِ: «هُنا شَخْصٌ لا نَعْرِفُه». ثُمَّ جاءَتِ السّاحِرَةُ الشّابَّةُ بِشَعْرِها الأحْمَرِ ورِدائِها الذَّهَبِيِّ وقُبَّعَتِها المُخْمَلِيَّةِ الخَضْراء. وصاحَتِ السّاحِراتُ عِنْدَما رَأَيْنَها: «أيْنَ هُوَ، أيْنَ هُوَ؟» لكِنَّ السّاحِرَةَ الشّابَّةَ ضَحِكَتْ وذَهَبَتْ إلى الشَّجَرَةِ

وجَرَّتْ صَيّادَ السَّمَكِ من يَدِهِ إلى ضَوْءِ القَمرِ وبدأا الرَّقْص. ورَقَصَ الاثْنانِ مَعًا، وكانَتِ السّاحِرَةُ تَقفِزُ قَفْزًا.

لَكِنَّ الرّاقِصَيْنِ سَمِعا صَوْتَ حِصانٍ، وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ حِصانٌ، فَشعَرَ الصَّيّادُ بالخَوْف.

وصاحَتِ السّاحِرَةُ: «ارْقُصْ بِسُرْعَةٍ أَقْوى».

وطَوَّقَتِ السّاحِرَةُ عُنُقَ الصَّيّادِ بِذِراعَيْها بِحَيْثُ شَعَرَ بِوَجْهِها يَقْتَرِبُ مِنْ وَجْهِهِ وأَحَسَّ بأَنْفاسِها وَقالَتْ: «أَسْرِعَ وأَسْرِعَ وأَسْرِع». وبَدأَ الصَّيّادُ يَشْعُرُ بالدُّوارِ، واضْطَرَبَ عَقْلُهُ، وتَمَلَّكَهُ رُعْبٌ كَبيرٌ كَما لَوْ أَنَّ شَيْطانًا يُراقِبُهُ، وأَحَسَّ أخيرًا بأَنَّ جَسَدًا ما يَكْمُنُ تَحْتَ ظِلِّ الصَّخْرَة.

كانَ ذلِكَ الجَسَدُ رَجُلاً يَرْتَدي رِداءً مُخْمَلِيًّا أَسْوَدَ اللَّوْنِ إسْبانِيَّ الطِّرازِ، وَكانَ وَجْهُهُ شاحِبًا بِغَرابَةٍ لَكِنَّ شَفَتَيْهِ كانَتا مِثْلَ الوَرْدَةِ الحَمْراءِ الفَخورَة. بَدا الرَّجُلُ مُتْعَبًا وكانَ يُداعِبُ خِنْجَرَهُ وقَدْ وَضَعَ قُبَّعَتَهُ جانِبًا عَلَى العُشْبِ وكانَتْ يَداهُ مَحْشُوَّتَيْنِ بالخَواتِم.

وراقَبَ صَيّادُ السَّمَكِ الرَّجُلَ كَمَنْ يَخافُ اللَّعْنَةَ وفي النِّهايَةِ الْتَقَتْ عُيونُ الرَّجُلَيْنِ وحَيْثُما رَقَصَ الصَّيّادُ بَدا كَما لَوْ أَنَّ عَيْنَي الرَّجُلِ الآخَرِ تُراقِبانِه. وسَمِعَ السّاحِرَةَ تَضْحَكُ، فأَطْبَقَ عَلَى خَصْرِها وأَخَذَ يَدورُ بِها بِجُنون.

وفَجْأَةً خَرَجَ كَلْبٌ مِنَ الأَشْجارِ، وَتَوَقَّفَ الرّاقِصانِ، وركَعا، وقَبَّلا يَدَي الرَّجُلِ الَّذي ابْتَسَمَ بِفَخْرٍ واحْتِقارٍ وَظَلَّ مُحَدِّقًا بِصَيّادِ السَّمَك.

وهَمَسَتِ السّاحِرَةُ للصَّيّادِ: «تَعالَ دَعْنا نُمارِسِ العِبادَةَ»، وقادَتْهُ، فَحَلَّتْ في الصَّيّادِ رَغْبَةٌ قَوِيَّةٌ بالانْقِيادِ للسّاحِرَةِ وصاحَ: باسْمِ الله. وهُنا صَرَخَتِ السّاحِراتُ الأُخْرَياتُ مِثْلَ الصُّقورِ وابْتَعَدن.

وحاوَلَتِ السّاحِرَةُ الشّابَّةُ الابْتِعادَ أَيْضًا، لَكِنَّ صَيّادَ السَّمَكِ أَمْسَكَ بِمِعْصَمَيْها وشَدَّها بِقُوَّةٍ فَصاحَتِ السّاحِرَةُ: «اتْرُكْني فأَنْتَ تَفَوَّهْتَ باسْمِ الله».

وقالَ الصَّيّادُ: «كَلاّ لَنْ أَتْرُكَكِ حَتّى تُبْلِغيني ما يُمْكِنُني فِعْلُهُ للتَّخَلُّصِ مِنْ روحي».

واغْرَوْرَقَتْ عَيْنا السّاحِرَةِ بالدُّموعِ وقالَتْ للصَّيّادِ الشّابِّ: «اطْلُبْ مِنّي كُلَّ شَيْءٍ إلاّ هَذا»، فَضَحِكَ الصَّيّادُ وشَدَّها بِقُوَّةٍ نَحْوَه.

وعِنْدَما رأَتِ السّاحِرَةُ أَنَّهُ لَنْ يَتْرُكَها هَمَسَتْ لَهُ قائِلَةً: «أَنا أَجْمَلُ مِنْ حورِيَّةِ البَحْر». وقَرَّبَتِ السّاحِرَةُ وَجْهَها مِنْ وَجْهِ الصَّيّاد.

لَكِنَّ صَيّادَ السَّمَكِ دَفَعَ السّاحِرَةَ بَعيدًا عَنْهُ وقالَ لَها: «إذا لَمْ تُحافِظي عَلَى الوَعْدِ الَّذي أَقْسَمْتِ عَلَيْهِ فسأَقْتُلُكِ».

وشَحَبَتِ السّاحِرَةُ وهَزَّتْ كَتِفَيْها قائِلَةً: «اقْتُلْني إذَنْ»، وأَخْرَجَتْ خِنْجَرًا مِنْ وَسَطِها وأَعْطَتْهُ للصَّيّاد.



وصَمتَتِ السّاحِرَةُ قَليلاً ثُمَّ رَفعَتْ شَعْرَها عَنْ جَبينِها وابْتَسَمتْ بِغرابَةٍ وقالَتْ للصَّيّادِ: «ظِلُّ الجَسَدِ هُوَ وِعاءُ الرُّوحِ، ويُمْكِنُكَ الوُقوفُ عَلى شاطِئِ البَحْرِ بِحَيْثُ تُديرُ ظَهْرَكَ لِلْقَمَرِ وتَقْطَعُ ظِلَّكَ عَنْ جَسَدِكَ، وعِنْدَها تَنْفَصِلُ عَنْكَ روحُكَ». وارْتَجَفَ الصَّيّادُ الشّابُّ وَقالَ: «هَلْ هَذا صَحيحٌ حَقًّا؟» فَصاحَتِ السّاحِرَةُ: «صَحيحٌ حَقًّا، وكُنْتُ أَتَمَنّى أَلّا أُبْلِغَكَ بِهِ» ورَكَعَتِ السّاحِرَةُ عَلى قَدَمَي الصَّيّادِ الشّابِّ وَبَدأَتْ بالبُكاءِ.

لَكِنَّ الصَّيّادَ أَبْعَدَ السّاحِرَةَ عَنْهُ وتَرَكَها عَلى العُشْبِ وذَهَبَ إلى طَرَفِ الجَبَلِ وبَدأَ يَنْزِلُ إلى الشّاطِئِ.

وَهُنا نادَتْهُ روحُهُ قائِلَةً: «لَقَدْ بَقيتُ مَعَكَ وفي خِدْمَتِكَ كُلَّ هَذِهِ السِّنينَ، فَلا تُبْعِدْني عَنْكَ الآنَ، فَأَنا لَمْ أَفْعَلْ ما يَجْعَلُني أَسْتَحِقُّ ذَلِكَ».

وضَحِكَ الصَّيّادُ وقالَ: «لَمْ تَفْعَلي ما يَجْعَلُكِ تَسْتَحِقّينَ الابْتِعادَ عَنّي لَكِنَّني لَسْتُ بحاجَةٍ إِلَيْكِ. والعالَمُ واسِعٌ، وكَذَلِكَ السَّماءُ، ويُمْكِنُكِ الذَّهابُ أَيْنَما شِئْتِ دونَ إِزْعاجي لأَنَّ حُبّي يُناديني».

وتَوَسَّلَتْ روحُ الصَّيّادِ إِلَيْهِ أَلّا يُبْعِدَها عَنْهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَهْتَمَّ لَها بَلْ تابَعَ سَيْرَهُ مِثْلَ الماعِزِ الَّذي يَقْفِزُ عَلى العُشْبِ حَتّى وَصَلَ إلى الشّاطِئِ.

وَوَقَفَ صَيّادُ السَّمَكِ مِثْلَ التِّمْثالِ البرونزيِّ عَلَى الرِّمالِ مُديرًا ظَهْرَهُ لِلْقَمَرِ، وخَرَجَتْ مِنْ رَغْوَةِ البَحْرِ أَذْرُعٌ بَيْضاءُ مُرَحِّبَةً به. وكانَ ظِلُّ صَيّادِ السَّمَكِ وَراءَهُ، وكانَ هَذا الظِّلُّ وِعاءَ روحِهِ، كما قالَتِ السّاحِرَةُ، وخَلْفَهُ القَمَرُ المُعَلَّقُ في الهَواءِ.

وقالَتِ الرُّوحُ للصَّـيّادِ: «إذا لم يكن بُدٌّ من أَنْ تُبْعِدَني عَنْكَ فلا تُبْعِدْني دونَ قَلْبٍ لأَنَّ العالَمَ قاسٍ، لِذَلِكَ أَعْطِني قَلْبَكَ لآخُذَهُ مَعي».

وابْتَسَمَ الصَّـيّادُ وَقالَ: «كَيْفَ يُمْكِنُني أَنْ أُحِبَّ إِذا أَعْطَيْتُكِ قَلْبي؟»

فَقالَتِ الرُّوحُ: «كُنْ رَؤوفًا بِي وأَعْطِني قَلْبَكَ لأَنَّ العالَمَ قاسٍ وأَنا خائِفَةٌ».

وأَجابَ الصَّـيّادُ: «قَلْبِي هُوَ حُبّي لِذَلِكَ لا تَنْتَظِري وابْتَعِدي عَنّي».

لَكِنَّ روحَ الصَّـيّادِ قالَتْ لَهُ: «أَلا يَحِقُّ لِي الحُبُّ أَيْضًا؟»

فَصاحَ الصَّـيّادُ: «اذْهَبِي عَنّي فأَنا لَسْتُ بِحاجَةٍ لَكِ».

أَمْسَكَ الصَّـيّادُ خِنْجَرَهُ واقْتَطَعَ ظِلَّهُ عَنْ قَدَمَيْهِ فارْتَفَعَ الظِّـلُّ وَوَقَفَ أَمامَهُ مُحَدِّقًا بِهِ لأَنَّهُ كانَ مِثْلَهُ تَمامًا.

أَعادَ الصَّـيّادُ الخِنْجَرَ إلى وَسَطِهِ وشَعَرَ بالتَّعَبِ والحُزْنِ وقالَ: «اذْهَبِي بَعيدًا عَنّي وَلا تَدَعِيني أَرَى وَجْهَكِ بَعْدَ الآنَ».

لَكِنَّ الرُّوحَ قالَتْ: «كَلاّ فَلا بُدَّ أَنْ نَلْتَقِيَ ثانِيَةً» وكانَ صَوْتُها مُنْخَفِضًا وموسيقِيًّا.

وصاحَ الصَّـيّادُ الشّابُّ: «كَيْفَ نَلْتَقِي؟ هَلْ سَتَلْحَقِينَ بِي إِلى أَعْماقِ البَحْرِ؟»

وقالَتِ الرُّوحُ: «سَوْفَ آتي مَرَّةً كُلَّ سَنَةٍ إِلى هَذا المَكانِ وأُناديكَ فَقَدْ تكونُ بِحاجَةٍ إِلَيَّ».

لَكِنَّ الصَّـيّادَ صاحَ: «ما هِيَ حاجَتِي إِلَيْكِ؟»

وقَفَزَ الصَّـيّادُ إلى البَحْرِ، وقامَتْ حُورِيَّةُ البَحْرِ لِمُلاقاتِهِ، وطَوَّقَتْ عُنُقَهُ بِذِراعَيْها وقَبَّلَتْهُ عَلَى شَفَتَيْهِ.

وَوَقَفَتِ الرُّوحُ وَحيدَةً عَلَى الشّاطِئِ تُراقِبُهُما، وعِنْدَما غاصا في البَحْرِ بَدَأَتْ تَبْكِي.

وبَعْدَ مُرورِ سَنَةٍ جاءَتِ الرُّوحُ إلى الشّاطِئِ ونادَتِ الصَّـيّادَ الشّابَّ الَّذي قامَ مِنَ البَحْرِ وقالَ لَها: «ماذا تُريدينَ؟»

وأَجابَتِ الرُّوحُ: «اقْتَرِبْ مِنّي لأَتَكَلَّمَ مَعَكَ فَقَدْ شاهَدْتُ أَشْياءَ رائِعَةً».

فاقْتَرَبَ الصَّـيّادُ مِنْ سَطْحِ الماءِ وأَنْصَتَ لروحِهِ.

وقالَتِ الرُّوحُ: «عِنْدَما تَرَكْتُكَ تَوَجَّهْتُ في رِحْلَةٍ نَحْوَ الشَّرْقِ حَيْثُ الحِكْمَةُ، فَوَصَلْتُ إلى بِلادِ التَّتَرِ وجَلَسْتُ تَحْتَ شَجَرَةٍ لأَتَّقِيَ الشَّمْسَ، وكانَتِ الأَرْضُ جافَّةً كَثيرَةَ الحَرارَةِ. وعِنْدَما جاءَ الظُّهْرُ قامَتْ سَحابَةٌ مِنَ الغُبارِ الأَحْمَرِ وعِنْدَما رَآها التَّتَرُ ذَهَبوا لمُلاقاتِها.

«وعِنْدما طلَعَ القمَرُ شاهَدْتُ نارَ مُخَيَّمٍ في السَّهْلِ فَذَهَبْتُ في اتِّجاهِهِ حَيْثُ وَجَدْتُ مَجْموعَةً مِنَ التُّجارِ جالِسينَ حَوْلَ النّارِ. ومَعَ اقْترابي مِنْهُمْ نَهَضَ رَئيسُهُم وسَحَبَ سَيْفَهُ وسَألَني عَنْ غَرَضي. فأَجَبْتُ بأنَّني أَميرَةٌ في بِلادي وأَنَّني هَرَبْتُ مِنَ التَّتَرِ. فابْتَسَمَ الرَّئيسُ ثُمَّ سأَلَني: «مَنْ هُوَ رَسولُ الله؟» وأَجَبْتُ: «مُحَمَّد»، وعِنْدما سَمِعَ اسْمَ النَّبيِّ أَجْلَسَني بِجانِبِهِ وقَدَّمَ لِيَ الطَّعام.

«في الفَجْرِ بَدَأْنا رِحْلَتَنا فَرَكِبْتُ جَمَلاً أَحْمَرَ الشَّعْرِ بِجانِبِ الرَّئيسِ ومَشى أمامَنا خَيّالٌ مُزَوَّدٌ بِرُمْحٍ ورافَقَنا المُحارِبونَ لِحِراسَةِ البَضائِعِ حَيْثُ زادَتِ القافِلَةُ عَنْ أَرْبَعينَ جَمَلاً وثَمانينَ حِمارًا.

«وانْتَقَلْنا مِنْ بِلادِ التَّتَرِ إلى بِلادِ الشُّعوبِ الّتي تَلْعَنُ القَمَرَ وشاهَدْنا الأُسودَ الخُرافِيَّةَ عَلى الصُّخورِ تَحْرُسُ ذَهَبَها، وشاهَدْنا التِّنّينَ نائِمًا في كَهْفِهِ. ومَعَ مُرورِنا فَوْقَ الجِبالِ حَبَسْنا أَنْفاسَنا خَوْفًا مِنْ سُقوطِ الثَّلْجِ وحَجَبَ الرِّجالُ وُجوهَهُم. ثُمَّ نَزَلْنا إلى الوادي فَوُجِّهَتْ إلَيْنا السِّهامُ مِنْ عُمْقِ الأَشْجارِ وفي اللَّيْلِ سَمِعْنا طَرْقَ الطُّبول. وعِنْدما وَصَلْنا إلى بُرْجِ القُرودِ أَعْطَيْناها ثِمارًا فَلَمْ تُؤْذِنا، وعِنْدما وَصَلْنا إلى بُرْجِ الأَفاعي أَعْطَيْناها الحَليبَ الدّافِئَ فَسَمَحَتْ لَنا بالمُرور. وقَطَعْنا نَهْرَ الأُوكْسُس عَلى جُذوعِ الأَشْجارِ وسارَتِ الخُيولُ أَمامَنا في النَّهْرِ لَكِنَّ الجِمالَ خافَتْ مِنَ المِياه.

«وفَرَضَ المُلوكُ الضَّرائِبَ عَلى مُرورِنا ولَمْ يَسْمَحوا لَنا بِدُخولِ

مَمالِكِهِم بَلْ كانوا يَرْمونَ الطَّعامَ إلَيْنا مِنْ عَلى جُدْرانِ المُدُنِ وكُنّا نُعْطيهِم أَحْجارَ السُّبحاتِ مُقابِلَ الطَّعام.

«وعِنْدما رَآنا سُكّانُ القُرى قادِمينَ سَمَّموا آبارَ المِياهِ وهَرَبوا إلى قِمَمِ التِّلال. ودَخَلْنا الحَرْبَ مَعَ الجَميع: مِنْهُم الَّذينَ يُولَدونَ مُسِنّينَ ويَصْغُرونَ سِنًّا مَعَ الزَّمَنِ ويَموتونَ أَطْفالاً، وحارَبْنا الَّذينَ يَدَّعونَ أَنَّهُم أَبْناءُ النُّمورِ ويَطْلونَ أَجْسادَهُم بالأَلْوانِ، وحارَبْنا الَّذينَ يَدْفِنونَ مَوْتاهُمْ فَوْقَ الأَشْجارِ والَّذينَ يَعْبُدونَ التِّمْساحَ وغَيْرَهُم مِنَ الشُّعوبِ الغَريبَة. وماتَ الكَثيرُ مِنْ قافِلَتِنا بَعْضُهُم قَتْلاً وبَعْضُهُم جوعًا، وبَدَأَ البَقِيَّةُ يَهْمُسونَ ضِدّي وبأَنَّني نَذيرُ شُؤْمٍ لَهُم وخافوا مِنّي.

«وفي الشَّهْرِ الرّابِع وَصَلْنا إلى مَدينَةِ إيلل وكانَ الوَقْتُ مَساءً عِنْدَما دَخَلْنا بُسْتانًا خارِجَ جُدْرانِ المَدينَة. وكانَ القَمَرُ في بُرْجِ العَقْرَبِ فأَكَلْنا الثِّمارَ مِنَ الأَشْجارِ ثُمَّ جَلَسْنا نَسْتَريحُ عَلى الحُصُرِ مُنْتَظِرينَ الفَجْرَ. وفي الفَجْرِ نَهَضْنا وضَرَبْنا بابَ المَدينَةِ البُرونْزِيَّ وسَأَلَنا الحُرّاسُ عَنْ مُرادِنا فأَجابَهُم مُتَرْجِمُ القافِلَةِ بأنَّنا قادِمونَ من بِلادِ الشّام مَعَ الكَثيرِ مِنَ البَضائِع. وأَخَذوا رَهائِنَ مِنْ قافِلَتِنا وطَلَبوا مِنّا الانْتِظارَ بَعْضَ الوَقْت.

«وعِنْدَما جاءَ الظُّهْرُ فُتِحَ البابُ لَنا، ومَعَ دُخولِنا خَرَجَ النّاسُ مِنْ بُيوتِهِم لِيَنْظُروا إلَيْنا ووَقَفْنا في سوقِ المَدينَةِ وأَخْرَجْنا القُماشَ وسائِرَ بِضاعَتِنا وبَدَأَتِ المُساوَمَةُ فَجاءَتِ النِّساءُ يُراقِبْنَنا.

«وجُلْتُ في شَوارِعِ المَدينَةِ حَتّى وَصَلْتُ إلى الحَديقَةِ المُسمّاةِ حديقَةُ الإلَهِ حَيْثُ يَمْشي الكَهَنَةُ بِصَمتٍ بَيْنَ الأشْجارِ وحَيْثُ بَيْتُ الإلهِ مَبنيٌّ مِنَ الرُّخامِ الأَسْوَدِ وبابُهُ ذَهَبِي. أَمّا سَقْفُ البَيْتِ فَكانَ مِنَ الفَخّارِ الصِّينيِّ، وكانَتْ طُيورُ الحَمامِ تَطيرُ فَوْقَه.

«وأمامَ المَعْبَدِ كانَتْ بِرْكَةٌ مِنَ المِياهِ الصّافِيَةِ مَرْصوفَةٌ بالحِجارَةِ المُلوَّنَةِ فَجَلَسْتُ بِجانِبِها ولامَسْتُ المِياهَ بأَصابِعي. وجاءَ أَحَدُ الكَهَنَةِ وَوَقَفَ خَلْفي وَسَأَلَني عَنْ رَغَباتي وأَبْلَغْتُهُ بِرَغْبَتي بِمُشاهَدَةِ الإله. فَقالَ الكاهِنُ: «الإلَهِ بَعيدٌ مِنْ هُنا» فَسأَلْتُهُ: «كَيْفَ أَذْهَبُ إِلَيْهِ؟» لَكِنَّهُ تَمْتَمَ قائِلاً: «الإِلَهِ لَيْسَ هُنا الآن». وتَعَجَّبَ الكاهِنُ من إلحاحي عَلَى مُقابَلَةِ الإلهِ فأَخَذَني بِيَدي وقادَني إلى داخِلِ المَعْبَدِ فَرَأَيْتُ صَنَمًا حَجَرِيًّا جالِسًا ومُزَيَّنًا باللآلِىءِ. فَقُلْتُ للكاهِنِ: «هَلْ هَذا هُوَ الإِلَهُ عِنْدَكُم؟» فأَجابَني: «أَجَلْ إنَّهُ هو». لَكِنَّني صِحْتُ بِأَنَّ هَذا لَيْسَ بِالإِلَهِ وأُريدُ رُؤْيَتَهُ حَقًّا. فأخَذَني الكاهِنُ إلى صَنَمٍ آخَرَ أَكْبَرَ مِنَ الصَّنَمِ الأَوَّلِ مَصْنوعٍ مِنَ العاجِ ومُزَيَّنٍ بالزُّمُرُّدِ وقُلْتُ للكاهِنِ: «هَلْ هَذا هُوَ الإِلَهُ؟» فأجابَني: «نَعم». لَكِنَّني غَضِبْتُ وأَصْرَرْتُ عَلَى مُشاهَدَةِ الإِلَهِ، فأخَذَني الكاهِنُ إلى غُرْفَةٍ ثالِثَةٍ لا أَصْنامَ فيها بَلْ مِرْآةٌ سَمّاها مِرْآةَ الحِكْمَةِ الَّتي تَعْكِسُ كُلَّ الأَشْياءِ المَوْجودَةِ في الجَنَّةِ والأَرْضِ إِلاَّ وَجْهَ الشَّخْصِ الَّذي يَنْظُرُ فيها فلا تَعْكِسُهُ حَتّى يَبْقى حَكيمًا. وقالَ الكاهِنُ: «إِنَّهُم يَعْبُدونَ هَذِهِ المِرْآةَ وهِيَ الإِلَهُ بالنِّسْبَةِ لَهُم».

«وهَكَذا أَخَذْتُ مِرْآةَ الحِكْمَةِ، وهِيَ الآنَ بِمُتَناوَلي. لِذَلِكَ دَعْني

أَدْخُلْ إلى جَسَدِكَ ثانِيَةً لأَكونَ خادِمَتَكَ وسَوْفَ تُصْبِحُ أَكْثَرَ حِكْمَةً مِنْ كُلِّ الحُكَماءِ».

لَكِنَّ صَيّادَ السَّمَكِ ضَحِكَ وقالَ: «الحُبُّ أَفْضَلُ مِنَ الحِكْمَةِ والحُورِيَّةُ الصَّغيرَةُ تُحِبُّني». فَقالَتِ الرُّوحُ: «كَلاّ، لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الحِكْمَةِ». وأَجابَ صَيّادُ السَّمَكِ: «الحُبُّ أَفْضَل»، وغاصَ عَميقًا في الماءِ وذَهَبَتْ روحُهُ باكِيَةً.

وبَعْدَ انْتِهاءِ السَّنَةِ الثّانِيَةِ جاءَتْ روحُ الصَّيّادِ إلى شاطِىءِ البَحْرِ ونادَتِ الصَّيّادَ الَّذي قامَ مِنَ الماءِ وقالَ: «لِماذا تُنادينَني؟»

فأَجابَتِ الرُّوحُ: «اقْتَرِبْ مِنّي حَتّى أَتَحَدَّثَ إِلَيْكَ لأَنَّني رَأَيْتُ أَشْياءَ رائِعَةً ومُدْهِشَةً»

وهَكَذا اقْتَرَبَ الصَّيّادُ مِنْ روحِهِ واسْتَمَعَ إِلَيْها وقالَتْ لَهُ الرُّوحُ: «عِنْدَما تَرَكْتُكَ تَوَجَّهْتُ جَنوبًا حَيْثُ كُلُّ شَيْءٍ ثَمينٌ وأَمْضَيْتُ سِتَّةَ أَيّامٍ في رِحْلَةٍ والْتَقَيْتُ الحُجّاجَ عَلَى الطَّريقِ. وفي صَباحِ اليَوْمِ السّابِعِ وَجَدْتُ المَدينَةَ أَدْنى مِنّي لأَنَّها تَقَعُ في وادٍ.

«وعِنْدَما هَمَمْتُ بالدُّخولِ إلى المَدينَةِ أَوْقَفَني الحُرّاسُ وسأَلوني عَنْ هُوِيَّتي وأَجَبْتُ بأَنَّني أَحَدُ الدَّراويشِ وأَنَّني في الطَّريقِ إلى مَكَّةَ حَيْثُ الكَعْبَةُ والقُرْآنُ المُزَخْرَفُ عَلَى الجُدْران، فَتَعَجَّبوا وسَمَحوا لي بالدُّخول.

«دَخَلْتُ سوقَ المَدينَةِ حَيْثُ الشَّوارِعُ ضَيِّقَةٌ وحَيْثُ تُباعُ العُطورُ

والبَخورُ وحَيْثُ المَقاهي وأَصْواتُ الغِناءِ ومُدَخِّنو النّارْجيلَة يَنْظُرونَ بِبَسْمَةٍ بَيْضاءَ إلى المارَّةِ.

«والحَقيقَةُ أَنَّهُ كانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَكونَ مَعي حَيْثُ تُباعُ كُلُّ أَنْواعِ الفَواكِهِ والثِّمارِ مِثْلِ التّينِ والبِطّيخِ والعِنَبِ والحَمْضِيّاتِ والتُّفّاحِ حَتّى إِنَّني شاهَدْتُ فيلاً يَمُرُّ في السّوقِ. كَمْ هُمْ غَريبونَ هَؤُلاءِ النّاسُ لأَنَّهُمْ عِنْدَما يَكونونَ سُعَداءَ يَبْتاعونَ طَيْرًا في قَفَصٍ ثُمَّ يُطْلِقونَهُ حُرًّا.

«كانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَكونَ مَعي، فَفي عيدِ القَمَرِ الجَديدِ يَأْتي الخَليفَةُ الشّابُّ مِنْ قَصْرِهِ لِلصَّلاةِ في الجامِعِ ويَبْقى هُناكَ حَتّى طُلوعِ الشَّمْسِ ثُمَّ يَذْهَبُ إلى قَصْرِهِ ويَعودُ إلى الجامِعِ مَعَ غُروبِ الشَّمْسِ. وَوَقَفْتُ أَنا قُرْبَ بائِعِ التَّمْرِ. وعِنْدَما رَآني الخَليفَةُ رَفَعَ حاجِبَيْهِ وتَوَقَّفَ فَجَمَدْتُ ولَمْ أُقَدِّمْ لَهُ الطّاعَةَ، فَتَعَجَّبَ النّاسُ مِنْ جُرْأَتي ونَصَحوني بالهَرَبِ مِنَ المَدينَةِ، لَكِنَّني لَمْ أَهْتَمَّ لَهُمْ بَلْ ذَهَبْتُ لِلْجُلوسِ مَعَ بائِعِ التَّمْرِ ثُمَّ، وفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، ذَهَبْتُ إلى أحد المَقاهي فَجاءَ حُرّاسُ الخَليفَةِ وقادوني إلى القَصْرِ. ومَعَ دُخولي إلى القَصْرِ أَقْفَلوا الأَبْوابَ خَلْفي وأَوْصَدوها بالسَّلاسِلِ وَوَجَدْتُ في الدّاخِلِ باحَةً مُقَنْطَرَةً جُدْرانُها مَصْنوعَةٌ مِنَ المَرْمَرِ الأَبْيَضِ المُزَيَّنِ بِأَحْجارٍ زَرْقاءَ وخَضْراءَ. أَمّا الأَعْمِدَةُ المُقَنْطَرَةُ فَمَصْنوعَةٌ مِنَ الرُّخامِ الأَخْضَرِ.

«ومَعَ مُروري عَبْرَ الباحَةِ المُقَنْطَرَةِ رَأَيْتُ امْرَأَتَيْنِ مُتَحَجِّبَتَيْنِ تَنْظُرانِ إِلَيَّ مِنْ شُرْفَةٍ مُشَرَّبِيَّةٍ وسَمِعْتُ لَعَناتِهِنَّ لي. فَأَسْرَعَ الحُرّاسُ

بي وفَتَحوا بابًا عاجِيًّا فَوَجَدْتُ نَفْسي في حَديقَةٍ مَزْروعَةٍ بالأَزْهارِ وفي وَسَطِها نافورَةُ ماءٍ وحَوْلَها الأَشْجارُ الّتي يُغَرِّدُ فيها طائِرُ العَنْدَليب.

ثُمَّ أَشارَ قائِدُ الحَرَسِ إِلَيَّ بالتَّوَجُّهِ إلى مَدْخَلِ مَقْصورَةٍ في الحَديقَةِ فَمَشَيْتُ ودَخَلْتُ وهُناكَ كانَ الخَليفَةُ مُمَدَّدًا عَلى أَريكَةٍ مَصْنوعَةٍ مِنْ جُلودِ الأُسودِ حامِلاً أَحَدَ الصُّقورِ عَلى مِعْصَمِهِ وخَلْفَهُ وَقَفَ نوبِيٌّ عارٍ حَتّى الخَصْرِ والحَلَقاتُ في أُذُنَيْهِ.

«وعِنْدَما رَآني الخَليفَةُ عَبَسَ وتَجَهَّمَ وَقالَ لي: «ما اسْمُكِ؟ أَلا تَعْرِفينَ أَنّي حاكِمُ هَذِهِ المَدينَةِ؟» لَكِنَّني لَمْ أُجِبْ فَأَشارَ الخَليفَةُ لِلنّوبِيِّ بِإِصْبَعِهِ إلى سَيْفٍ أَمْسَكَهُ النّوبِيُّ وضَرَبَني بِهِ بِقُوَّةٍ. لَكِنَّ السَّيْفَ مَرَّ عَبْري دونَ أَنْ يُؤْذِيَني فَدُهِشَ الخَليفَةُ وتَمَلَّكَهُ الرُّعْبُ وصاحَ: «مَنْ أَنْتِ؟ أَرْجوكِ اتْرُكي مَدينَتي اللَّيْلَةَ لأَنَّكِ إذا بَقيتِ هُنا عَلى هَذا الحالِ فَلَنْ أَعودَ سَيِّدَ هَذِهِ المَدينَةِ».

«فَأَجَبْتُ الخَليفَةَ: «سَأَذْهَبُ إذا أَعْطَيْتَني نِصْفَ كَنْزِكَ».

«فَأَخَذَني الخَليفَةُ بِيَدي وقادَني إلى الحَديقَةِ ثُمَّ إلى رَدْهَةٍ لَها ثَمانِيَةُ جُدْرانٍ فَلامَسَ الخَليفَةُ أَحَدَ تِلْكَ الجُدْرانِ فانْفَتَحَ ونَزَلْنا في بَهْوٍ مُضاءٍ بالمَشاعِلِ حَيْثُ الجِرارُ مَلأى بالقِطَعِ الفِضِّيَّةِ.

«لا يُمْكِنُكَ أَنْ تُصَدِّقَ أَيُّها الصَّيّادُ رَوْعَةَ المَكانِ حَيْثُ الجَواهِرُ واللآلِئُ والأَحْجارُ الكَريمَةُ مِنْ كُلِّ الأَحْجامِ فَضْلاً عَنِ الذَّهَبِ المُخَزَّنِ في أَكْياسٍ جِلْدِيَّةٍ وحَيْثُ الزُّمُرُّدُ والعاجُ والياقوت».

وقالَ الخَليفَةُ لِي: «هَذا بَيتُ كَنزي ونِصْفُهُ لَكِ كَما وَعَدْتُكِ».
لَكِنَّني أَجَبْتُهُ: «الكَنْزُ كَنْزُكَ ولَمْ تَعُدْ لِي رَغْبَةٌ فِيهِ بَلْ كُلُّ ما أُرِيدُ الآنَ هُوَ هَذا الخاتَمُ الَّذي في إِصْبَعِكَ».

وتَجَهَّمَ الخَلِيفَةُ وقالَ: «لَكِنَّهُ خاتَمٌ مِنَ الرَّصاصِ ولا قِيمَةَ لَهُ لِذَلِكَ خُذِي نِصْفَ كَنْزي وارْحَلي عَنِ المَدِينَةِ».

وأَجَبْتُهُ: «لَكِنَّني أُرِيدُ الخاتَمَ لأَنَّني أَعْرِفُ ما هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ»، فارْتَجَفَ الخَلِيفَةُ وَقالَ: «إِذَنْ خُذِي كُلَّ الكَنْزِ واذْهَبي بَعِيدًا».

لَكِنَّني حَصَلْتُ عَلَى الخاتَمِ وهُوَ بانْتِظارِكَ أَيُّها الصَّيادُ، والَّذي يَحْصُلُ عَلَى هَذا الخاتَمِ يُصْبِحُ أَغْنَى مِنْ كُلِّ مُلوكِ العالَمِ. تَعالَ وخُذْهُ أَيُّها الصَّيادُ وسَتُصْبِحُ ثَرواتُ العالَمِ لَكَ».

لَكِنَّ الصَّيادَ الشّابَّ ضَحِكَ وَقالَ: «الحُبُّ أَفْضَلُ مِنَ الثَّرْوَةِ والحُورِيَّةُ الصَّغِيرَةُ تُحِبُّني».

وقالَتِ الرُّوحُ: «كَلاَّ لا شَيْءَ أَفْضَلُ مِنَ الثَّرْوَةِ». فَقالَ الصَّيادُ: «الحُبُّ أَفْضَلُ» ثُمَّ غاصَ في الماءِ وذَهَبَتْ روحُهُ باكِيَةً.

وبَعْدَ انْتِهاءِ السَّنَةِ الثّالِثَةِ جاءَتْ روحُ الصَّيادِ إِلى الشّاطِئِ ونادَتِ الصَّيادَ الشّابَّ الَّذي قامَ مِنَ البَحْرِ وقالَ: «لِماذا تُنادِينَني؟».

فأَجابَتِ الرّوحُ: «اقْتَرِبْ مِنِّي لأَتَحَدَّثَ إِلَيْكَ لأَنَّني رأَيْتُ أَشْياءَ رائِعَةً».

وهَكَذا اقْتَرَبَ الصَّيادُ مِنْ روحِهِ وأَنْصَتَ إِلَيْها.

فَقالَتِ الرُّوحُ: «هُنالِكَ مَدِينَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ النَّهرِ، جَلَسْتُ هُناكَ حَيْثُ جاءَ رَجُلٌ مُسِنٌّ حامِلاً سَجّادَةً وعُوْدًا ثُمَّ فَرَشَ الرَّجُلُ السَّجادَةَ عَلَى الأَرْضِ وضَرَبَ عودَهُ قَلِيلاً فَظَهَرَتْ فَتاةٌ عارِيَةُ القَدَمَيْنِ وبَدأَتْ تَرْقُصُ أَمامَنا وكانَتْ قَدَماها تَتَحَرَّكانِ مِثْلَ أَقْدامِ طَيْرِ الحَمامِ. وهَذِهِ المَدِينَةُ قَرِيبَةٌ مِنْ هُنا».

وعِنْدَما سَمِعَ الصَّيادُ كَلِماتِ روحِهِ تَذَكَّرَ الحُورِيَّةَ الصَّغِيرَةَ وأَنَّهُ لَيْسَ لَها قَدَمان ولا يُمْكِنُها الرَّقْصُ وامْتَلأَ رَغْبَةً وإِغْواءً وقالَ لِنَفْسِهِ: «المَدِينَةُ قَرِيبَةٌ وسأَعودُ إِلى حَبِيبَتِي بِسُرْعَةٍ». وَوَقَفَ الصَّيادُ وذَهَبَ إِلى الشّاطِئِ ومَدَّ ذِراعَيْهِ إِلى روحِهِ الَّتي أَطْلَقَتْ صَرْخَةَ فَرَحٍ وهَرَعَتْ لِمُقابَلَتِهِ ودَخَلَتْ فيهِ فَعادَ ظِلُّهُ إِلَيْهِ.

وقالَتِ الرُّوحُ لِلصَّيادِ: «لِنَذْهَبْ في الحالِ لأَنَّ آلِهَةَ البَحْرِ تُحِسُّ بالغَيْرَةِ».

وأَسْرَعَ الصَّيادُ مَعَ روحِهِ ودامَتِ الرِّحْلَةُ لَيْلَةً مُقْمِرَةً ونَهارًا مُشْمِسًا حَتَّى وَصَلا في المَساءِ إِلى المَدِينَةِ.

وقالَ الصَّيادُ لِروحِهِ: «هَلْ هَذِهِ هِيَ المَدِينَةُ الَّتي تَرْقُصُ فِيها الفَتاةُ الَّتي حَدَّثْتِني عَنْها؟».

وأَجابَتْهُ الرُّوحُ: «كَلاَّ لَيْسَتْ هَذِهِ المَدِينَةَ بَلْ مَدِينَةٌ أُخْرَى. ولَكِنْ دَعْنا نَدْخُلْ هَذِهِ المَدِينَةَ».

وهكَذا دَخَلَ الصَّيّادُ وروحُهُ المَدينَةَ ومَرّا في شارِعِ الصّاغَةِ فَقالَتِ الرُّوحُ للصَّيّادِ: «خُذْ هَذا الكوبَ الفِضِّيَّ وَخَبِّئْه».

وهكَذا أَخَذَ الصَّيّادُ الكوبَ وأَخْفاهُ في ثَوْبِهِ وأَسْرَعا بالخُروجِ مِنَ المَدينَة.

وبَعْدَ ابْتِعادِهِما عَنِ المَدينَةِ قالَ الصَّيّادُ لروحِهِ: «لِماذا طَلَبْتِ مِنّي أَنْ آخُذَ هَذا الكأْسَ وأُخْفِيَهُ؟ هَذا شَرّ». لَكِنَّ الرُّوحَ قالَتْ: «اهْدأْ، اهْدأْ».

وفي مَساءِ اليَوْمِ التّالي جاءَ الصَّيّادُ وروحُهُ إلى مَدينَةٍ أُخْرى وقالَ الصَّيّادُ لروحِهِ: «هَلْ هَذِهِ هِيَ المَدينَةُ الّتي تَرْقُصُ فيها الفَتاةُ الّتي تَحَدَّثْتِ عَنْها؟»

فقالَتِ الرُّوحُ: «كَلاَّ لَيْسَتْ هَذِهِ المَدينَةَ بَلْ مَدينَةٌ أُخْرى ومَعَ ذَلِكَ دَعْنا نَدْخُلْها».

وَدَخَلا المَدينَةَ، ومَعَ مُرورِهِما في السُّوقِ رأَى الصَّيّادُ طِفْلاً واقِفًا قُرْبَ جَرَّةِ ماءٍ وقالَتْ لَهُ روحُهُ: «اضْرِبْ هَذا الطِّفْلَ» فَضَرَبَ الصَّيّادُ الطِّفْلَ حَتّى بَكى. ثُمَّ أَسْرَعا بالخُروجِ مِنَ المَدينَة.

وبَعْدَ ابْتِعادِهِما عَنِ المَدينَةِ سأَلَ الصَّيّادُ روحَهُ غاضِبًا لِماذا جَعَلَتْهُ يَضْرِبُ الطِّفْل. لَكِنَّ الروحَ قالَتْ لَهُ: «اهْدأْ، اهْدأْ».

وفي مَساءِ اليَوْمِ التّالي وَصَلَ الصَّيّادُ وروحُهُ إلى مَدينَةٍ أُخْرى

وسأَلَ الصَّيّادُ روحَهُ: «هَلْ هَذِهِ هِيَ المَدينَةُ الّتي تَرْقُصُ فِيها الفَتاةُ؟»

فَقالَتِ الرُّوحُ: «رُبَّما تَكونُ هَذِهِ هِيَ المَدينَةُ، لِذَلِكَ دَعْنا نَدْخُلْها».

وهَكَذا دَخَلَ الصَّيّادُ وروحُهُ المَدينَةَ وعَبَرا شَوارِعَها. ولَكِنَّ الصَّيّادَ لَمْ يَعْثُرْ عَلى أَيِّ نَهْرٍ أَوْ حانَةٍ وكانَ سُكّانُ المَدينَةِ يَنْظُرونَ إلَيْهِ بِتَساؤُل. وشَعَرَ الصَّيّادُ بالخَوْفِ وقالَ لروحِهِ: «لِنَذْهَبْ مِنْ هَذِهِ المَدينَةِ لأَنَّ الّتي تَرْقُصُ بقَدَمَيْها العارِيَتَيْنِ لَيْسَتْ هُنا».

لَكِنَّ الرُّوحَ أَجابَتْ: «كَلاَّ دَعْنا نَبْقَ هُنا فاللَّيْلُ قادِمٌ واللُّصوصُ كُثُر»

وهكَذا جَلَسَ الصَّيّادُ وروحُهُ في السُّوقِ واسْتَراحا وبَعْدَ وَقْتٍ ذَهَبا إلى أَحَدِ التُّجّارِ الّذي قالَ لَهُما: «لِماذا تَجلِسانِ في السُّوقِ مَعَ أَنَّ الدَّكاكِينَ مُغْلَقَة؟»

وأَجابَهُ الصَّيّادُ: «لا أَجِدُ أَيَّ حانَةٍ أَوْ نَهْرٍ في هَذِهِ المَدينَةِ ولا أَقارِبَ نَجِدُ المأْوى عِنْدَهُم»

فَقالَ التّاجِرُ: «أَلَسْنا كُلُّنا أَقارِب؟ أَلَمْ يَخْلُقْنا اللهُ أَقارِبَ؟ تعالَوْا مَعِي لأَنَّ لَدَيَّ غُرْفَةَ ضُيوفٍ في مَنْزِلي».

ونَهَضَ الصَّيّادُ وتَبِعَ التّاجِرَ إلى مَنْزِلِه. وبَعْدَ الطَّعامِ والشَّرابِ قادَهُ التّاجِرُ إلى غُرْفَةِ الضُّيوفِ وأَلْقى عَلَيْهِ تَحِيَّةَ المَساءِ فَشَكَرَهُ الصَّيّادُ وقَبَّلَ يَدَهُ ونام.

وقَبلَ ثَلاثِ ساعاتٍ مِنْ مَجيءِ الفَجرِ أيقَظَتِ الرُّوحُ الصَّيّادَ وقالَتْ لَهُ: «انهَضْ واذْهَبْ إلى غُرفَةِ نَومِ التّاجِرِ واذبَحْهُ وخُذْ ذَهَبَه».

ونَهَضَ الصَّيّادُ وتَسَلَّلَ إلى غُرْفَةِ التّاجِرِ وأَمسَكَ بِسَيفٍ قُرْبَ السَّرير. لَكِنَّ التّاجِرَ استَيقَظَ وأَمسَكَ السَّيفَ بِيَدِه وصاحَ بالصَّيّادِ: «هَلْ تَرُدُّ الخيرَ بالشَّرِّ وتُقايِضُ اللُّطفَ بالدَّم؟»

وَهُنا صاحَتِ الرُّوحُ للصَّيّادِ: «اضرِبْ بالسَّيف».

وهَكَذا ضَرَبَ الصَّيّادُ التّاجِرَ بالسَّيفِ واستَوْلَى عَلَى الذَّهَبِ وهَرَبَ مِنَ المَنزِلِ مَعَ روحِهِ مُوَجِّهًا نَظرَهُ نَحوَ نَجمَةِ الصَّباح.

وعِندَما ابتَعَدا عَنِ المَدينَةِ ضَرَبَ الصَّيّادُ صَدرَهُ وقالَ لروحِهِ: «لِماذا جَعَلتِني أَقتُلُ التّاجِرَ، فهذا عَمَلٌ شِرّير».

لَكِنَّ الرُّوحَ أَجابَتْهُ: «اهْدأْ، اهْدأْ».

وصاحَ الصَّيّادُ الشّابُّ: «لَنْ أَهدأَ لأَنَّكِ جَعَلتِني أَفعَلُ أَشياءَ أَكرَهُها وأنا أَكرَهُكِ أَيضًا».

فأَجابَتْهُ الرُّوحُ: «عِندَما أَرسَلتَني إلى العالَمِ لَمْ تُعطِني قَلبًا. ولِهَذا تَعَلَّمْتُ كُلَّ هذِهِ الأَشياءَ الشِّرّيرَةَ وأَحبَبْتُها».

فتَمتَمَ الصَّيّادُ الشّابُّ: «ماذا تَقولين؟»

فأَجابَتِ الرُّوحُ: «أَنتَ تَعرِفُ ذلِكَ جَيِّدًا. هَلْ نَسيتَ أَنَّكَ أَطلَقتَني دونَ قَلبٍ؟ ولَكِنِ اهدأْ، فسأُبعِدُ عَنكَ الأَلَمَ وأَجلِبُ لَكَ السَّعادَة».

وعِندَما سَمِعَ الصَّيّادُ هَذِهِ الكَلِماتِ ارتَجَفَ وقالَ لروحِهِ: «كَلاَّ أَنتِ الشَّرُّ بِعَينِهِ وجَعَلتِني أَنسى حُبّي وأَغرَيتِني بإِغراءاتِكِ ودَفَعتِني في طَريقِ الخَطيئَة».

وأَجابَتِ الرُّوحُ: «أَنتَ لَمْ تُفَكِّرْ بِهذا عِندَما أَطلَقتَني بَعيدًا عَنكَ إلى العالَمِ دونَ قَلب. تَعالَ ودَعْنا نَذهَبْ إلى مَدينَةٍ أُخرى لِنَلهُوَ لأَنَّ الذَّهَبَ مَعَنا».

لَكِنَّ الصَّيّادَ الشّابَّ صاحَ: «كَلاَّ لا أُريدُ الذَّهابَ مَعَكِ أَوِ الارْتِباطَ بِكِ، وكَما أَبعَدتُكِ عَنّي مِن قَبلُ سأُبعِدُكِ الآن». وأَدارَ الصَّيّادُ ظَهرَهُ للقَمَرِ وحاوَلَ قَطعَ ظِلِّهِ بالسِّكّين. ولَكِنَّ الرُّوحَ لَمْ تَتَحَرَّكْ ولَمْ تَبعُدْ عَنهُ بَلْ قالَتْ لَهُ: «إِنَّ اللَّعنَةَ الّتي حَدَّثَتكَ عَنها السّاحِرَةُ لَمْ تَعُدْ نافِعَةً، فأَنا لَنْ أَذهَبَ عَنكَ، ولَنْ تَتَمَكَّنَ أَنتَ مِن دَفعي بَعيدًا فالإِنسانُ لَهُ الحَقُّ في إِبعادِ روحِهِ عَنهُ مَرَّةً واحِدَةً في الحَياةِ فَقَط. وكُلُّ مَنْ يَستَعيدُ روحَهُ يَجِبُ أَنْ يُحافِظَ عَلَيها للأَبَدِ وهَذا هُوَ ثَوابُهُ وعِقابُه».

وشَحَبَ وَجهُ الصَّيّادِ وشَدَّ قَبضَةَ يَدِهِ وصاحَ: «إِذَنْ كانَتِ السّاحِرَةُ مُزَيِّفَةً لأَنَّها لَمْ تُبلِغْني بِهَذِهِ الحَقيقَة».

فأَجابَتِ الرُّوحُ: «كَلاَّ بَلْ كانَتْ مُخلِصَةً لِمَنْ تَعبُدُهُ وتَخدِمُهُ للأَبَدِ وهُوَ الشَّيطان».

وعِندَما عَرَفَ الصَّيّادُ الشّابُّ أَنَّهُ لَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ التَّخَلُّصِ مِنْ

روحِهِ وأنَّها أصْبَحَتْ روحًا شِرِّيرَةً وأنَّها سَتَبْقَى مَعَهُ أبدًا سَقَطَ عَلَى الأَرْضِ باكِيًا.

وفي الصَّباحِ نَهَضَ الصَّيّادُ وقالَ لروحِهِ: «سَوْفَ أَرْبُطُ يَدَيَّ بَعْضَهُما إلى بَعْضٍ لِكَيْ لا أَذْهَبَ مَعَكِ وأُطْبِقُ شَفَتَيَّ حَتَّى لا أتفوَّهَ بكلماتِكِ وسأعودُ إلى المَكانِ الّذي تَعيشُ فِيهِ مَحْبوبَتِي. سأعودُ إلى البَحْرِ وإلى الخَليجِ الّذي تُغَنِّي فِيهِ الحُورِيَّةُ وسأناديها وأُبْلِغُها بالشَّرِّ الّذي أجْبَرْتِني عَلَيْه».

لَكِنَّ الرُّوحَ قالَتْ لَهُ: «مَنْ هِيَ حَبِيبَتُكَ لِتَعودَ إلَيْها؟ فالعالَمُ ملآنُ بأَجْمَلَ مِنْها وهُنالِكَ فَتَياتُ الرَّقْصِ اللَّواتِي يَضْحَكْنَ خِلالَ رَقْصِهِنَّ. تَعالَ مَعِي وسَوْفَ أُرِيكَ إيّاهُنَّ ولا تَشْعُرُ بالخَطِيئَةِ. أَلَيْسَ ما نَأْكُلُهُ مَصْنوعًا للأَكْلِ؟ تَعالَ مَعِي إلى مَدينَةٍ أُخْرَى حَيْثُ توجَدُ حَدِيقَةٌ للأَزْهارِ وهُناكَ يُمْكِنُكَ الجُلوسُ والعَيْشُ وتَجِدُ فِيها فَتاةً راقِصَةً تُطْعِمُ طُيورَ الحَدِيقَةِ وهِيَ تَضْحَكُ خِلالَ رَقْصِها وتَرْتَدِي حَلَقاتٍ فِضِّيَّةً في قَدَمَيْها وتُطْلِقُ أصْواتًا جَمِيلَةً خِلالَ الرَّقْص».

لَكِنَّ الصَّيّادَ لَمْ يَرُدَّ عَلَى روحِهِ بَلْ أَقْفَلَ شَفَتَيْهِ بِسِلْكٍ وعادَ إلى المَكانِ الّذي أَتَى مِنْهُ حَيْثُ تُغَنِّي مَحْبوبَتُهُ حُورِيَّةُ البَحْرِ. وحاوَلَتِ الرُّوحُ إغْواءَهُ بالعَوْدَةِ إلَيْها دونَ جَدْوَى لأَنَّ قُوَّةَ الحُبِّ كانَتْ عَظِيمَةً داخِلَه.

وعِنْدَما وَصَلَ الصَّيّادُ إلى شاطِئِ البَحْرِ أَرْخَى السِّلْكَ مِنْ فَمِهِ

ونادَى حُورِيَّةَ البَحْرِ. لَكِنَّ الحُورِيَّةَ لَمْ تُجِبْ نِداءَهُ رُغْمَ أَنَّهُ ظَلَّ طَوالَ النَّهارِ يُنادِيها ويَتَوَسَّلُ حُضورَها.

وهَكَذا سَخِرَتْ روحُ الصَّيّادِ مِنْهُ وقالَتْ: «حُبُّكَ لا يُعْطِيكَ الفَرَحَ لأَنَّكَ شَخْصٌ يَسْكُبُ الماءَ في وِعاءٍ مَكْسورٍ وأَنْتَ تُعْطِي ما لَدَيْكَ دونَ أَنْ تَحْصُلَ عَلَى المُقابِلِ. ومِنَ الأَفْضَلِ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعِي لأَنَّنِي أَعْرِفُ مَكانَ وادِي المُتْعَةِ».

لَكِنَّ الصَّيّادَ لَمْ يَرُدَّ عَلَى روحِهِ بَلْ شَيَّدَ لِنَفْسِهِ بَيْتًا مِنَ القَصَبِ بَقِيَ فِيهِ مُدَّةَ سَنَةٍ وفي كُلِّ صَباحٍ كانَ يُنادِي حُورِيَّتَهُ ويَعودُ لِمُناداتِها عِنْدَ الظُّهْرِ، وفي اللَّيْلِ يَصِيحُ باسْمِها. لَكِنَّ الحُورِيَّةَ لَمْ تَطْلُعْ مِنَ البَحْرِ لِمُلاقاتِهِ ولَمْ يَجِدْها في أَيِّ مَكانٍ في البَحْر.

وأَغْوَتْهُ روحُهُ ثانِيَةً بالشَّرِّ وهَمَسَتْ إلَيْهِ بأَشْياءَ رَهِيبَةٍ ومَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتَأَثَّرْ لأَنَّ قُوَّةَ حُبِّهِ كانَتْ عَظِيمَةً.

وبَعْدَ سَنَةٍ فَكَّرَتِ الرُّوحُ: «لَقَدْ أَغْوَيْتُ سَيِّدِي الصَّيّادَ بالشَّرِّ لَكِنَّ حُبَّهُ كانَ أَقْوَى مِنِّي، لِذَلِكَ سأُغْوِيهِ بالخَيْرِ ورُبَّما يأْتِي مَعِي».

وهَكَذا تَحَدَّثَتِ الرُّوحُ إلى الصَّيّادِ وقالَتْ: «لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ عَنِ الفَرَحِ في العالَمِ لَكِنَّكَ لَمْ تَسْمَعْنِي. دَعْنِي أُبْلِغُكَ الآنَ بآلامِ العالَمِ لَرُبَّما تَرَأَّفُ بِي. والحَقِيقَةُ أَنَّ الأَلَمَ هُوَ سَيِّدُ العالَمِ ولا يُمْكِنُ لأَحَدٍ الهُروبُ مِنْ شِباكِه. فَهُنالِكَ أَشْخاصٌ يَنْقُصُهُمُ الخُبْزُ وهُنالِكَ الكَثِيرُ مِنَ الأَرامِلِ في هَذا العالَمِ. والمُتَسَوِّلونَ يَجوبونَ الطُّرُقاتِ بِجُيوبٍ

فارِغَةٍ وتَمْشي مَعَهُمُ المَجاعَةُ في الطُّرُقاتِ ويَطْرُقُ الطّاعونُ أَبْوابَ المُدُنِ. لِذَلِكَ دَعْنا نَذْهَب لإِصْلاحِ هَذِهِ الأُمورِ وإِزالَتِها مِنَ الوُجودِ وما نَفْعُ نِدائِكَ لِحُبِّكَ الآنَ وهُوَ لا يُجيبُكَ؟»

لَكِنَّ الصَّـيّادَ لَمْ يُجِبْ روحَهُ لأَنَّ قُوَّةَ حُبِّهِ كانَتْ عَظيمَةً وكانَ يُنادي حُورِيَّتَهُ كُلَّ صَباحٍ وفي اللَّيْلِ يَصيحُ باسْمِها. لَكِنَّ الحُورِيَّةَ لَمْ تَطْلُعْ مِنَ البَحْرِ لِمُلاقاتِهِ ولَمْ يَعْثُرْ عَلَيْها في أَيِّ مَكانٍ في البَحْرِ. وبَعْدَ انْتِهاءِ السَّنَةِ الثّانِيَةِ قالَتِ الرُّوحُ للصَّـيّادِ في اللَّيْلِ لَدَى جُلوسِهِ وَحيدًا في بَيْتِ القَصَبِ: لَقَدْ أَغْوَيْتُكَ حَتّى الآنَ بالشَّرِّ وأَغْوَيْتُكَ بالخَيْرِ، لَكِنَّ حُبَّكَ أَقْوى مِنّي، لِذَلِكَ لَنْ أَعودَ لإِغْوائِكَ لَكِنَّني أَرْجو مِنْكَ أَنْ تُدْخِلَني إلى قَلْبِكَ لأَكونَ مَعَكَ أَقْوى مِنْ قَبْلُ».

وقالَ الصَّـيّادُ: «طَبْعًا، يُمْكِنُكِ الدُّخولُ لأَنَّكِ عانَيْتِ كَثيرًا في العالَمِ دونَ قَلْبٍ».

لَكِنَّ الرُّوحَ صاحَتْ: لَكِنَّني لا أَجِدُ مَكانًا للدُّخولِ فَقَلْبُكَ مَلآنُ بالحُبِّ».

فقالَ الصَّـيّادُ: «ومَعْ ذَلِكَ أَرْغَبُ بِمُساعَدَتِكِ».

ومَعَ كَلامِ الصَّـيّادِ انْطَلَقَتْ صَرْخَةٌ قَوِيَّةٌ حَزينَةٌ مِنَ البَحْرِ فَنَهَضَ الصَّـيّادُ عَلى قَدَمَيْهِ وغادَرَ مَنْزِلَهُ ورَكَضَ إلى الشّاطِئِ وجاءَتِ الأَمْواجُ السَّوْداءُ مُسْرِعَةً إلى الشّاطِئِ حامِلَةً مَعَها جُثَّةً بَيْضاءَ تَتَقَلَّبُ عَلى المَوْجِ مِثْلَ الوَرْدَةِ ولَفَظَتْها الأَمْواجُ لِيَتَلَقّاها الشّاطِئُ.

ووَجَدَ الصَّـيّادُ عِنْدَ قَدَمَيْهِ جُثَّةَ الحُورِيَّةِ الصَّغيرَةِ المَيْتَةَ.

وبَكى الصَّـيّادُ مِنَ الأَلَمِ وقَبَّلَ فَمَ الحُورِيَّةِ وداعَبَ شَعْرَها. ونامَ الصَّـيّادُ بِجانِبِ الجُثَّةِ يَبْكي مِثْلَ الشَّخْصِ الَّذي يَهْتَزُّ مِنَ الفَرَحِ. وضَمَّ الصَّـيّادُ الجُثَّةَ إلى صَدْرِهِ. كانَتْ شَفَتا الحُورِيَّةِ بارِدَتَيْنِ ومَعْ ذَلِكَ كانَ يُقَبِّلُهُما. وكانَ شَعْرُها مالِحًا ومَعْ ذَلِكَ ضَمَّهُ إلى شَفَتَيْهِ وتَذَوَّقَهُ بِفَرَحٍ مَريرٍ وقَبَّلَ الجُفونَ فَباتَتْ دُموعُهُ أَكْثَرَ مُلوحَةً مِنْ مِلْحِ البَحْرِ.

وقَدَّمَ الصَّـيّادُ اعْتِرافاتِهِ للجُثَّةِ المَيْتَةِ وسَكَبَ في أُذُنَيْها خَمْرَ قِصَّتِهِ وَوَضَعَ يَدَيْها حَوْلَ عُنُقِهِ ولامَسَ حَلْقَها بإِصْبَعِهِ.

وكانَ أَلَمُ الصَّـيّادِ مَريرًا إلى حَدِّ أَنَّهُ شَعَرَ بالسَّعادَةِ.

واقْتَرَبَ البَحْرُ الأَسْوَدُ وسَمِعَ الصَّـيّادُ أَنينَهُ وانْطَلَقَتْ صَرْخَةُ الحُزْنِ مِنْ قَصْرِ مَلِكِ البَحْرِ.

فَقالَتِ الرُّوحُ للصَّـيّادِ: «اهْرُبْ فالبَحْرُ سَيَقْتَرِبُ أَكْثَرَ ويَقْتُلُكَ. اهْرُبْ لأَنَّني خائِفَةٌ عَلَيْكَ ولأَنَّ قَلْبَكَ مُقْفَلٌ بِسَبَبِ حُبِّكَ العَظيمِ. اهْرُبْ إلى الأَمانِ لأَنَّكَ حَتْمًا لَنْ تُرْسِلَني إلى العالَمِ الآخَرِ دونَ قَلْبٍ».

لَكِنَّ الصَّـيّادَ لَمْ يُنْصِتْ لِروحِهِ بَلْ نادى الحُورِيَّةَ الصَّغيرَةَ وقالَ: «الحُبُّ أَفْضَلُ مِنَ الحِكْمَةِ وأَثْمَنُ مِنَ الثَّرْوَةِ وأَجْمَلُ مِنْ أَقْدامِ الرّاقِصاتِ الفَتَياتِ. ولا يُمْكِنُ للنّارِ أَنْ تُدَمِّرَ الحُبَّ ولا يُمْكِنُ للماءِ إِغْراقُهُ. لَقَدْ نادَيْتُكِ يا حُورِيَّتي عِنْدَ الفَجْرِ لَكِنَّكِ لَمْ تَأْتي إِلَيَّ. ولَقَدْ

سَمِعَ القَمَرُ نِدائي ولَمْ تَسْمَعيهِ أَنْتِ وذَلِكَ لِأَنَّني تَرَكْتُكِ بِخُبْثٍ وتَبِعْتُ أَهْوائي، ومَعَ ذَلِكَ بَقِيَ حُبُّكِ بِجانِبي وكانَ قَوِيًّا لَمْ يَغْلِبْهُ التَّعَب. وأَنْتِ الآنَ مَيْتَةٌ لِذَلِكَ سأَموتُ مَعَكِ».

وتَوَسَّلَتْ روحُ الصَّيّادِ إِلَيْهِ أَنْ يُغادِرَ الشّاطِىءَ لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ لِأَنَّ حُبَّهُ كانَ عَظيمًا. واقْتَرَبَ البَحْرُ لِيَغْمُرَ الصَّيّادَ بِأَمْواجِهِ. وعِنْدَما عَرَفَ الصَّيّادُ أَنَّ النِّهايَةَ قَرِيبَةٌ قَبَّلَ شَفَتَيِ الحُورِيَّةِ بِجُنونٍ وانْشَطَرَ قَلْبُهُ وعِنْدَها وَجَدَتْ روحُهُ مَدْخَلاً إِلى قَلْبِهِ ودَخَلَتْ وعادَتْ إِلَيْهِ كَما مِنْ قَبْل. وغَمَرَ البَحْرُ الصَّيّادَ الشّابَّ بِأَمْواجِهِ.

وفي الصَّباحِ ذَهَبَ الكاهِنُ لِيُبارِكَ البَحْرَ الَّذي كانَ مُضْطَرِبًا. وعِنْدَما وَصَلَ الكاهِنُ إِلى الشّاطِىءِ شاهَدَ الصَّيّادَ الشّابَّ غارِقًا في الرَّمْلِ مُمْسِكًا بِجُثَّةِ الحُورِيَّةِ الصَّغيرَةِ بَيْنَ ذِراعَيْهِ. تَجَهَّمَ الكاهِنُ وخَطا خُطْوَةً إِلى الوَراءِ وصاحَ: «لَنْ أُبارِكَ البَحْرَ وأَيَّ شَيْءٍ فيهِ. لَعْنَةُ اللهِ عَلَى سُكّانِ البَحْرِ. والصَّيّادُ الَّذي تَخَلّى عَنِ اللهِ مُقابِلَ حُبِّهِ فَقَدْ قُتِلَ بِحُكْمِ اللهِ. خُذوا جَسَدَهُ وجَسَدَ عَشيقَتِهِ وادْفِنوهُما بَعيدًا في حَقْلٍ ولا تَضَعوا شَيْئًا فَوْقَ القَبْرِ يَجِبُ أَلاّ يَعْرِفَ أَحَدٌ قَبْرَهُما لِأَنَّ حَياتَهُما لَعْنَةٌ ومَوْتَهُما لَعْنَة».

ونَفَّذَ النّاسُ أَوامِرَ الكاهِنِ وحَفَروا حُفْرَةً في مَكانٍ لا عُشْبَ فيهِ ودَفَنوا الجُثَّتَيْنِ مَعًا.

وعِنْدَ انْتِهاءِ السَّنَةِ وفي أَحَدِ الأَيّامِ المُقَدَّسَةِ ذَهَبَ الكاهِنُ إِلى المُصَلّى لِيَتَحَدَّثَ إِلى النّاسِ عَنْ غَضَبِ اللهِ عَلَيْهِم.

ولَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ الكاهِنُ شاهَدَ أَزْهارًا غَريبَةً عَلَى المَذْبَحِ لَمْ يَرَها مِنْ قَبْلُ وكانَتْ غَريبَةً وجَميلَةً لِلغايَةِ إِلى حَدِّ أَنَّ جَمالَها سَبَّبَ لَهُ الاضْطِرابَ فَشَعَرَ بِسَعادَةٍ لَمْ يَعْرِفْ مَعْناها.

وقَدْ أَثَّرَتْ هَذِهِ السَّعادَةُ في ما كانَ الكاهِنُ يَرْغَبُ في التَّحَدُّثِ عَنْهُ فَلَمْ يَتَحَدَّثْ عَنْ غَضَبِ اللهِ بَلْ عَنِ المَحَبَّةِ عِنْدَ اللهِ ولَمْ يَعْرِفْ لِماذا تَحَدَّثَ هَكَذا.

وعِنْدَما أَنْهَى الكاهِنُ كَلِماتِهِ بَكَى النّاسُ وبَكَى الكاهِنُ مَعَهُم وبَدا الجَميعُ في حُلُم. وسَأَلَ النّاسَ: «ما هِيَ هَذِهِ الأَزْهارُ ومِنْ أَيْنَ أَتَتْ؟» فَأَجابَ النّاسُ: «إِنَّها مِنَ المَكانِ الَّذي دُفِنَ فيهِ الصَّيّادُ وحُورِيَّتُه». فَارْتَجَفَ الكاهِنُ وعادَ إِلى المُصَلّى وصَلّى.

وفي الصَّباحِ ومَعَ الفَجْرِ ذَهَبَ الجَميعُ إِلى شاطِىءِ البَحْرِ وبارَكوا البَحْرَ وكُلَّ ما فيهِ وكُلَّ مَخْلوقاتِ اللهِ. وفَرِحَ النّاس. ولَمْ تَنْمُ الأَزْهارُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى القَبْرِ بَلْ ظَلَّ القَبْرُ عارِيًا ولَمْ تَعُدْ مَخْلوقاتُ البَحْرِ إِلى ذَلِكَ الشّاطِىءِ بَلْ ذَهَبَتْ إِلى مَكانٍ آخَر.

الطّفلُ النّجم

في أَحدِ الأَزْمانِ كانَ اثْنانِ مِنَ الحطّابينَ يَسيرانِ عَبْرَ غابَةِ الصَّنَوْبَرِ وكانَ الوَقْتُ شِتاءً وكانَ اللّيْلُ بارِدًا لِلْغايَة. وكانَ الثَّلْجُ كَثيفًا عَلَى الأَرْضِ يُغَطّي أَغْصانَ الأَشْجار. وعِنْدَما وَصَلَ الرَّجُلانِ إلى سَيْلِ الجَبَلِ وَجَداهُ جامِدًا لأَنَّ مَلِكَ الجَليدِ قَدْ قَبَّلَه.

وَلَمْ تَعْرِفِ الحَيَواناتُ ماذا تَفْعَلُ بِهَذا السَّيْلِ وَقالَ الذِّئْبُ: «إِنَّهُ طَقْسٌ وَحْشِيٌّ، لِماذا لا تَنْظُرُ الحُكومَةُ في الأَمْرِ؟»

وقالَتِ الطُّيورُ المُغَرِّدَةُ: «الأَرْضُ مَيْتَةٌ ومَكْسُوَّةٌ بالبَياض». وقالَتِ السَّلاحِفُ: «الأَرْضُ سَتَتَزَوَّجُ وهَذا ثَوْبُ عُرْسِها».

ورُغْمَ أَنَّ السَّلاحِفَ كانَتْ تَشْعُرُ بالجَليدِ لَكِنَّها شَعَرَتْ أَيْضًا بِضَرورَةِ إِعْطاءِ نَظْرَةٍ رومَنْطيقِيَّةٍ عَنِ الوَضْعِ».

لَكِنَّ الذِّئْبَ قالَ: «هَذا هُراءٌ، فأَنا أَقولُ لَكُمْ إِنَّ هَذِهِ الحالَةَ مَسْؤولِيَّةُ الحُكومَةِ وإِذا لَمْ تُصَدِّقوني فَسَوْفَ أَلْتَهِمُكُمْ». كانَ لِلذِّئْبِ عَقْلٌ واقِعِيٌّ ولَمْ يَخْشَ المُناقَشَة.

فَقالَ النَّقّارُ الفَيْلَسوفُ: «بالنِّسْبَةِ إِلَيَّ أَنا لا أَهْتَمُّ بِتَفْسيرِ الأُمورِ حَسْبَ النَّظَرِيَّةِ الذَّرِّيَّةِ فَما يَحْصُلُ يَحْصُلُ وحَسْب، والآنَ البَرْدُ شَديد.

وكانَ البَرْدُ شَديدًا حَقًّا، وكانَتِ السَّناجِبُ يَفْرُكُ بَعْضُها أُنوفَ بعضٍ، وكانَتِ الأَرانِبُ تَخْتَبِئُ في مَحاجِرِها ولَمْ تَجْرُؤْ عَلَى الخُروجِ مِنها. ويَبْدو أَنَّ الوَحيدينَ الَّذينَ اسْتَمْتَعوا بِهَذا الطَّقْسِ طُيورُ البُومِ لأَنَّ ريشَها كانَ سَميكًا.

وكانَتِ البومُ تُديرُ عُيونَها الصَّفْراءَ وتَصْفِرُ قائِلَةً: «إِنَّهُ لَطَقْسٌ جَيِّد».

وتابَعَ الحَطّابانِ سَيْرَهُما وقَدْ غَرِقا في أَحَدِ الأَوْقاتِ في حُفْرَةِ ثَلْجٍ فاكْتَسَيا بالبَياضِ النّاصِعِ وشَعَرا بالخَوْفِ لأَنَّ الثَّلْجَ قاسٍ حَقًّا.

لَكِنَّ الاثْنَيْنِ وَضَعا ثِقَتَهُما باللهِ الّذي يُراقِبُ كُلَّ المُسافِرينَ ويُتابِعُ خُطُواتِهِم، فتابَعا سَيْرَهُما حَتَّى وَصَلا إلى أَطْرافِ الغابَةِ وشاهَدا في الوادي أَدْناهُما أَضْواءَ القَرْيَةِ الّتي يَعيشانِ فيها.

وقَدْ شَعَرَ الحَطّابانِ بِفَرَحٍ كَبيرٍ لِوُصولِهِما بالسَّلامَةِ إِلى قَرْيَتِهِما بِحَيْثُ ضَحِكا عالِيًا وبَدَتِ الأَرْضُ بالنِّسْبَةِ إِليهِما مِثْلَ الوَرْدَةِ الفِضِّيَّةِ وبَدا القَمَرُ مِثْلَ الوَرْدَةِ الذَّهَبِيَّةِ.

ومَعَ ذَلِكَ وبَعْدَما ضَحِكَ الحَطّابانِ شَعَرا بالحُزْنِ لأَنَّهُما تَذَكَّرا فَقْرَهُما وقالَ أَحَدُهُما للآخَرِ: «لِماذا جَعَلْتَني أَضْحَكُ وأَفْرَحُ عِلْمًا أَنَّ الحَياةَ هِيَ للأَغْنياءِ ولَيْسَتْ لأَشْخاصٍ مِثْلِنا؟ رُبَّما كانَ مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ نَموتَ مِنَ البَرْدِ لِيَأْكُلَنا أَحَدُ الوُحوش.

فأجابَ الحطّابُ الآخرُ: «حقًّا يُعطى الكثيرُ للبعضِ والقليلُ للبقيّةِ ويعمُّ الظُلْمُ العالَم، وليْسَ هُناكَ مُساواةٌ بيْنَ البَشرِ سِوى في الحُزْن».

ولـكِنْ ومعَ مُؤاساةِ الحطّابَيْنِ بَـعْضِهما بعْضًا حصَلَ شَيْءٌ غَريب. فقدْ سَقطَ مِنَ السَّماءِ نَجْمٌ بَرّاقٌ جَميلٌ مارًّا بِسائِرِ النُّجومِ ومَعَ مُراقبَةِ الحطّابَيْنِ بتعجُّبٍ لِهَذا النَّجمِ بَدا كَما لَوْ أنَّهُ يَغْرَقُ خَلْفَ الأَشْجارِ قُرْبَهُما.

وصاحَ الحطّابان: «مَنْ يَجِدْ هَذا النَّجمَ يَحْصُلْ عَلى كَمِّيَّةٍ مِنَ الذَّهَب». وبدأَ الحطّابانِ بالرَّكضِ نَحْوَ مَكانِ السُّقوطِ مُتَحَمِّسَيْنِ للحُصولِ عَلى الذَّهَب.

وكانَ أَحَدُ الحطّابَيْنِ يَرْكُضُ بِسُرْعَةٍ أَقْوى مِنْ رَفيقِهِ حَتّى إنَّهُ تَجاوَزَهُ واقْتَحَمَ الأَشْجارَ وخَرَجَ مِنْ جانِبِها الآخَرَ فَوَجَدَ حقًّا شَيْئًا ذَهَبِيًّا مُسْتَلْقِيًا عَلى الثَّلجِ الأَبْيَض.

فأَسْرَعَ الحطّابُ إلى الشَّيْءِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ مُغَلَّفًا بِرِداءٍ ذَهَبِيّ. وصاحَ الحطّابُ لِرَفيقِهِ بِأَنَّهُ وَجَدَ كَنْزًا سَقَطَ مِنَ السَّماء. وعِنْدما وَصَلَ الحطّابُ الآخَرُ جَلَسا مَعًا عَلى الثَّلْجِ وفَكَّكا رِداءَ الشَّيْءِ فَلَمْ يَجِدا الذَّهَبَ في داخِلِهِ بَلْ وَجَدا طِفْلاً صَغيرًا نائِمًا.

وقالَ أَحَدُ الحطّابَيْنِ لِرَفيقِه: «هَذِهِ النِّهايَةُ مَريرَةٌ لآمالِنا فَلَنْ نَحْصُلَ عَلى ثَرْوَةٍ كَبيرَةٍ، وما فائِدَةُ هَذا الطِّفْلِ لَنا؟ لِنَتْرُكْهُ هُنا ونُتابِعْ سَيْرَنا فَنَحْنُ فُقَراءُ وعَلَيْنا أَنْ نُطْعِمَ أَطْفالَنا».

لَكِنَّ الحطّابَ الآخَرَ أَجابَهُ: «كَلاَّ مِنَ الشَّرِّ أَنْ نَتْرُكَ هَذا الطِّفْلَ يَموتُ هُنا في الثَّلْج. ورُغْمَ أَنَّني فَقيرٌ مِثْلُكَ وعَلَيَّ إِطْعامُ الكَثيرينَ، إلاّ أَنَّني سآخُذُ هَذا الطِّفْلَ إلى المَنْزِلِ لِتُعْنَى بِهِ زَوْجَتي».

وهَكَذا حَمَلَ الحطّابُ الطِّفْلَ بِعِنايَةٍ ورِقَّةٍ ولَفَّهُ بِردائِهِ لِيَقِيَهُ البَرْدَ، وشَقَّ طَريقَهُ عَبْرَ التَّلَّةِ نَحْوَ القَرْيَةِ رُغْمَ اعْتِبارِ رَفيقِهِ أَنَّ هَذا العَمَلَ يُعَبِّرُ عَنِ الحَماقَةِ ورِقَّةِ القَلْب.

وعِنْدما وَصَلَ الحطّابانِ إلى القَرْيَةِ قالَ أَحَدُهُما لِرَفيقِه: «لَدَيْكَ الطِّفْلُ الآنَ، لِذَلِكَ أَعْطِني رِداءَهُ الذَّهَبِيَّ لأَنَّنا شَريكان». لَكِنَّ الحطّابَ الآخَرَ أَجابَهُ: «كَلاَّ، الرِّداءُ لَيْسَ لَكَ أَوْ لِي بَلْ هُوَ لِلطِّفْلِ فَقَط».

وَوَدَّعَ الحطّابُ رَفيقَهُ وذَهَبَ إلى مَنْزِلِه. وعِنْدما فَتَحَتْ زَوْجَةُ الحطّابِ البابَ وشاهَدَتْ زَوْجَها قَدْ عادَ آمِنًا إِلَيْها طَوَّقَتْ عُنُقَهُ بِذِراعَيْها وقَبَّلَتْه.

لَكِنَّ الحطّابَ قالَ لِزَوْجَتِه: «لَقَدْ وَجَدْتُ شَيْئًا في الغابَةِ جَلَبْتُهُ لَكِ لِتَعْتَني بِه».

فَصاحَتِ الزَّوْجَة: «ما هو؟ أَرِني إِيّاهُ فالبَيْتُ فارِغٌ ونَحْنُ بِحاجَةٍ لأَشْياءَ كَثيرَة». ونَزَعَ الحطّابُ رِداءَ الطِّفْلِ وَدَعا زَوْجَتَهُ لِلنَّظَرِ إلى الطِّفْلِ النّائِم.

فقالتِ الزَّوْجَةُ: «أيُها الرَّجُلُ الجَيِّدُ أَلَيْسَ لَـدَيْنا ما يَكْفِي مِنَ الأَطْفال؟ مَنْ يَدْري؟ رُبَّما يَجْلِبُ هَذا الطِّفْلُ لَنا حَظًا سَيِّئًا، وكَيْفَ نُطْعِمُهُ ونَعْتَني بِهِ؟» وغَضِبَتِ الزَّوْجَة.

فأَجابَ الحَطّابُ: «لَكِنَّ هَذا الطِّفْلَ نَجْمٌ»، وأَبْلَغَها بِقِصَّةِ العُثورِ عَلَيْه.

لَكِنَّ الزَّوْجَةَ لَمْ تَهْدأْ بَلْ سَخِرَتْ مِنْ زَوْجِها وتَكَلَّمَتْ بِغَضَبٍ وصاحَتْ: «أَطْفالُنا يَنْقُصُهُم الخُبْزُ وأَنْتَ تُريدُ إطْعامَ هَذا الطِّفْلِ؟ مَنْ سيُعْطِينا الطَّعام؟»

فأَجابَ الزَّوْجُ: «اللَّهُ يُعْنى بخَلْقِه ويُطْعِمُهُم»

وقالَتِ الزَّوْجَةُ: «أَلا تَموتُ بَعْضُ المَخْلوقاتِ مِنَ الجوعِ في الشِّتاءِ؟ أَوَلَيْسَ الوَقْتُ الآنَ شِتاءً؟» لَكِنَّ الزَّوْجَ لَمْ يُجِبْ.

وجاءَتْ رياحٌ قَوِيَّةٌ مِنَ الغابَةِ عَبْرَ بابِ المَنْزِلِ أَدَّتْ إلى ارْتِجافِ الزَّوْجَةِ فقالَتْ لِزَوْجِها: «لِماذا لا تُقْفِلُ البابَ؟ فالرِّيحُ قَوِيَّةٌ وهِيَ تَدْخُلُ إلى المَنْزِلِ وأَنا أَشْعُرُ بالبَرْد».

وتَساءَلَ الزَّوْجُ: «أَلا تأتِي الرِّيحُ القَوِيَّةُ دائِمًا إلى البَيْتِ الَّذي لا قَلْبَ فِيه؟» ولَمْ تُجِبِ الزَّوجَةُ بَلْ ذَهَبَتْ نَحْوَ نارِ المَوْقِد.

وبَعْدَ وَقْتٍ قَليلٍ نَظَرَتِ الزَّوْجَةُ إلى زَوْجِها وكانَتْ عَيْناها مُخْضَلَّتَيْنِ بالدُّموعِ، فَجاءَ الزَّوْجُ بِسُرْعَةٍ وَوَضَعَ الطِّفْلَ بَيْنَ ذِراعَيْها. فَقَبَّلَتِ الزَّوْجَةُ الطِّفْلَ وَوَضَعَتْهُ في السَّريرِ بجانِبِ أَطْفالِها.

وفي اليَوْمِ التّالي أَخَذَ الحَطّابُ الرِّداءَ الذَّهَبِيَّ وخَبَأَهُ.

وهَكَذا تَرَعْرَعَ الطِّفْلُ النَّجْمُ مَعَ أَطْفالِ الحَطّابِ ورافَقَهُم. وفي كُلِّ سَنَةٍ كانَ ذَلِكَ الطِّفْلُ يُصْبِحُ أَكْثَرَ جَمالاً بِحَيْثُ تَعَجَّبَ سُكّانُ القَرْيَةِ من رَوْعَةِ جَمالِهِ لأَنَّ شَعْرَهُ كانَ أَسْوَدَ وجَسَدَهُ أَبْيَضَ مِثْلَ العاجِ، وكانَتْ عَيْناهُ بَنَفْسَجِيَّتَيْنِ وكانَتْ شَفَتاهُ مِثْلَ الوَرْدَةِ الحَمْراء.

لَكِنَّ جَمالَ الطِّفْلِ سَبَّبَ المَشاكِلَ لَهُ لأَنَّهُ أَصْبَحَ كَثيرَ الفَخْرِ بِنَفْسِهِ وقاسِيًا وأَنانِيًّا وكانَ يَمْقُتُ أَشِقّاءَهُ وكُلَّ أَوْلادِ القَرْيَةِ قائِلاً بأَنَّهُمْ من أَصْلٍ وَضيعٍ بَيْنَما هُوَ مِنَ النُّبَلاءِ لأَنَّهُ سَقَطَ مِنْ نَجْمٍ في السَّماء. ونَصَّبَ الطِّفْلُ نَفْسَهُ سَيِّدًا عَلَى أَتْرابِهِ وكانَ يُسَمِّيهم خَدَمًا عِنْدَهُ، ولَمْ يَكُنِ الطِّفْلُ النَّجْمُ يُشْفِقُ عَلَى الفُقَراءِ أَوِ العُمْيانِ والمَرْضَى بَلْ كانَ يَرْميهم بالحِجارَةِ ويَطْلُبُ مِنْهُمُ التَّسَوُّلَ في مَكانٍ آخَر. وَحَقًّا كانَ الطِّفْلُ النَّجْمُ مَزْهُوًّا بِجَمالِهِ ويَسْخَرُ مِنَ الضُّعَفاءِ والقَبيحِينَ وكانَ لا يُحِبُّ سِوَى نَفْسِه، وكانَ في الصَّيْفِ عِنْدَما تكونُ الرِّياحُ هادِئَةً يَسْتَلْقِي في البُسْتانِ ويَنْظُرُ في الماءِ لِيَرَى جَمالَ وَجْهِهِ ويَضْحَكُ مُسْتَمْتِعًا بِذَلِكَ الجَمال.

وَغالِبًا ما كانَ الحَطّابُ وزَوْجَتُهُ يُؤَنِّبانِ الطِّفْلَ ويَقولانِ لَهُ: «لَنْ نَهْتَمَّ بِكَ إذا لَمْ تَهْتَمَّ بالفُقَراءِ والبائِسين. لِماذا أَنْتَ قاسٍ ومن دونِ رَحْمَةٍ أَوْ شَفَقَةٍ؟»

وغالِبًا ما كانَ كاهِنُ القَرْيَةِ يَطْلُبُ مُشاهَدَةَ هَذا الطِّفْلِ النَّجْمِ لِيُعَلِّمَهُ

كَيفَ يُحِبُّ الآخَرينَ وكُلَّ المَخْلوقاتِ الحَيَّةِ قائلاً: «الذُّبابَةُ شَقيقَةٌ لَكَ في الخَلْقِ فلا تُؤذِها، والطُّيورُ البَرِّيَّةُ في الغابَةِ لَها حُرِّيَّتُها فلا تُخِفْها لمُجَرَّدِ اسْتِمْتاعِكَ بِذَلِكَ ولا تُسَبِّبِ الأَلَمَ لمَخْلوقاتِ الله لأَنَّهُ حَتّى الحَيَواناتُ تَحْمَدُ الله وتَشْكُرُه».

لَكِنَّ الطِّفْلَ لَمْ يَهْتَمَّ لِكَلامِ الكاهِنِ بَلْ كانَ يُقَطِّبُ جَبينَهُ ويَعودُ لِقِيادَةِ رِفاقِهِ وإِعْطائِهِم الأَوامِر. وكانَ رِفاقُ الطِّفْلِ النَّجْمِ يَتْبَعونَهُ لأَنَّهُ كانَ جَميلاً وكانَ يَرْقُصُ ويُغَنّي. وكانَ الأَوْلادُ يَتْبَعونَ الطِّفْلَ النَّجْمَ أَيْنَما ذَهَبَ وكانوا يَفْعَلونَ كُلَّ ما يَأْمُرُهُم بِهِ ويَضْحَكونَ مِنْ أَعْمالِهِ الشِّرِّيرَة. وهَكَذا كانَ الطِّفْلُ النَّجْمُ يَحْكُمُ أَوْلادَ القَرْيَةِ حَتّى أَصْبَحَ هَؤلاءِ قُساةَ القُلوبِ مِثْلَهُ تَمامًا.

وفي أَحَدِ الأَيّامِ مَرَّتْ في القَرْيَةِ امْرَأَةٌ صَغيرَةٌ مُتَسَوِّلَةٌ مُمَزَّقَةُ الثِّيابِ وقَدَماها تَنْزِفانِ دَمًا مِنْ جَرّاءِ الطَّريقِ الوَعْرِ الَّذي قَطَعَتْهُ لِتَصِلَ إِلى القَرْيَة. وحَيْثُ كانَتِ المَرْأَةُ مُتْعَبَةً جَلَسَتْ تَحْتَ شَجَرَةِ كَسْتَناء.

ولَكِنْ عِنْدَما رَآها الطِّفْلُ النَّجْمُ قالَ لِرِفاقِهِ: «انْظُروا هَذِهِ امْرَأَةٌ مُتَسَوِّلَةٌ تَحْتَ الشَّجَرَة. تَعالَوا لِنُبْعِدَها لأَنَّها قَبيحَةٌ ورائِحَتُها كَريهَة».

وهَكَذا اقْتَرَبَ الطِّفْلُ النَّجْمُ مِنَ المَرْأَةِ ورَماها بِالحِجارَةِ وسَخِرَ مِنْها. فَنَظَرَتِ المَرْأَةُ إِلَيْهِ والرُّعْبُ في عَيْنَيْها لَكِنَّها بَقِيَتْ تُحَدِّقُ بِه. وعِنْدَما رَأى الحَطّابُ ما فَعَلَهُ الطِّفْلُ النَّجْمُ رَكَضَ نَحْوَهُ ووَبَّخَهُ عَلى فِعْلِهِ وقالَ لَهُ: «قَلْبُكَ قاسٍ حَتْمًا ولا يَعْرِفُ الشَّفَقَةَ أَوِ الرَّحْمَة. ما هُوَ الشَّرُّ الَّذي فَعَلَتْهُ هَذِهِ المَرْأَةُ الفَقيرَةُ لَكَ لِتُعامِلَها هَكَذا؟».

واسْتَشاطَ الطِّفْلُ النَّجْمُ غَضَبًا وضَرَبَ قَدَمَهُ في الأَرْضِ وقالَ: «مَنْ أَنْتَ لِتُحاسِبَني عَمّا أَفْعَلُهُ فَأَنا لَسْتُ ابْنَك».

فَأَجابَ الحَطّابُ: «أَنْتَ تَقولُ الحَقيقَةَ ومَعَ ذَلِكَ فَأَنا أَظْهَرْتُ الرَّحْمَةَ والشَّفَقَةَ عِنْدَما وَجَدْتُكَ في الغابَة».

وعِنْدَما سَمِعَتِ المَرْأَةُ هَذِهِ الكَلِماتِ أَطْلَقَتْ صَرْخَةً قَوِيَّةً وسَقَطَتْ عَلى الأَرْض. وحَمَلَ الحَطّابُ المَرْأَةَ إِلى مَنْزِلِهِ لِتُعْنى بِها زَوْجَتُهُ وأَطْعَمَها.

لَكِنَّ المَرْأَةَ المُتَسَوِّلَةَ لَمْ تَأْكُلْ بَلْ قالَتْ لِلحَطّابِ: «هَلْ تَقولُ إِنَّكَ وَجَدْتَ هَذا الطِّفْلَ في الغابَة؟ وهَلْ حَصَلَ هَذا قَبْلَ عَشْرِ سَنَوات؟».

فَأَجابَ الحَطّابُ: «أَجَلْ كانَ هَذا الطِّفْلُ في الغابَةِ عِنْدَما وَجَدْتُهُ قَبْلَ عَشْرِ سَنَوات».

وصاحَتِ المَرْأَةُ: «وماذا وَجَدْتَ مَعَهُ؟ أَلَمْ تَجِدْهُ مُغَطًّى بِرِداءٍ ذَهَبِيٍّ مُزَيَّنٍ بِالنُّجوم؟» فَقالَ الحَطّابُ: «أَجَلْ، صَحيحٌ ما تَقولين».

وذَهَبَ الحَطّابُ لِيُحْضِرَ الرِّداءَ الذَّهَبِيّ. وعِنْدَما رَأَتِ المَرْأَةُ هَذا الرِّداءَ بَكَتْ مِنَ الفَرَحِ وقالَتْ: «إِنَّهُ ابْني الصَّغيرُ الَّذي فَقَدْتُهُ في الغابَة. أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تُرْسِلَهُ لي بِسُرْعَةٍ لأَنَّني جُلْتُ العالَمَ كُلَّهُ بَحْثًا عَنْه».

وهَكَذا خَرَجَ الحَطّابُ ونادى الطِّفْلَ النَّجْمَ وقالَ لَهُ: «ادْخُلْ إِلى المَنْزِلِ وسَوْفَ تَجِدُ هُناكَ أُمَّكَ الحَقيقِيَّةَ الَّتي تَنْتَظِرُك».

وهَكذا رَكضَ الطِّفْلُ النَّجْمُ إلى المَنْزِلِ مُتعجِّبًا ومَسْرورًا ولَكِنْ عِنْدما رأى المَرْأةَ المُتسوِّلَةَ بانْتِظارِهِ ضَحِكَ بازْدِراءٍ وقالَ: «أيْنَ أُمّي؟ فأنا لا أرَى سِوَى امْرَأةٍ مُتَسوِّلَةٍ؟» وأَجابَتْهُ المَرْأةُ المُتَسوِّلَةُ: «أنا أُمُّكَ».
وصاحَ الطِّفْلُ بِغَضَبٍ: «أنْتِ مَجْنونَةٌ لِتَقولي هَذا القَوْلَ فأنا لَسْتُ ابْنَكِ لأنَّكِ مُتَسوِّلَةٌ وقَبيحَة. لِذَلِكَ اذْهَبي عَنّي ولا تُريني وَجْهَكِ بَعْدَ الآن».

لَكِنَّ المَرْأةَ صاحَتْ: «كَلاَّ، أنْتَ حَقًّا ابْني الصَّغيرُ الَّذي أنْجَبْتُهُ في الغابَة». ورَكعَتِ المَرْأةُ عَلى رُكْبَتَيْها ومَدَّتْ ذِراعَيْها لابْنِها وقالَتْ: «لَقَدْ سَرَقَكَ اللُّصوصُ مِنّي وتَركوني أموتُ، وأنا عَرَفْتُكَ ورأيْتُ رِداءَكَ الذَّهبِيَ. لِذَلِكَ أتوسَّلُ إلَيْكَ أنْ تأتِيَ مَعي لأنَّني جُلْتُ العالَمَ كُلَّهُ بَحْثًا عَنْكَ. تَعالَ مَعي يا وَلَدي لأنَّني بِحاجَةٍ لِحُبِّكَ».

لَكِنَّ الطِّفْلَ النَّجْمَ لَمْ يَتَحرَّكْ مِنْ مَكانِهِ بَلْ أَقْفَلَ قَلْبَهُ ضِدَّ أُمِّهِ ولَمْ يَسْمَعْ سِوَى صَوْتِ المَرْأةِ المُتَسوِّلَةِ تَبْكي مِنَ الألَم.

وفي النِّهايَةِ تَحَدَّثَ الطِّفْلُ إلى المرْأةِ المُتَسوِّلَةِ وكانَ صَوْتُهُ قاسِيًا ومَريرًا وقالَ: «لَوْ كُنْتِ حَقًّا أُمّي لَكانَ مِنَ الأَفْضَلِ أنْ تَظَلّي بَعيدَةً عَنّي وألاّ تأتِي هُنا لِتُجْلِبي لِي العارَ خصوصًا أنَّني أعْتَبِرُ نَفْسي طِفْلاً نَجْمًا ولَيْسَ ابْنَ مُتَسوِّلَةٍ كما تَقولينَ أنْتِ. لِهَذا اذْهَبِي عَنّي وَلا تُريني وَجْهَكِ بَعْدَ الآن».

فَصاحَتِ المَرْأةُ: «واحَسْرَتاهُ يا وَلَدي، ألَنْ تُقَبِّلَني قَبْلَ ذَهابي لأنَّني عانَيْتُ الكَثيرَ لأجِدَك».

فقالَ الطِّفْلُ النَّجْمُ: «كَلاّ فأنْتِ قَبيحَةٌ وأُفَضِّلُ تَقْبيلَ الضِّفْدَعِ عَلى تَقْبيلِكِ».

وهَكَذا نَهَضَتِ المَرْأةُ المُتَسوِّلَةُ وذَهَبَتْ إلى الغابَةِ تَبْكي بِمَرارَة. وعِنْدَما تأكَّدَ الطِّفْلُ النَّجْمُ أنَّها ذَهَبَتْ شَعَرَ بالسُّرورِ ورَكَضَ إلى رِفاقِهِ لِيَلْعَبَ مَعَهُم.

وعِنْدَما وَصَلَ الطِّفْلُ النَّجْمُ إلى رِفاقِهِ سَخِروا مِنْهُ وقالوا: «أنْتَ قَبيحٌ مِثْلَ الضِّفْدَعِ لِذَلِكَ اذْهَبْ بَعيدًا عَنّا لأنَّنا لَنْ نَلْعَبَ مَعَكَ».

وتَجَهَّمَ الطِّفْلُ النَّجْمُ وقالَ لِنَفْسِهِ: «ماذا تَقولونَ لِي؟ سأذْهَبُ إلى بِرْكَةِ الماءِ لأرَى وَجْهي وستُبْلِغُني البِرْكَةُ بِجَمالِ وَجْهي».

وهَكَذا ذَهَبَ الطِّفْلُ النَّجْمُ إلى البِرْكَةِ ونَظَرَ فيها وبَدا وَجْهُهُ وجِسْمُهُ مِثْلَ الضِّفْدَعِ حَقًّا. فَسَقَطَ الطِّفْلُ عَلى العُشْبِ وقالَ لِنَفْسِهِ: «هَذا حَتْمًا حَصَلَ لِي بِسَبَبِ خَطيئَتي ولأنَّني أنْكَرْتُ أُمّي وأبْعَدْتُها عَنّي وكُنْتُ فَخورًا بِنَفْسي وقاسِيًا مَعَها. لِذَلِكَ سأذْهَبُ للبَحْثِ عَنْها في كُلِّ أنْحاءِ العالَمِ ولَنْ أرْتاحَ حَتّى أعْثُرَ عَلَيْها».

ثُمَّ جاءَتِ ابْنَةُ الحَطّابِ وَوَضَعَتْ يَدَها عَلَى كَتِفِهِ وقالَتْ: «ما يَهُمُّ إذا فَقَدْتَ جَمالَكَ. ابْقَ مَعَنا ولَنْ أسْخَرَ مِنْك».

وقالَ الطِّفْلُ النَّجْمُ للفَتاةِ: «كَلاَّ، لأنَّني كُنْتُ قاسِيًا مَعَ أُمّي

وعِقابِي هُوَ أَنّني أَصْبَحْتُ قَبِيحًا لِذَلِكَ سَوْفَ أَذْهَبُ وأَجولُ العالَمَ بَحْثًا عَنْ أُمّي حَتّى أَجِدَها وتُسامِحَني».

وهَكذا رَكَضَ الطِّفْلُ النَّجْمُ إلى الغابَةِ ونادَى أُمَّهُ لتأْتِيَ إِلَيْهِ لَكِنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ عَلَى أَيِّ جَوابٍ. وظَلَّ الطِّفْلُ يُنادِي أُمَّهُ طَوالَ النَّهارِ وعِنْدَما غابَتِ الشَّمْسُ نامَ عَلَى أَوْراقِ الشَّجَرِ وابْتَعَدَتْ عَنْهُ الطُّيورُ والحَيَواناتُ لأَنَّها تَذَكَّرَتْ قَسْوَتَه. وظَلَّ الطِّفْلُ النَّجْمُ وَحِيدًا باسْتِثْناءِ ضِفْدَعٍ يُراقِبُه.

وفي الصَّباحِ نَهَضَ الطِّفْلُ النَّجْمُ وأَكَلَ بَعْضَ حَبّاتِ التُّوتِ وتابَعَ طَرِيقَهُ عَبْرَ الغابَةِ باكِيًا بِمَرارَةٍ، وكانَ يَسْأَلُ كُلَّ مَنْ يَلْتَقِيهِ عَنْ أُمِّه.

وقالَ الطِّفْلُ النَّجْمُ للخُلْدِ: «يُمْكِنُكَ الذَّهابُ تَحْتَ الأَرْضِ لِتُبْلِغَني عَنْ مَكانِ أُمّي».

وأَجابَ الخُلْدُ: «لَقَدْ أَعْمَيْتَني فكَيْفَ أَعْرِفُ مَكانَ أُمِّكَ؟»

وقالَ الطِّفْلُ النَّجْمُ للطُّيورِ: «أَنْتِ يُمْكِنُكِ التَّحْليقُ فَوْقَ الأَشْجارِ وتُشاهِدِينَ العالَمَ كُلَّه. أَبْلِغِيني: هَلْ يُمْكِنُكِ مُشاهَدَةُ أُمّي؟»

وأَجابَتِ الطُّيورُ: «لَقَدْ قَصَصْتَ أَجْنِحَتَنا أَيُّها الطِّفْلُ فَلا يُمْكِنُنا التَّحْليقُ بَعْدَ الآن».

وقالَ الطِّفْلُ النَّجْمُ للسِّنْجابِ: «أَيْنَ أُمّي؟»

وأَجابَ السِّنْجابُ: «لَقَدْ ذَبَحْتَ أُمّي، فَهَلْ تُريدُ ذَبْحَ أُمِّكَ أَيْضًا؟»

فبَكَى الطِّفْلُ النَّجْمُ وأَطْرَقَ وطَلَبَ السَّماحَ مِنَ الله. ثُمَّ تابَعَ سَيْرَهُ في الغابَةِ سَعْيًا وَراءَ المَرْأَةِ المُتَسَوِّلَة.

وفي اليَوْمِ الثّالِثِ وَصَلَ الطِّفْلُ النَّجْمُ إلى الجانِبِ الآخَرِ مِنَ الغابَةِ ونَزَلَ إلى السَّهْل.

وعِنْدَما مَرَّ الطِّفْلُ النَّجْمُ عَبْرَ القُرَى سَخِرَ مِنْهُ الأَطْفالُ ورَمَوْهُ بالحِجارَة.

ولَمْ يَعْرِفِ الطِّفْلُ النَّجْمُ مَكانَ المَرْأَةِ المُتَسَوِّلَةِ الَّتي كانَتْ أُمَّهُ رُغْمَ مُرورِ ثَلاثِ سَنَواتٍ عَلَى تَجْوالِهِ في العالَمِ. ورُغْمَ أَنَّهُ كانَ يَرَى ظِلَّها أَمامَهُ دائِمًا ويُنادِيها ويَرْكُضُ وَراءَها حَتّى تَنْزِفَ قَدَماه. لَكِنَّهُ لَمْ يَعْثُرْ عَلَيْها وكانَ كُلُّ مَنْ يَلْتَقِي بِهِ يُنْكِرُ مَعْرِفَتَهُ بِها ويَسْخَرُ مِنْ حُزْنِه.

وتابَعَ الطِّفْلُ النَّجْمُ تَجْوالَهُ عَلَى مَدَى ثَلاثِ سَنَواتٍ أُخْرَى في كُلِّ أَنْحاءِ العالَمِ حَيْثُ لا مَحَبَّةَ وَلا لُطْفَ أَوْ إِحْسانَ بَلْ كانَ العالَمُ قاسِيًا مِثْلَ قَسْوَتِهِ كَطِفْلٍ لابْنِ الحَطّاب.

وفي مَساءِ أَحَدِ الأَيّامِ وَصَلَ الطِّفْلُ النَّجْمُ إلى أَبْوابِ مَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ بِجانِبِ أَحَدِ الأَنْهارِ. ورُغْمَ كَوْنِهِ مُتْعَبًا حاوَلَ الدُّخولَ إلى المَدِينَة. لَكِنَّ الجُنودَ الحُرّاسَ مَنَعوهُ وقالوا لَهُ بِخُشونَةٍ: «ما هُوَ غَرَضُكَ مِنْ هَذِهِ المَدِينَة؟»

فأَجابَ الطِّفْلُ النَّجْمُ: «أَسْعَى للعُثورِ عَلَى أُمّي وأَتَوَسَّلُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَسْمَحوا لي بِدُخولِ المَدِينَةِ لأَنَّ أُمّي قَدْ تَكونُ فِيها».

لكِنَّ الجُنودَ سَخِروا مِنْهُ وصاحَ أَحَدُهُم: «في الحَقيقةِ لَنْ تَفرَحَ أُمُّكَ بِلِقائِكَ لأَنَّكَ قَبيحٌ مِثْلَ الضِّفْدَعِ. لِذَلِكَ اذْهَبْ بَعيدًا. فأُمُّكَ لَيْسَتْ في هَذِهِ المَدينَةِ».

وقالَ جُنْدِيٌّ آخَرُ: «مَنْ هِيَ أُمُّكَ ولِماذا تَسْعَى للعُثورِ عَلَيْها؟»

فأَجابَ الطِّفْلُ النَّجْمُ: «أُمِّي مُتَسَوِّلَةٌ مِثْلِي ولَقَدْ عامَلْتُها بالسُّوءِ وأَرْجو مِنْكَ أَنْ تَدَعَني أَدْخُلُ المَدينَةَ لِكَيْ أَجْعَلَها تُسامِحُني إذا كانَتْ داخِلَ المَدينَةِ». لَكِنَّ الجُنودَ لَمْ يَسْمَحوا لَهُ بالدُّخولِ وَوَجَّهوا رِماحَهُم نَحْوَه. فابْتَعَدَ الطِّفْلُ النَّجمُ باكِيًا لَكِنَّ شَخْصًا جاءَ إلى الجُنودِ وسأَلَهُم عَمَّنْ طَلَبَ الدُّخولَ إلى المَدينَةِ، فقالوا لَهُ: «إنَّهُ طِفْلٌ مُتَسَوِّلٌ وابْنُ مُتَسَوِّلَةٍ ولَقَدْ أَبْعَدْناه».

فَصاحَ الشَّخْصُ: «كلاَّ، يُمْكِنُنا بَيْعُ هَذا المُتَسَوِّل».

فقالَ أَحَدُ المارَّةِ: «أَنا أَشْتَري».

وأَخَذَ هَذا الرَّجُلُ الطِّفْلَ النَّجْمَ وقادَهُ إلى المَدينَةِ.

وبَعْدَ عُبورِهِما شَوارِعَ المَدينَةِ جاءَ الطِّفْلُ والرَّجُلُ إلى بابٍ صَغيرٍ. ولامَسَ الرَّجُلُ البابَ وفَتَحَهُ ودَخَلَ الاثْنانِ إلى حَديقَةٍ مَليئَةٍ بالقِطَطِ السَّوْداءِ. ثُمَّ أَخَذَ الرَّجُلُ قِطْعَةَ قُماشٍ غَطَّى بِها عَيْنَي الطِّفْلِ وقادَهُ إلى دِهْليزٍ ثُمَّ رَفَعَها عَنْ عَيْنَيْه.

وَوَضَعَ الرَّجُلُ الطَّعامَ أَمامَ الطِّفْلِ وقالَ لَهُ: «كُلْ واشْرَبْ». وبَعْدَما أَكَلَ الطِّفْلُ وشَرِبَ خَرَجَ الرَّجُلُ وأَقْفَلَ الدِّهْليزَ عَلَيْه.

في اليَوْمِ التّالي جاءَ الرَّجُلُ الَّذي كانَ مِنْ أَفْضَلِ السَّحَرَةِ في البِلادِ إلى الطِّفْلِ وقالَ لَهُ مُتَجَهِّمًا: «في الغابَةِ القَريبَةِ مِنْ بَوّابَةِ هَذِهِ المَدينَةِ تَجِدُ ثَلاثَ قِطَعٍ ذَهَبِيَّةٍ إحْداها مِنَ الذَّهَبِ الأَبْيَضِ والأُخْرَى مِنَ الذَّهَبِ الأَصْفَرِ والثّالِثَةُ مِنَ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ. واليَوْمَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَجْلِبَ لِي قِطْعَةَ الذَّهَبِ الأَبْيَضِ وإذا لَمْ تَجْلِبْها فسأَضْرِبُكَ مائَةَ جَلْدَة. لِذَلِكَ تَحَرَّكِ الآنَ بِسُرْعَةٍ وسَوْفَ أَنْتَظِرُكَ عِنْدَ الغُروبِ أَمامَ بابِ الحَديقَةِ والدِّهْليز. وقادَ الرَّجُلُ الطِّفْلَ النَّجْمَ إلى الشّارِعِ وأَطْلَقَه. فخَرَجَ الطِّفْلُ النَّجْمُ مِنْ بَوّابَةِ المَدينَةِ وجاءَ إلى الغابَةِ الَّتي تَحَدَّثَ عَنْها السّاحِر.

وبَدَتِ الغابَةُ جَميلَةً ومَليئَةً بالطُّيورِ المُغَرِّدَةِ والأَزْهارِ العَطِرَةِ فَدَخَلَ الطِّفْلُ النَّجْمُ بِسُرورٍ. لَكِنَّه سُرْعانَ ما شَعَرَ بالاضْطِرابِ والخَوْفِ ولَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ العُثورِ عَلَى قِطْعَةِ الذَّهَبِ الأَبْيَضِ الَّتي تَحَدَّثَ عَنْها السّاحِرُ رُغْمَ بَحْثِهِ عَنْها طَوالَ النَّهارِ حَتَّى المَغيب. وعِنْدَ المَغيبِ عادَ الطِّفْلُ إلى المَنْزِلِ باكِيًا بِمَرارَةٍ لأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّ مَصيرَهُ سَيَكونُ الضَّرْب.

ولَكِنْ عِنْدَما وَصَلَ الطِّفْلُ النَّجْمُ إلى أَطْرافِ الغابَةِ سَمِعَ صَرْخَةَ أَلَمٍ فَنَسِيَ حُزْنَهُ ورَكَضَ نَحْوَ الصَّوْتِ فَرَأَى أَرْنَبًا عالِقًا في فَخِّ أَحَدِ الصَّيّادين. فَشَعَرَ الطِّفْلُ النَّجْمُ بالرَّحْمَةِ وأَطْلَقَ الأَرْنَبَ وقالَ لَهُ: «أَنا نَفْسي عَبْدٌ وَمَعَ ذَلِكَ سأُعْطيكَ حُرِّيَّتَكَ». وأَجابَ الأَرْنَبُ: «أَنْتَ حَقًّا أَعْطَيْتَني حُرِّيَّتي، ماذا يُمْكِنُني إعْطاؤكَ في المُقابِل؟»

فَقالَ الطِّفْلُ النَّجْمُ للأَرْنَبِ: «أَنا أَبْحَثُ عَنْ قِطْعَةٍ مِنَ الذَّهَبِ

الأبيَضِ ولا يُمكِنُني العُثورُ عَلَيها، وإذا لَمْ أُحْضِرْها لِسَيِّدي فسيَضْرِبُني».

فَقالَ الأَرْنَبُ: «تعالَ مَعي وسَوْفَ أَقودُكَ إلى قِطْعَةِ الذَّهَبِ لأنَّني أَعْرِفُ أَيْنَ هِيَ مُخَبَّأَة».

وهَكَذا رافَقَ الطِّفْلُ النَّجْمُ الأرْنَبَ الَّذي قادَهُ إلى شَجَرَةِ سِنْديانٍ حَيْثُ رأى قِطْعَةَ الذَّهَبِ الأَبْيَضِ التي يَبْحَثُ عَنْها. فَرِحَ الطِّفْلُ النَّجْمُ وأَمْسَكَ بالقِطْعَةِ وقالَ للأرْنَب: «إنَّ الخِدْمَةَ التي أَدَّيْتُها لَكَ عادَتْ لِي مُضاعَفَةً مَرّاتٍ كَثيرَة». لكِنَّ الأرْنَبَ أجابَ: «كلاّ، كُلُّ ما فَعَلْتُهُ أنا هُوَ رَدُّ الجَميلِ لَك». ورَكَضَ الأرْنَبُ وعادَ الطِّفْلُ النَّجْمُ في اتِّجاهِ المَدينَة. وعِنْدَ بَوّابَةِ المَدينَةِ جَلَسَ أَحَدُ المَنْبوذينَ وعَيْناهُ تَتَوَهَّجانِ مِثْلَ الجَمْر. وعِنْدَما رأى هَذا المَنْبوذُ الطِّفْلَ النَّجْمَ قادِمًا ناداهُ وَقالَ: «أَعْطِني قِطْعَةَ نُقودٍ حَتّى لا أَموتَ مِنَ الجوعِ لأنَّهُم نَبَذوني مِنَ المَدينَةِ وَلا أَحَدَ يُشْفِقُ عَلَيَّ».

فَصاحَ الطِّفْلُ النَّجْمُ: «لكِنَّني لا أَمْلِكُ سِوى قِطْعَةِ نُقودٍ واحِدَةٍ وإذا لَمْ آخُذْها لِسَيِّدي فَسَوفَ يَضْرِبُني لأنَّني عَبْدُه».

لكِنَّ المَنْبوذَ زادَ مِنْ تَوَسُّلِهِ حَتّى أَشْفَقَ عَلَيْهِ الطِّفْلُ النَّجْمُ وأَعْطاهُ قِطْعَةَ الذَّهَبِ الأَبْيَض.

وعِنْدَما جاءَ الطِّفْلُ النَّجْمُ إلى مَنْزِلِ السّاحِرِ فَتَحَ السّاحِرُ البابَ وأَدْخَلَهُ وقالَ لَهُ: «هَلْ تَحْمِلُ قِطْعَةَ الذَّهَبِ الأَبْيَض؟» فأَجابَ الطِّفْلُ

النَّجْمُ: «كلاّ، لا أَحْمِلُها مَعي». وهَكَذا أَهْوى السّاحِرُ عَلى الطِّفْلِ وضَرَبَهُ وأَعادَهُ إلى الدِّهْليز.

وفي اليَوْمِ التّالي جاءَ السّاحِرُ إلى الطِّفْلِ النَّجْمِ وقالَ: «إذا لَمْ تَجْلِبْ لِي اليَوْمَ قِطْعَةً مِنَ الذَّهَبِ الأَصْفَرِ أُبْقيكَ عَبْدي وأَضْرِبُكَ ثَلاثَمائةِ جَلْدَة».

وهَكَذا ذَهَبَ الطِّفْلُ إلى الغابَةِ وأَمْضى النَّهارَ بَحْثًا عَنْ قِطْعَةِ الذَّهَبِ الأَصْفَرِ لَكِنَّهُ لَمْ يَعْثُرْ عَلَيْها في أَيِّ مَكان. وعِنْدَ المَغيبِ جَلَسَ الطِّفْلُ وبَدأَ يَبْكي عِنْدَما جاءَهُ الأَرْنَبُ الصَّغيرُ الَّذي أَنْقَذَهُ الطِّفْلُ مِنَ الفَخّ.

وقالَ الأرْنَبُ للطِّفْلِ: «لِماذا تَبْكي؟ وما الَّذي تَسْعَى وَراءَهُ في الغابَة؟» فأَجابَ الطِّفْلُ: «أَسْعَى وَراءَ قِطْعَةِ ذَهَبٍ صَفْراءَ مُخَبَّأَةٍ هُنا وإذا لَمْ أَجِدْها فَسَيَضْرِبُني سَيِّدي ويُبْقيني عَبْدًا لَه».

فَصاحَ الأرْنَبُ: «اتْبَعْني» فَرَكَضَ الطِّفْلُ خَلْفَ الأرْنَبِ في الغابَةِ حَتّى وَصَلَ إلى بِرْكَةِ ماءٍ وكانَتْ قِطْعَةُ الذَّهَبِ الأَصْفَرِ فيها.

فَقالَ الطِّفْلُ النَّجْمُ للأَرْنَب: «آه، كَيْفَ أَشْكُرُكَ لأنَّ هَذِهِ هِيَ المَرَّةُ الثّانِيَةُ الّتي تُساعِدُني فيها». فَقالَ الأَرْنَبُ: «كلاّ فأَنْتَ ساعَدْتَني أَوّلاً»، ورَكَضَ الأرْنَبُ بِسُرْعَة.

وأَخَذَ الطِّفْلُ النَّجْمُ قِطْعَةَ الذَّهَبِ الأَصْفَرِ وَوَضَعَها في مِحْفَظَتِهِ

وسارَعَ إلى المَدينَة. فَرَآهُ المَنْبوذُ ثانِيَةً ورَكَضَ لمُلاقاتِهِ ورَكَعَ وصاحَ: «أَعْطِني قِطْعَةَ النُّقودِ حَتَّى لا أَموتَ مِنَ الجوعِ».

وقالَ الطِّفْلُ النَّجْمُ للمَنْبوذِ: «لَيْسَ مَعِي في مِحْفَظَتي سِوى قِطْعَةِ نُقودٍ صَفْراءَ، وإذا لَمْ آخُذْها لسَيِّدي فسَيُبْقيني عَبْدًا». لَكِنَّ المَنْبوذَ زادَ مِنْ تَوَسُّلِهِ فأَشْفَقَ عَلَيْهِ الطِّفْلُ وأَعْطاهُ قِطْعَةَ الذَّهَبِ الأَصْفَرِ.

وعِنْدَما جاءَ الطِّفْلُ النَّجْمُ إلى بَيْتِ السّاحِرِ أَدْخَلَهُ السّاحِرُ وقالَ لَهُ: «هَلْ لَدَيْكَ قِطْعَةُ الذَّهَبِ الأَصْفَرِ؟» فَرَدَّ الطِّفْلُ النَّجْمُ: «كَلاَّ». وهَكَذا أَهْوَى السّاحِرُ عَلَى الطِّفْلِ، وضَرَبَهُ ورَبَطَهُ بالقُيودِ ورَماهُ في الدِّهْليزِ.

وفي اليَوْمِ التّالي جاءَ السّاحِرُ إلى الطِّفْلِ وقالَ: «إذا أَحْضَرْتَ لي اليَوْمَ قِطْعَةً مِنَ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ فسَوفَ أُحَرِّرُكَ، وإذا لَمْ تُحْضِرْها فسَوفَ أَقْتُلُكَ».

وهكَذا ذَهَبَ الطِّفْلُ النَّجْمُ إلى الغابَةِ وبَحَثَ طَوالَ النَّهارِ عَنْ قِطْعَةِ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ ولَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ العُثورِ عَلَيْها في أَيِّ مَكان. وفي المَساءِ جَلَسَ الطِّفْلُ وبَكَى عِنْدَما جاءَهُ الأَرْنَبُ الصَّغيرِ.

وقالَ الأَرْنَبُ للطِّفْلِ النَّجْمِ: «قِطْعَةُ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ الّتي تَبْحَثُ عَنْها مَوْجودَةٌ في الكَهْفِ خَلْفَكَ لِذَلِكَ لا تَبْكِ بَلْ كُنْ سَعيدًا».

فَصاحَ الطِّفْلُ النَّجْمُ: «آه، كَيْفَ أُكافِئُكَ؟ لأَنَّ هَذِهِ المَرَّةَ هِيَ المَرَّةُ الثّالِثَةُ الّتي تُنْقِذُني فِيها».

فقالَ الأَرْنَبُ: «كَلاَّ فأَنْتَ أَنْقَذْتَني أَوَّلاً». ورَكَضَ الأَرْنَبُ مُسْرِعًا.

فَدَخَلَ الطِّفْلُ النَّجْمُ إلى الكَهْفِ وَوَجَدَ في زاوِيَتِهِ قِطْعَةَ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ فَوَضَعَها في مِحْفَظَتِهِ وسارَعَ إلى المَدينَةِ فَرَآهُ المَنْبوذُ وصاحَ بِهِ: «أَعْطِني قِطْعَةً مِنَ النُّقودِ حَتَّى لا أَموت». فأَشْفَقَ الطِّفْلُ النَّجْمُ عَلَى المَنْبوذِ ثانِيَةً وأَعْطاهُ قِطْعَةَ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ قائِلاً: «حاجَتُكَ للنُّقودِ أَكْثَرُ مِنْ حاجَتي» ومَعَ ذَلِكَ شَعَرَ الطِّفْلُ بالخَوْفِ لأَنَّهُ كانَ يَعْرِفُ الشَّرَّ الّذي يَنْتَظِرُه. لَكِنْ ومَعَ مُرورِ الطِّفْلِ النَّجْمِ عَبْرَ بَوّابَةِ المَدينَةِ انْحَنَى أَمامَهُ حُرّاسُ المَدينَةِ وقَدَّموا الطّاعَةَ لَهُ قائِلين: «ما أَجْمَلَ سَيِّدَنا!» ولَحِقَ حَشْدٌ مِنَ المُواطِنينَ الطِّفْلَ صائِحِين: «مِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّهُ لا يُوجَدُ أَجْمَلُ مِنْ هَذا الطِّفْلِ في العالَم». وكانَ الطِّفْلُ النَّجْمُ يَقولُ: «إِنَّهُم يَسْخَرونَ مِنّي ومِنْ بُؤْسِي» وكانَ الحَشْدُ كَبيرًا بِحَيْثُ ضَلَّ الطِّفْلُ النَّجْمُ الطَّريقَ وجاءَ إلى السّاحَةِ الكَبيرَةِ حَيْثُ قَصْرُ المَلِك.

وَفُتِحَ بابُ القَصْرِ فَخَرَجَ ضُبّاطُهُ وحُرّاسُهُ لمُلاقاةِ الطِّفْلِ النَّجْمِ وانْحَنوا أَمامَهُ وقالوا: «أَنْتَ سَيِّدُنا الّذي كُنّا نَنْتَظِرُهُ وأَنْتَ ابْنُ مَلِكِنا».

وأَجابَهُمُ الطِّفْلُ النَّجْمُ قائِلاً: «أَنا لَسْتُ بابْنِ المَلِكِ بَلِ ابْنُ امْرَأَةٍ مُتَسَوِّلَةٍ فَقيرَةٍ، وكَيْفَ تَقولونَ إِنَّني جَميلٌ وأَنا أَعْرِفُ قُبْحَ مَنْظَري».

فَرَفَعَ أَحَدُهُم سَيْفَهُ وقالَ: «مَنْ يَتَجَرَّأُ ويَقولُ إِنَّ سَيِّدَنا قَبيحٌ؟»

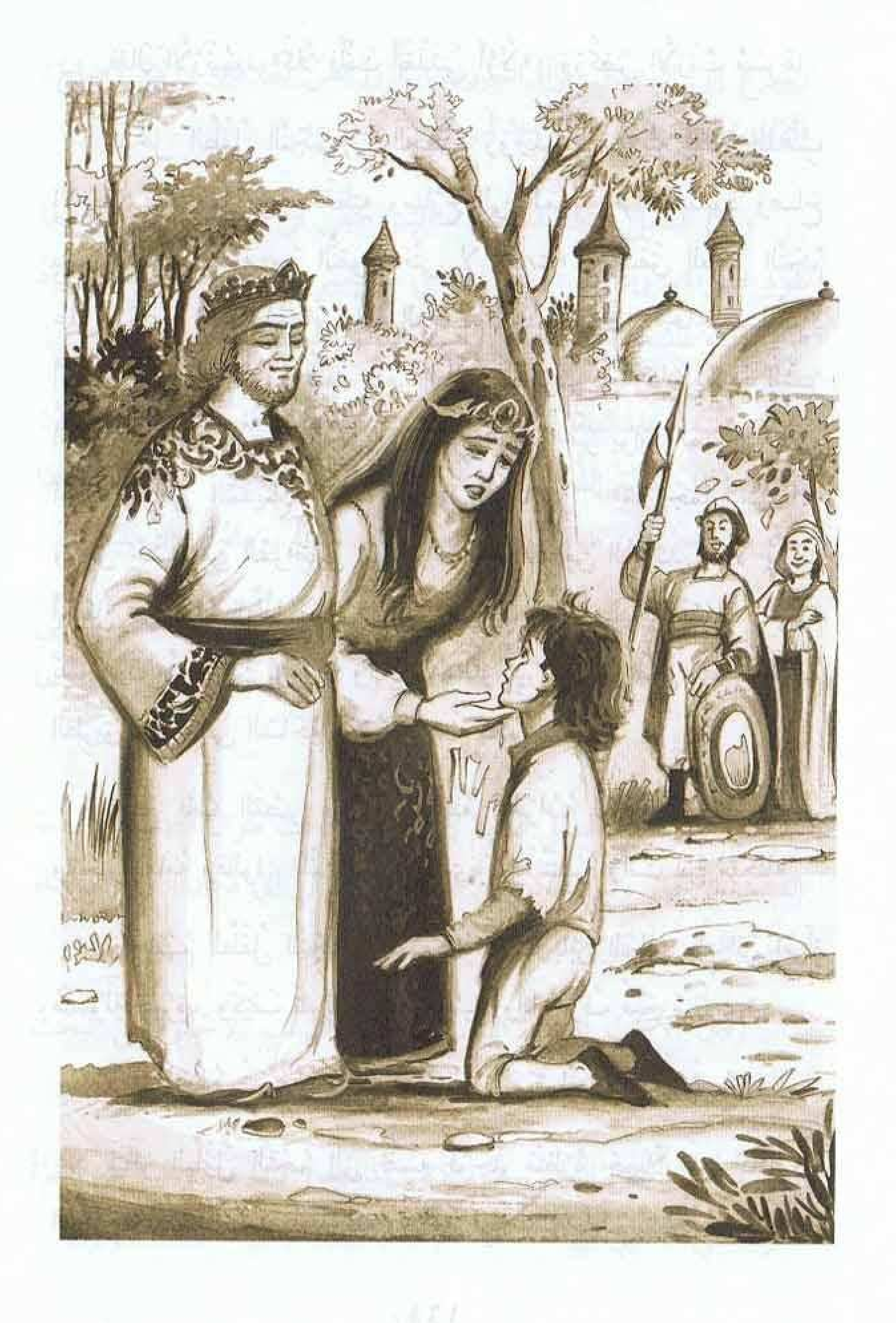
فَنَظَرَ الطِّفْلُ النَّجْمُ إلى نَفْسِهِ فَوَجَدَ مَنْظَرَهُ جَميلاً كَما كانَ في السّابِقِ وقَدْ عادَتْ وَسامَتُهُ إلَيْهِ وشاهَدَ في عَيْنَيْهِ ما لَمْ يُشاهِدْهُ مِنْ قَبْل.

وانْحَنى حُرّاسُ القَصْرِ ثانِيَةً للطِّفْلِ النَّجْمِ وقالوا لَهُ: «لَقَدْ تَنَبَّأَ أَحَدُهُم مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ أَنَّ هَذا اليَوْمَ سَيَشْهَدُ مَجيءَ شَخْصٍ يَحْكُمُنا جَميعًا بالعَدْلِ. لِهَذا يُمْكِنُكَ أَنْ تَلْبَسَ تاجَكَ وتَحْمِلَ صَوْلَجانَكَ وأَنْ تَكونَ مَلِكَنا بالرَّحْمَةِ والعَدْلِ».

لَكِنَّ الطِّفْلَ النَّجْمَ قالَ لَهُمْ: «أَنا لا أَسْتَحِقُّ كُلَّ هَذا لأَنَّني أَنْكَرْتُ أُمّي الَّتي أَنْجَبَتْني ولَنْ أَرْتاحَ حَتّى أَعْثُرَ عَلَيْها لِكَي تُسامِحَني. لِهَذا دَعوني أَذْهَبْ لأَنَّني يَجِبُ أَنْ أَجولَ العالَمَ كُلَّهُ ولَنْ أَبْقى هُنا رُغْمَ التّاجِ والصَّوْلَجانِ».

لَكِنَّ الطِّفْلَ النَّجْمَ شاهَدَ المَرْأَةَ المُتَسَوِّلَةَ الَّتي كانَتْ أُمَّهُ بَيْنَ الحَشْدِ وإلى جانِبِها المَنْبوذُ الَّذي كانَ يُعْطيهِ هُوَ النُّقود. فَصاحَ الطِّفْلُ النَّجْمُ صَيْحَةَ فَرَحٍ ورَكَضَ ورَكَعَ لِيُقَبِّلَ جِراحَ قَدَمَيْ أُمِّهِ ويُبَلِّلَها بِدُموعِه. وعَفَّرَ الطِّفْلُ النَّجْمُ رَأْسَهُ في التُّرابِ وقالَ لأُمِّهِ: «يا أُمّي لَقَدْ أَنْكَرْتُكِ في ساعاتِ كِبْرِيائي، لِذَلِكَ اقْبَليني في ساعاتِ تَواضُعي. لَقَدْ أَعْطَيْتُكِ الكَراهِيَةَ فأَعْطيني الحُبَّ. لَقَدْ رَفَضْتُكِ لِذَلِكَ اقْبَليني الآن». لَكِنَّ المَرْأَةَ المُتَسَوِّلَةَ لَمْ تَرُدَّ بأَيِّ كَلِمَة.

فأَمْسَكَ الطِّفْلُ النَّجْمُ بِقَدَمَي المَنْبوذِ وقالَ لَهُ: «لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَيْكَ في الماضي. اطْلُبْ مِنْ أُمّي أَنْ تَتَحَدَّثَ إِلَيَّ مَرَّةً واحِدَة». لَكِنَّ المَنْبوذَ لَمْ يُجِبْ. وعادَ الطِّفْلُ للتَّحَدُّثِ إلى أُمِّهِ: «يا أُمّي إِنَّ مُعاناتي أَكْبَرُ مِمّا يُمْكِنُني تَحَمُّلُهُ، لِذَلِكَ سامِحيني ودَعيني أَعودُ إلى الغابَة».



فَوَضَعَتِ المَرْأَةُ المُتَسَوِّلَةُ يَدَها عَلَى رأْسِ الطِّفْلِ النَّجْمِ وقالَتْ لَهُ: «انْهَضْ». وَوَضَعَ المَنبوذُ يَدَهُ عَلَى رأْسِ الطِّفْلِ النَّجْمِ وقالَ لَهُ: «انْهَضْ».

وَنَهَضَ الطِّفْلُ النَّجْمُ ونَظَرَ إلى المَرْأَةِ والمَنْبوذِ فرأَى أَنَّهُما المَلِكُ والمَلِكَة. وقالَتِ المَلِكَةُ لَهُ: «هَذا أَبوكَ الَّذي أَشْفَقْتَ عَلَيْه». وقالَ المَلِكُ: «هَذِهِ أُمُّكَ الَّتي غَسَلْتَ قَدَمَيْها بِدُموعِك».

وانْحَنَى المَلِكُ والمَلِكَةُ عَلَى عُنُقِ الطِّفْلِ النَّجْمِ يُقَبِّلانِها وأَدْخَلاهُ إلى القَصْرِ وَوَضَعا التّاجَ عَلَى رأْسِهِ والصَّولَجانَ في يَدِه. فَحَكَمَ الطِّفْلُ النَّجْمُ المَدينَةَ وكانَ سَيِّدَها. ولَقَدْ أَظْهَرَ الطِّفْلُ المَلِكُ العَدالَةَ والرَّحْمَةَ للجَميعِ ونَفَى الشِّرِّيرَ وأَرْسَلَ الهَدايا إلى الحَطّابِ وزَوْجَتِهِ وأَوْلادِه. ولَمْ يُؤْذِ المَلِكُ الطِّفْلُ الطُّيورَ والحَيَواناتِ بَلْ عَلَّمَ الجَميعَ المَحَبَّةَ واللُّطْفَ والإِحْسانَ وَوَزَّعَ الخُبْزَ عَلَى الفُقَراءِ فَعَمَّ السَّلامُ والوَفْرَةُ بِلادَه.

ولَمْ يَحْكُمِ المَلِكُ الطِّفْلُ فَتْرَةً طَويلَةً لأَنَّ مُعاناتَهُ كانَتْ كَبيرَةً وكانَتْ مِحْنَتُهُ مَريرَةً فَماتَ بَعْدَ ثَلاثِ سَنَواتٍ وجاءَ بَعْدَهُ حاكِمٌ شِرِّير.

الاستثمارُ التربويّ

أ ـ في تحليلِ القِصَصِ ومُناقشتها:

أوّلاً ـ في «الأمير السّعيد»:

١ ـ أيُّ الاثنينِ (السّنونو والقصبة) كانَ أكثرَ ارتباطًا بوطنِهِ؟ ما دليلُكَ على ذلكَ؟

٢ ـ بدَتْ إنسانيّةُ السّنونو واضحةً في هذهِ الأقصوصةِ، ما دلالتُك عليها؟

٣ ـ لماذا كان قلبُ الأميرِ وجثّةُ الطّائرِ أثمنَ ما في المدينة؟

٤ ـ ما الفِكرةُ الّتي قدّمَتْها هذه القِصّة؟

ثانيًا ـ في «طائر العندليب والوردة»:

١ ـ لماذا ضحّى العندليبُ بنفسِهِ؟

٢ ـ إلامَ رمزَ العندليب؟

٣ ـ ما الّذي أُغْرِيَتْ بِهِ الفتاة؟ وهل كانَتْ مُصيبةً في ما مالَتْ نفسُها إليهِ أم مُخطئة؟ علِّلْ ما تذهَبُ إليه.

ثالثًا ـ في «العِملاقِ الأنانيّ»:

١ ـ لِمَ لمْ تُزهِرْ حديقةُ العِملاقِ فكساها الصّقيع؟

٢ ـ مَنْ هو الطّفلُ الّذي اختفى ثمَّ ظهرَ أخيرًا للعملاق؟

٣ ـ ما المغزى الّذي تُقدّمُهُ هذهِ الحكاية؟

رابعًا ـ في «الصّديق الوفيّ»:

١ ـ ما أنسَبُ صفةٍ يمكن أن تُلحقَها بالثَّريِّ صاحبِ الطّاحونة؟

٢ ـ ما أهمُّ الصّفاتِ الّتي كانَ هانس يتّصفُ بها؟

٣ ـ هل تكونُ القصة بلا مغزًى؟

٤ ـ ما مغزى هذه القصّة؟

خامسًا ـ في «الصّاروخ النّاريّ المدهش»:

١ ـ ما أهمُّ صفةٍ يُمكنك أن تطلقها على شخصيّةِ الصّاروخِ النّاريِّ المُدهِش؟

٢ ـ ما العِبرةُ المُستفادةُ من هذه الحِكاية؟

سادسًا ـ في «المِلك الشّابّ»:

١ ـ إلامَ يَرمُزُ الحُلُمُ الأوّلُ؟

٢ ـ إلامَ يرمُزُ الحُلُمُ الثّاني؟

٣ ـ إلامَ يرمُزُ الحُلُمُ الثّالثُ؟

٤ ـ هل أعجبكَ تصرُّفُ الملكِ الشّابّ؟ ماذا أعجبكَ فيهِ؟

٥ ـ ما الحقائقُ الاجتماعيّةُ الّتي أطلعَتْكَ هذه الحكايةُ عليها؟

سابعًا ـ في «عيد ميلادِ ابنةِ المَلِك»:

١ ـ ما أهمُّ الشّخصيّاتِ الّتي لفتَتِ انتباهَكَ في هذهِ الأقصوصةِ؟

٢ ـ إلامَ تقودُ معرفةُ الإنسانِ نفسَهُ معرفةً حقيقيّةً؟

ثامنًا ـ في «صياد السّمك وروحه»:

١ ـ ما الّذي أعجبكَ وما الّذي لم يُعجبْكَ في هذهِ الحِكايةِ؟

٢ ـ ما الشّيءُ الّذي هوَ أعظمُ ما في الوجودِ وأقواهُ؟

٣ ـ ما الحِكمةُ الّتي قدّمَتْها هذهِ الحِكايةُ؟

تاسعًا ـ في «الطّفل النَّجم»:

١ ـ تُعَلِّمُ هذهِ القصّةُ في الحياةِ دروسًا، ما هيَ هذهِ الدّروسُ؟

٢ ـ هل كُنْتَ مُقتنعًا بحكايةِ أمِّ الطِّفلِ النّجمِ وأبيهِ في نهايةِ الحِكايةِ؟ لماذا؟

٣ ـ هل كنْتَ مقتنِعًا بالنّهايةِ الّتي انتهتْ بالطِّفلِ المَلِكِ إلى الموتِ؟ لماذا؟

ب ـ في الشّرحِ والتّفسير:

١ ـ مَنْ محبوبةُ السّنونو المتخلّفِ عن صحبِهِ في قول الكاتبِ «وبدأ يسأم محبوبتَه»؟

. . . .

٢ ـ أيّةُ بلادٍ بلادُ الأهرامِ؟

. . . .

٣ ـ إلى آلهةِ أيِّ الأقوامِ الوثنيّةِ كانَ ينتمي الإلٰهُ مَمْنون؟

. . . .

٤ ـ ما الفرقُ في المعنى بينَ «وَرَقات» و «وُرَيقات»؟

. . . .

٥ ـ ما معنى قولِ السّنونو: «الموتُ شقيقٌ للنّومِ»؟

. . . .

٦ ـ لماذا يكونُ «مِنَ الخَطَرِ أن يعرِفَ المَرءُ أصدقاءَهُ حقّ المعرفةِ» على حدّ قول «الصّاروخِ المُدهِشِ»؟

. . . .

٧ ـ ما معنى هذا القولِ «كانَتِ الشّمسُ قد بَدَأَتْ تَتَدَفَّقُ إلى الغُرفةِ»؟

. . . .

٨ ـ ماذا يعني قولُ الرّجلِ للملكِ الشابّ «لكنّ اسم شقيقِ الغنيِّ هو قايينُ»؟

. . . .

٩ ـ ما معنى أن يقالَ «أنت كمَنْ يسكُبُ الماءَ في صحنٍ مكسورٍ»؟

. . . .

● فسِّر معانيَ الكلماتِ التّاليةِ مُعتمِدًا على أحدِ المُعجماتِ:

١ ـ تُصَرصِرُ: . . . .

٢ ـ قُمامة: . . . .

٣ ـ فَظٌّ: . . . .

٤ ـ التُّخمةُ: . . . .

٥ ـ الغَسَق: . . . .

٦ ـ العاج: . . . .

٧ ـ العظاياتُ: . . . .

جـ ـ في اللُّغةِ والنَّحوِ:

١ ـ هاتِ أضدادَ الكلماتِ التّاليةِ مع الضّبطِ بالشّكلِ:

أدْناهُ ≠ . . . . . . اكتسى ≠ . . . . . . الثّوابُ ≠ . . . . . .

اسْتَلْقى ≠ . . . . . . الوَعْرُ ≠ . . . . . . رَقيقةٌ ≠ . . . . . .

أقْزامٌ ≠ . . . . . . الرَّغبة ≠ . . . . . . تجعَّدَ ≠ . . . . . .

٢ ـ ما المرادِفُ لكُلٍّ ممّا يلي مضبوطًا بالشّكلِ؟

بارزةٌ = ... صَوبٌ = ... أينَعَ = ...

إطراء = ... آبَهُ = ... تشاجرَ = ...

يرتدي = ... رِداءٌ = ... يُبْعِدُ = ...

٣ ـ لِمَ كُتِبَتِ الهمزةُ المتطرّفةُ بالصّورة التي تراها في ما يلي:

الدِّفْء: . . . .

تَمتَلِىء: . . . .

أبطَأَ: . . . .

٤ ـ لمَ كُتِبَتِ الألفُ الأخيرةُ بالصّورةِ الّتي نَراها في ما يلي:

جثا: . . . .

أَنْهى: . . . .

انتمى: . . . .

٥ ـ اجمَعْ كلاً منَ الأسماء التّاليةِ معَ الضبطِ بالشّكلِ:

جَناحٌ ← . . . . . . صَفْراءُ ← . . . . . . نَسيمٌ ← . . . . . .

جُرَذٌ ← . . . . . . الغُلام ← . . . . . . الكُرْسِيُّ ← . . . . . .

خطيئةٌ ← . . . . . . بلْهاءُ ← . . . . . . لُؤْلُؤٌ ← . . . . . .

شُعاعٌ ← . . . . . . قَوسٌ ← . . . . . . صريعٌ ← . . . . . .

٦ ـ رُدَّ كلاً ممّا يلي إلى مفردِهِ مع الضّبطِ بالشّكلِ:

الصِّبيانُ ← . . . . . . النُّصُبُ ← . . . . . . البَواشِقُ ← . . . . . .

حَمراوانِ ← . . . . . . الموانِعُ ← . . . . . . الأَضْرِحةُ ← . . . . . .

بَراثِنُ ← . . . . . . سَلاحِفُ ← . . . . . . سَناجِبُ ← . . . . . .

٧ ـ رُدَّ كلاً ممّا يلي إلى أصلِهِ (جذره) الثّلاثيِّ:

مِرْسالٌ ← . . . . . . الحَلْوى ← . . . . . . زِنَةٌ ← . . . . . .

استعداد ← . . . . . . مَجاذيف ← . . . . . . مَيْتَةٌ ← . . . . . .

أجابَ ← . . . . . . القُرآنُ ← . . . . . . مُرورٌ ← . . . . . .

٨ ـ أكملِ العباراتِ التّاليةَ بالطّريقةِ الّتي أُكمِلَتْ بها العِبارةُ الأولى مع الضّبطِ بالشّكلِ:

ـ قسا قلبُ الموتِ، فهوَ قاسٍ.

ـ ارتجفَ الجَشِعُ، فهوَ . . . . . .

ـ جَفَّتِ الأحواضُ، فهي . . . . . .

ـ اختبَأتِ الأرانبُ، فهيَ . . . . . .

ـ زها الطِّفْلُ النَّجمُ بجمالِهِ، فهو . . . . . .

ـ خُبِّىءَ الرِّداءُ، فهو . . . . . .

٩ ـ ماذا يسمّى ذَكَرُ كلٍّ منَ الحَيَواناتِ التّاليةِ؟

ـ السَّلاحِفُ ← . . . .

ـ البَقَرُ ← . . . .

ـ الخيلُ ← . . . .

ـ المَعْزُ ← . . . .

ـ الأفاعي ← . . . .

١٠ ـ أعرِبْ ما يلي:

ـ رَحَلَ المَلِكُ جارًّا غلامَهُ وراءَهُ.

ـ تبقى الأميرةُ مُعظَمَ الوقتِ تلعَبُ وحدَها.

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

الفهرس





الأميرُ السَّعيد

وقصص أخرى

أوسكار وايلد

دار العلم للملايين